# المعرفة ١١٥

العدد (١١٠) جمادى الأولى ١٤٢٥هـ يولية ٢٠٠٤م

## صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية

## علموا الأطفال أن الصراخ لا يجدي

## أصحاب «الكروش» أكثر احتمالاً أن يكونوا «أغبياء»!

## المدرسة تنهى عن الإبداع



# هل نتعاطى معهما كما يجب

# لا حرفان من ذهب أو.. من خشب!

- ما قال لا قطّ إلا في تشهّده

لولا التشهّد كانت لاؤه نعمُ!

هكذا وصف الشاعر الغالي في المدح - خليفة من خلفاء المسلمين كان - بلا ريب - ينتظر منه نوالاً مناسباً!

- وصديقي المنتمي إلى قبيلة عربية نجدية عريقة كان يقول لي كلما مرت مناسبة تحتمل "لا" و"نعم": الذي لا يعرف كيف ومتى يقول "لا" تصبح "نعمه" لا قيمة لها!

- وابنة صديقي المصري الفلاح الفصيح الذي أصبح بفضل مجانية التعليم - بعد فضل الله تعالى طبعاً - من كبار رجال الاقتصاد والبنوك في إحدى أغنى البلاد العربية النفطية، كانت له ابنة أصبحت هي الأخرى اقتصادية ذات شأن، تعوّدت أن تقول له: «يلا يا بابا.. قل لا التي بعدها نعم»! ثم رأيتها وقد أصبحت أماً لأربعة من البنات والبنين تفعل الشيء نفسه: لا.. ثم نعم! ولذلك صدق مرة أخرى، قول الشاعر: وينشأ ناشئ الفتيان منا: على ما كان عوّده أبوه!

- وصديقي المصري الذي عاش معنا في الرياض سنين عددا كان لا يكتفي أبداً "بلا" واحدة، ولكنه يقول: لا لا لا لا.. ثم يتبين أنه لم يستمع لما قيل له، أو استمع ولم يفكر كيف يعترض عليه!

- وعلمني أبي - رحمه الله - ألا أقول "لا" إلا وأنا موقن أنني لن أعود فيها. وأن لا أقول "نعم" إلا وأنا قادر على فعل ما وعدت به. وأن أعتذر حين تقعد بي الأسباب بأدنة المدرك أنه جل من لا يخطئ، وتعالى عن الشبيه والنظير سبحانه.

محمد العوّا

د. محمد سليم العوّا
مفكر تربوي مصري



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم
المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١١٠) - جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ - يولية ٢٠٠٤م



إدارة النشر




ردمد: ١٣١٩-٦٢٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

# المحتويات



## الحصة الأولى

يتنفس ـ طلابنا وطالباتنا ـ الصعداء بعد جولة من الشحن النفسي والذهني لحصاد ثمار عام دراسي كامل مضى.

ولأن بالامتحان «يكرم المرء أو يهان» فسيكون السيد «الامتحان» على موعد مع كبت أنفاس البعض منهم بحرمانهم من «الإجازة»، ليس لشيء إلا لتلقينهم درسًا في كيفية التعامل معه.

أما السيدة المسكينة «الإجازة» فهي تزورهم رغمًا عنهم كل عام مرة؛ لتكون لهم استراحة محارب، ولتسد فراغًا بشحذها للهمم في الاستغلال الأمثل لأيامها، فهي المدرسة التي لا تحكمها أسوار ومناهج وقوانين.

اللاجديد.. هو أن السيدة «الإجازة» لا تزال تحتضر مع ارتفاع مؤشر «الحماقة» لدى البعض وارتفاع نسبة المرضى المترهلين من كثرة النوم واختلاف الليل والنهار على السواد الأعظم منهم.

واللا مستغرب.. أن نودع الإجازة وكثير منا «مكانك سر». والمنطق أنه لا يمكننا إنقاذ الإجازة من احتضارها إلا إذا استشعرنا أهمية استغلال الوقت وأهمية التطوير، وقبل ذلك كله أهمية الإجازة كإجازة.

وكل إجازة وعقولنا بنضج..

وكل صيف وأنتم بخير.. المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير
ص.ب ٧٠٠٠٢٣ – الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٨٠٠ ١٢٤ ٢٢٧٧
Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،
الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠ بيسة،
اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،
الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،
مصر٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،
المغرب ١٥ درهمًا.

## الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.
سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.
سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

## للاشتراك

الرياض: هاتف: ٤٧٢٧٨٥٨-٤٧٢٧٨٤٦
فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Subscriptions@rawnaa.com

## للإعلان

الرياض: ٤٧٢٧٧٩٢ ـ ٤٧٨٥٣٢٢ ـ فاكس: ٤٧٢٧٨١٨
جدة: ٦٤٢٦٧٧٨ ـ ٦٤٢٧٨٨٩ فاكس: ٦٤٢٨٧٠٠
Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص . ب ٢٦٤٥٠ الرياض ١١٤٨٦
ص . ب ٤٠٧٠٣ جدة ٢١٥١١

الوطنية للتوزيع

# لا .. حرفان من ذهب أو.. من خشب!

«لا» حرفان من ذهب.. حينًا تكون.. وتكون حينًا من خشب!

إن قيلت حيثما وكيفما ينبغي كانت من الذهب الخالص، وإن لم يتفوه بها أو أُطلقت في الزمان والكيفية الخطأ كانت على المسامع وفي الشفاه كالخشب!

وحكاية «اللاء» طويلة طويلة، قديمة قديمة.. بدءًا بصاحب «لا» الرفض والعصيان والهلاك الأكبر، إبليس المطرود من الرحمة، وانتهاء بـ «لاءات» الفيتو بمجلس الأمن، والتي تصوغ عالم اليوم، مرورًا بـ «لا» لم يقلها أبوانا آدم وحواء عندما وسوس لهما عدوهما فأخرجهما من الجنة، و«لا» قالها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما عرضت عليه الدنيا على أن يتخلى عن أمر الرسالة، و«لا» بل ثلاث «لاءات» قيلت ولم تنفذ عندما اجتمع العرب المعاصرون - المعصورون! - في قمتهم في الخرطوم ليخرجوا عدوهم من فلسطين.

لا يمكن حصر اللاءات الشهيرة في التاريخ فهي أكثر من أن تعد وتحصر.. ولكن أحد دروس «اللاء» الواضحة هذا الزمان أن الأمم التي استطاعت أن تنظم كيف يقول أفرادها وشعوبها «لا» أمكنها أن تتقدم على الشعوب الأخرى التي إما أن تبتلع «لاءاتها» أو تموت بغيظها، أو تخرجها فوضوية هادرة محطمة هادمة لا تلبث أن تنطفي إلى حين آخر تعاود فيه عبثها، وإما أن تعيش - هذه الشعوب - لا مبالية سبهللاً لا يهمها إن كانت في المقدمة أم في الذيل أم تسقط - سهوًا - من التاريخ!

ذلك على مستوى الأمم والشعوب، أما على صعيد الأفراد فلكل منا حكاية مع «لا» بدءًا باللاء المصحوبة بالصراخ عند الفطام مرورًا بـ «لا» اليوم الأول في المدرسة، و«اللاء» التي تقال قبل الذهاب وفي أثناء القعود على كرسي طبيب الأسنان، وانتهاء بآخر «لا» هامة تتذكرها أيها القارئ.

غير أن كثيرًا منا له حكاية خاصة مع «لاءات» خاصة مثلت «منعطفًا تاريخيًا» في حياته عندما قالها - مثلاً - لإبليس أو أحد أحفاده أو لنفسه الأمارة بالسوء أو لأحد أصحابه أو لرئيسه في العمل أو لرئيسه في «البيت» أو لصاحب البقالة.. المهم أن ما أعقب هذه الـ «لا» كان «أمرًا خطيرًا» و«منعطفًا تاريخيًا» كالذي تشهده أمتنا العربية المناضلة (التي لا تخرج من منعطف إلا وتدخل في آخر، لأنها لا تعرف أن تقول «لا»، أو هي تقولها أحيانًا ولكن في الوقت الذي ينبغي أن تقول فيه نعم!).

في ملف المعرفة لهذا العدد نصحبكم مع السيدة «لا» وتجارب البعض معها، آملين أن نخفف عنكم من لهيب الصيف الذي لا يفارق منطقتنا العربية «التي تمر أيضًا بمنعطف تاريخي».. وإسهامًا منا في حملة «لا للسياحة الخارجية».. نرجوكم ابقوا معنا في هذا الملف/المنعطف، واقرؤوا أحرف الذهب أو.. الخشب! المعرفة




# هكذا هكذا وإلا فلا لا

مظفر بشير * - بغداد

*أكاديمي عراقي .

**(لا) حرف جواب يفيد النفي والرفض القاطع والإنكار أحيانًا، مقابل (نعم) حرف الجواب الذي يفيد الإثبات والرضا والقبول، وهما يمثلان موقفين متناقضين من مواقف الإنسان المهمة، إذ يكون فيها المرء مسؤولاً عن كلامه وعن تعهداته.**

فإذا قال نعم كان مسؤولاً عن الموافقة والرضا والقبول وما تجر من مواقف وتبعات، فإن أيقن أنه قادر على كل ذلك فليقلها وإلا فليحجم عنها إلى ضدها فيقول (لا)، وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه
فإن نعم دين على الحر واجب

فإن لم يستطع أداء هذا الدين فليقل (لا) ليستريح ويريح الآخرين من تبعاتها.

فقول (لا) في بعض المواقف تكون هي المفضلة، وفيها السلامة والراحة والتخلص من أعباء المسؤوليات المختلفة. قال بعضهم (لا أدري) - وهي من أخوات لا - نصف العلم إذا قلت أدري سألوك حتى لا تدري، وإذا قلت لا أدري علموك حتى تدري.

و(لا) تكون ملائمة لبعض الأمزجة الراضية بالقليل القانعة، وللنفوس المطمئنة الهادئة، فهذا جميل بثينة العذري المزاج والهوى يقول:

وإني لأرضى من بثينة بالذي
لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بـ لا وبألا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله

ولكنه يرفض البوح بحبها بقوة وإصرار، فيلجأ إلى تأكيد النفي لفظيًا بتكرار (لا) فيقول:

لا لا أبوح بحب بثنة إنها
أخذت علي مواثقًا وعهودا

ولكن ألست ترى معي أيها القارئ العزيز أن هذا الإصرار على نفي البوح بالحب يخفي وراءه حبًا عذريًا طاغيًا، وأن هذا النفي المؤكد هو أبلغ في التعبير من هذا الحب الطاغي من الإقرار والإشهار؟

وقد قابلته بثينة حبًا بحب، وإخلاصًا بإخلاص وتضحية بتضحية، وثباتًا على الحب بمثله، فهي تقول بعد سماعها نعيه:

وإن سلوي عن جميل لساعة
من الدهر لا حانت ولا حان حينها

سواء علينا ياجميل بن معمر
إذا مت بأساء الحياة ولينها

فهي ترفض النسيان، وتقر دوام الحب ودوام الحزن. فهي بعد وفاته، موقفها ثابت مهما تغيرت ظروف الحياة.

وليس جميل وحده يلجأ إلى تكرار (لا) مؤكدًا النفي والرفض، فهذا المتنبي في أحد مدائحه يتباهى بالمعالي التي وصل إليها ممدوحه، ويطلب من الطامحين إلى أمثالها أن يحذوا حذوه، وإلا فإنهم يظلون بعيدين عنها فيقول:

ذي المعالي فليعلون من تعالى
هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقد قلنا إن (نعم) هو حرف جواب يفيد الإيجاب والرضا والقبول، ولكن هذا يكون في السؤال المثبت فقط. أما في السؤال المنفي، وهو الذي يجتمع فيه سؤال ونفي، فتكون (بلى) هي حرف الإيجاب، و(نعم) هو حرف النفي، فيكون أخًا لـ (لا) في هذه الحالات قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾.

فالسؤال المنفي (ألست) فيه همزة الاستفهام والفعل الناقص ليس الذي يفيد النفي. ومن طريف ما يروى في هذا الباب أن واعظًا كان يشرح هذه الآية الكريمة، وقال فيما قال إن الذرية لوقالت (نعم) لكفرت والعياذ بالله، فسمع مقولته أحد السذج فظن أن كلمة (نعم) هي كفر وخرج من المسجد، وصادف أخًا له، ودار بينهما حوار قال فيه صاحبه نعم، فقال له كفرت وإن لم تصدق فاسأل إمام الجامع فهو الذي قال ذلك.

وقد تعطف جملة منفية بـ (لا) على جملة منفية بها أيضًا بوساطة أحد أحرف العطف كقول الشاعر:

لا يعــرف الشــوق إلا من يكابده ولا
الصــبابة إلا من يعــانيــهـا

وقد يقول قائل هذا عطف جملة غير فعلية على فعليه، فأقول بل هما جملتان فعليتان والتقدير: لا يعرف الشوق إلا المكابدون، ولا يعرف الصبابة إلا المكتوون بنارها فلا مكان للمدعين الذين يهرفون بما لا يعرفون كما يقول ابن الفارض:

فــقل لقــتـيل الحب وفـيت حــقــه
وللمـدعي هيـهـات مـا الكحل الكحل

والكحل بفتحتين هو سواد العين والأجفان الطبيعي، والكحل هو السواد المجلوب.

وأحيانًا تأتي لا النافية معطوفة على أختها ما النافية لأنهما يؤديان المعنى نفسه كقوله تعالى: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ فـ«لا» هنا تؤكد معنى أختها «ما» وإن قال النحاة عنها إنها الزائدة، فلا زيادة في الأساليب المحتذاة وأسماها لغة القرآن الكريم.

لا تــلــمــنــي فــي هــواهــا
أنــا لا أهــوى ســـــواهــا
لـغـــــة الـقــــــرآن هــذي
رفـــع الــلـــــه لـــواهــا
هــي أم الفــــخـــر فــاحنوا
عــند ذكـــــراها الجـــبـــاهـا

ويحـضـرني في معنى (لا) و(نعم) قول الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين، إذ يقول:

مـــا قـــال (لا) قط إلا في تشــهــده
لولا التـــشـــهـــد كـــانت لاؤه نعم

وفي هذا كناية عن تلبية الإمام لسؤال الناس وعدم رفضه دعواتهم وطلباتهم، فهو لايقول لا إلا في التشهد وكلمة التوحيد والتهليل.

وعند دخول (لا) على الفعل المضارع تجعل زمانه شاملاً الحاضر والمستقبل كقوله تعالى: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾

وقوله: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق﴾.

وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لايخلف الميعاد﴾.

أما إذا دخلت على الفعل الماضي ولم يكن في الجملة ما يدل على النفي فإنها تفيد الدعاء كقول الشاعر:

ألا يـا اسـلـمـي يـادار مـي عـلـى الـبــــلا
ولا زال مـنـهــــلاً بـجــرعـــائـك الـقـطـر

والدعاء بنزول الغيث هو دعاء بالخصب والنماء والخير كما هو معروف، وكقولنا: لا زالت أيامكم أعيادًا، ولا شلت يمينك، ولا فض فوك.

وكقول خالد بن الوليد وهو على فراش الموت: وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا قرت أعين الجبناء، أي لا فرحوا على المذلة والجبن والرضا بجور الأعداء.

ومن ذاك قول أبي فراس الحمداني مخاطبًا التي وعدته بالوصل وظلت تماطل حتى أحس بدنو أجله، مشبهًا وصلها بالغيث، وهجرانها بالظمأ، ويتساءل ما نفع المطر إذا مات ظامئًا ويدعو ألا ينزل:

فرمي لقوله هذا بالأثرة ووازنوا بينه وبين قول المعري:

فـــــــلا هـطـلـت عـلـي ولا بـأرضـي
ســــحــــائب لـيس تـنـتـظـم الـبــــلادا

فقالوا هذا هو الإيثار وتلك هي الأثرة وقد ظلموا بذلك أبا فراس، وويل للشجي من الخلي كما قالوا قديمًا.

ومن ذلك قول ذلك البائس الذي بلا أخاه في النوائب فلم يجده إلا معرضًا فدعا بأن تزيد الشقة بينهما فلا يلتقيان فيقول:

فـــلا زاد مـــا بيـنـي وبينك بعـــدمـــا
بـلـوتـك فـي الحــاجـــات إلا تـنـائـيًـــا

ويذكرني هذا الدعاء وهذا التمني بتمني المتنبي مخاطبًا كافور:

أمـــا الأحـــبـــة فـــالبـــيـــداء دونهم
فـليت بينك بيـــدًا دونـهـــا بيـــد

ومن ذلك قول ذلك الشاعر الذي يهمه رضا الطيبين من عشيرته ويدعو أن يبقى ويدوم الهجران بينه وبين الأشرار اللئام منها:

إذا رضـــيت عني كـــرام عـــشـــيـــرتي
فـــلا زال غـــضـــبـــانًا علي لئـــامـــهـــا

ومثله تمني المتنبي ودعاؤه ألا يكون أولئك الأجواد الذين لا يتعدى جودهم اللسان فيقول:

جـــود الـرجـــال مـن الأيدي وجـــودهـم
مـن الـلـســـان فـــلا كـــانوا ولا الـجـــود

وقد تفيد (لا) الدعاء أيضًا وهي داخلة على فعل المضارع إذا كان السياق دالاً على ذلك ومنه قول المتنبي في سيف الدولة:

لا يحـزن الله الأمـيـر فـإنني
لآخـذ من حـالاته بنصـيب
وإني وإن كان الدفين حبيبه
حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي

ومن أسـاليب الدعـاء بـ«لا» أن تدخل على المصـادر المنصوبة بفعل محذوف من لفظها كقوله تعالى: ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالو النار. قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قد قدمتموه لنا فبئس القرار ﴾.

وينسج الشاعر على هذا المنوال فيقول:

لا مـرحـبًـا بغـد ولا أهلاً به
إن كـان تفـريق الأحـبـة في غـد

وتأتي لا مفيدة النفي والرفض والنكران كما ذكرنا بهدوء لتؤدي ما أريد منها وتوصل ما طلب منها وقد تأتي بضجة وغليان وهدير مجلجل، فتغير مجرى الأحداث، وتقلب الموازين، وتشعل نيران الفتن والحروب، وتسجل الأحداث الجسام، وتغير الأمور من حال إلى حال. فلا الإبليسية عندما قال صاحبها لرب العزة لا أسجد لبشر خلقته من طين. فقال الله تعالى: ﴿ فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ فسببت هذه الـ(لا) المتكبرة اللعينة خروج أبوينا من الجنة وإغواء ذريتهما إلى يوم يبعثون.

وعلى العكس منها الـ(لا) النبوية الشريفة التي نطق بها النبي الأمين ﷺ بحضرة عمه أبي طالب سنده وحاميه «لا أدع هذا الأمر أو أهلك دونه» فكانت سببًا في انتشار دين الله في معظم المعمورة بسرعة أذهلت المراقبين وعدالة لم يكن لها نظير في العالمين.

وتأتي لا وحدها كما شهدنا وتأتي مدغمة بأن المصدرية الناصبة كقوله تعالى ﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله ﴾، وقوله ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾.

وتأتي بعد كي التعليلية كقوله تعالى ﴿ كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم ﴾.

كما تأتي مدغمة بـ«إن» الشرطية كقوله تعالى:

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ﴾.

وقوله: ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾.

ومن ذلك قول الشاعر:

فـإمـا أن تكون أخي بصـدق
فـأعـرف منك غـثي من سـميني
وإلا فـاطرحـني واتخـذني
عـدوًا أتقـيك وتتـقـيني

وقول آخر:

وإلا يكن عظمي طويلاً فـإنني
له بالفـعـال الصـالحـات وصـول

وقد تأتي إلا الاستثنائية بعد لا النافية فتزيد الجملة تأكيدًا والنفي والاستثناء أحد أساليب التأكيد المعروفة كقوله تعالى: ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ﴾ وقوله: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ﴾ وهنا ينفي العلم عن غير الله سبحانه ويحصره فيه وحده.

وتدخل (لا) النافية على الجمل الاسمية فتعمل عمل ليس، وهو قليل على أن يكون اسمها وخبرها نكرتين كقولهم: (لا أحدٌ خيرًا من أحد إلا بالعافية) وإذا جاء بعدها معرفة كانت مهملة وجاء بعدها المبتدأ والخبر ووجب تكرارها كقوله تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾، أو تعمل عمل إن التي هي من الأحرف المشبهة بالفعل التي تنصب المبتدأ

وترفع الخبر وتفيد توكيد الجملة المثبتة كقوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾.

وكما تفيد توكيد الإثبات فإن لا العاملة عملها تفيد توكيد النفي كقول المتنبي:

لا خـيل عندك تهـديهـا ولا مـال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وتسمى نافية للجنس لأنها تنفي الخبر عن جنس المبتدأ، بينما لا العاملة عمل ليس تسمى لا النافية للوحدة، أي أنها تنفي الخبر عن واحد من الاسم فنقول:

(لا رجل في الدار بل رجلان) ونقول (لارجلَ في الدار بل امرأة)

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فيها أسلوبان من التوكيد، الأول لا النافية للجنس، والثاني «إلا» التي هي أداة استثناء ملغاة أو أداة حصر. ففي الكلمة نفي قاطع للألوهية عن غير الله وإثبات وحصر لها فيه جل جلاله.

ونجد القرآن الكريم يلجأ إلى (لا النافية للجنس) في المواقف الحاسمة والأحكام القاطعة والمواضيع المهمة من ذلك قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾، وقوله: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾، وقوله: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾، وقوله: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾، وقوله: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾.

وقد يحذف خبر لا هذه في بعض الجمل التي يكثر دورانها على الألسنة، وحين يكون الخبر كونًا عامًا لا خاصًا، أي أن يكون تقدير الخبر (موجود أو كائن) وذلك في مثل قولنا: لاشك، لاريب، لامحالة، لاجرم، لاعجب، لاغرو، لابد، قال تعالى: ﴿لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.

وقال الشاعر:

ألا كل شيء مـا خـلا الله باطل
وكل نعـيم لا مـحـالة زائل

وقال آخر:

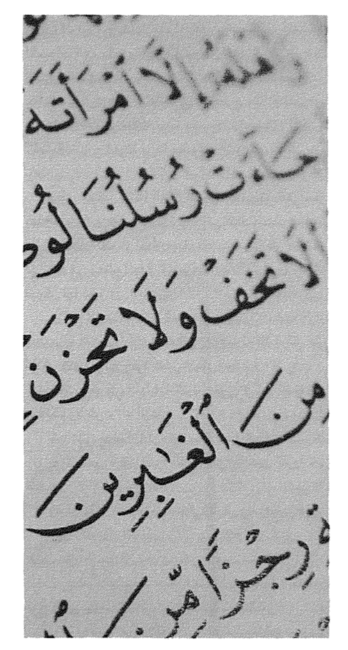
ومـا المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يومًـا أن ترد الودائع

كان الحديث كله عن لا النافية الرافضة بأشكالها المتعددة، والآن حان الحديث عن لا الناهية، كانت لا النافية خبرية، أما الناهية فهي طلبية إنشائية وهي جازمة للفعل المضارع بعدها وأكثر ما يكون للمخاطب، فإذا كان هذا المضارع صحيح الآخر كان السكون علامة الجزم كقوله تعالى: ﴿ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا﴾، وقوله: ﴿قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾. وقول حافظ إبراهيم:

لا تلم كـفي إذا السـيف نبـا
خـاب مني العـزم والدهر أبى

أما إذا كان معتل الآخر فيجزم بحذف حرف العلة كقوله تعالى:

﴿ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾، (المحذوف هو الواو). وقوله



تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾. (المحذوف هو الياء).
وقول الشاعر:
لاتنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
(المحذوف هو الألف)

أما إذا كان الفعل بعدها من الأفعال الخمسة فإنه يجزم بحذف النون، قال تعالى: ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾.

وقال أيضًا ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغداً ولاتقربا هذه الشجرة﴾.

وقال أيضًا ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾. أما قوله تعالى: ﴿قال هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولاتخزون﴾، فأصل تفضحون - تفضحوني، وأصل تخزون - تخزونني وقد حذفت ياء المتكلم فيهما تخفيفًا ومراعاة للفاصلة.

وتأتي لا الناهية مدغمة بعد أن، كقوله تعالى: ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾، وقوله: ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾.

وقد يأتي بعدها الفعل مضارعًا متصلاً بنون التوكيد الخفيفة، وهي نون واحدة ساكنة، والثقيلة وهي نونان، النون الأولى ساكنة مدغمة بالثانية المفتوحة فيبنى الفعل حينئذ على الفتح ويكون في محل جزم كقوله تعالى: ﴿ولا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾، وقوله تعالى: ﴿ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ وقوله: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾.

وكقول الشاعر:
لا تمدحن أمرءًا حتى تجربه
ولا تذمنه من غير تجريب

وقد يكون الفعل المضارع بعد لا الناهية غير مسند إلى ضمير المخاطب مباشرة كقوله تعالى: ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾، وقوله: ﴿ولايأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى﴾، وكقولنا: لايغلبن جهل الناس بك معرفتك بنفسك ولا يغلبن هواك عقلك ولا يأخذن حلمك من كرامتك فيكون حلمك آنئذ كحلم المتنبي:
كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لا جيء إليها اللئام

والنهي هو طلب الكف عن عمل من الأعمال وصيغته هو لا الناهية المتلوة بفعل مضارع مجزوم بها، ويكون حقيقيًا من الناحية البلاغية إذا كان صادرًا من عال إلى من هو أدنى منه قادر على إلزامه بالكف عن العمل وإلا فهو نهي مجازي خارج عن معناه الأصلي إلى معان تفهم من سياق الكلام. من هذه المعاني الدعاء وذلك إذا كان الأمر معكوسًا والنهي صادرًا عن دان إلى عال، كدعائنا الوارد في القرآن ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾.

وإذا كان النهي متداولاً بين أخوين، أو زميلين كان خارجًا إلى الالتماس كقول المعري:
لا تطويا السر عني يوم نائبة
فإن ذلك ذنب غير مغتفر

وقول الصافي النجفي:
اقذفوني في الفلا من بعد موتي
حبذا عيشي وموتي في الفلاة
لا تزجوني بقبر إنني
أكره السجن ولو بعد مماتي

وقد يخرج النهي إلى معنى النصح والإرشاد كالنواهي المودعة لأمية ابن الوردي التي مطلعها:
أعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل
والتي يقول فيها:
اطلب العلم ولا تكسل فما
أبعد الخير على أهل الكسل!
لا تقل أصلي وفصلي أبدًا
إنما أصل الفتى ما قد حصل

وقد يخرج النهي المجازي إلى التمني إذا كان المخاطب لا يعقل كقولنا للفجر:
(لاتطلع) وقد يخرج إلى إظهار الشوق والحنين كقول ابن زيدون في نونيته:
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا
إذ طالما غير النأي المحبينا

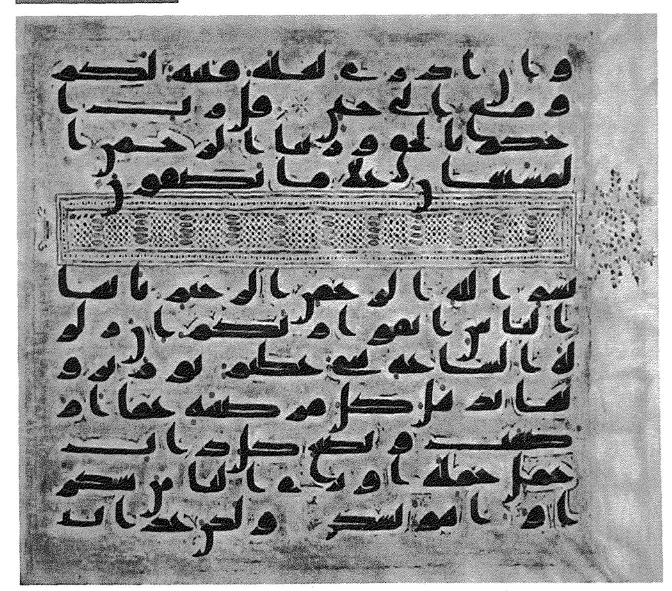
أو إلى الاستعطاف كقول كعب بن زهير في البردة في حضرة رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم:
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت في الأقاويل

وآخر ما تسعفنا به «لا» هو مالا يدرك كله لا يترك جله ولا يدرك الكمال إلا الله. ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين والسلام. ■

هلاّ قرأت شيئاً من النحو :

# ضروب « لا » ودلالاتها

جواد محمد الدخيل* . الرياض



*أستاذ مساعد قسم اللغة العربية . جامعة الملك سعود .

**اللغة وعاء المعرفة، فلا سبيل إلى الوصول إلى المعرفة إلا بعد إتقان اللغة. وتحتاج الحروف من بين أقسام الكلم إلى فضل نظر، لما يعتري دلالاتها من تنوع يقود إلى اختلاف في أعاريبها، فينبغي لمتعلم العربية إحكام هذا الباب خشية أن يؤدي به اللبس بين وجوه الحرف الواحد إلى الخلط في الدلالة والإعراب، ولا سيما أن أثر هذا اللبس قد يتجاوز الحرف إلى ما يليه من الكلام، ولهذه العلة خصَّ نفر من النحويين الحروف بكتب مفردة كالزجاج والرماني والمالقي والمرادي وابن هشام.**

**ومن الحروف التي يجدر بالدارس النظر فيها «لا» لكثرة ترددها في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام الفصحاء، علاوة على حاجة الناس إليها في مخاطباتهم وكتاباتهم، ومن هنا حَسُنَ أن تخصص هذه المقالة لعرض ضروب «لا» وشرح دلالاتها، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.**

ترد «لا» على ثلاثة ضروب هي:

* «لا» النافية.
* «لا» الناهية.
* «لا» الزائدة.

**الضرب الأول: «لا» النافية:**

ليس النحويون على كلمة سواء في كيفية تقسيم «لا» النافية، ولعل الأولى أن يقال إنها تنقسم إلى سبعة أقسام:

***«لا» النافية المهملة:**

وهي أكثر أقسام «لا» النافية شيوعًا، لأنها تدخل على الجمل بنوعيها والمفردات، وعلامتها أنها تدل على النفي المجرد [١] مع كونها مهملة غير عاملة. ولهذا الحرف حالتان:

**الحالة الأولى:** أن يليه جملة فعلية فعلها مضارع فلا يجب تكراره نحو قوله تعالى: ﴿لا يُحبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بالسُّوءِ منَ الْقَوْلِ﴾[٢]. ويجوز حذفه إذا وقع جواب قسم كقوله تعالى: ﴿تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[٣]، لأن القرينة تدل عليه، إذ لو كان الفعل مثبتًا لوجب أن يُصدَّر بلام جواب القسم وأن يُختم بنون التوكيد.

**الحالة الثانية:** أن يليه غير الفعل المضارع فيجب تكراره، كأن يدخل على جملة فعلية فعلها ماض نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ﴾[٤]، أو جملة اسمية كقوله تعالى: ﴿لا فيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[٥]، أو مفرد، والغالب أن يكون خبرًا مثل «زيدٌ لا شاعرٌ ولا كاتبٌ»، أو ما يقوم مقام الخبر كقوله تعالى: ﴿إنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ﴾[٦]، أو صفةً كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾[٧]، أو حالاً مثل: «رجع الجيش لا منتصرًا ولا مهزومًا».

والراجح أن «لا» النافية المهملة فيما مضى هي الأولى فقط، أما الثانية فهي مؤكدة لها.

و إذا دخلت «لا» النافية المهملة على غير الفعل المضارع ولم تكرر دلت على الدعاء كقوله تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[٨]، ولهذا فرّق النحويون بين «ما زالَ» و«لا زالَ»، فقالوا إن الفصيح أن تدلّ الأولى على الإخبار بالنفي، وأن تدلّ الثانية على الدعاء كما في قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار ميٍّ على البلى
ولا زالَ منهلاً بجرعائك القطْرُ[٩]

*** «لا» النافية للجنس:**

النفي بهذا الضرب من «لا» يراد به استغراق النفي بأسره حتى لا يخرج عنه أحد من أفراده، فإذا قيلَ: «لا رجلَ في الدار» فليس المراد أن في الدار رجلين أو رجالاً لا رجلاً واحدًا، بل المراد نفي وجود جنس الرجال بأسره.

وتعمل «لا» النافية للجنس عمل الحروف الناسخة فتنصب الاسم وترفع الخبر، ولكن هذا مقيد بشروط هي:

- أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، لا معرفتين نحو: «لا القومُ قومي ولا الأعوانُ أعواني».
- ألا يُفصلَ بينها وبين اسمها بفاصل نحو:

«لا ميدانَه تاركٌ الجنديُّ ولا سلاحَه».

- ألا يتقدمَ خبرها على اسمها نحو : «لا في العجلة خيرٌ ولا في التواني».

- ألا ينتقضَ نفيها بدخول «إلا» على خبرها نحـو : «لا خـيـرٌ إلا في التـقـوى ولابرٌّ إلا في الطاعات».

- ألا يدخلَ عليها حرف جر نحو: «جئت بلا زادٍ».

فـإذا انتـفى أحـد الشـروط الأربعـة الأوائل تحـولت «لا» النافـيـة للجنس إلى «لا» النافـيـة المهملة، فوجب إهمالها وتكريرها، وإذا انتفى الشرط الأخير تحولت إلى «لا» المعترضة.

ولم يبحث النحويون «لا» النافية للجنس مع الحروف الناسخة في باب واحد على الرغم من اتفاقهن في العمل، بل أفردوا لها بابًا مستقلاً، لما تميز به إعراب اسمها من خصائصَ فرّقت بينها وبين سائر الحروف الناسخة. وقد اقتضى شرح إعراب اسم «لا» النافية للجنس تقسيمه تقسيمًا مغايرًا للتقسيم المألوف؛ إذ يقسم إلى مفرد، ومضاف، وشبيه بالمضاف[10] . و يراد بالمفرد ما ليس مضافًا ولا شبيهًا بالمضاف وإن كان مثنى أو مجموعًا، وحكمه أن يُبنى على ما يُنصب به؛ فيُبنى على الفتح إن كان غير مثنى أو مجموع كقوله تعالى :﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾[11] أو كان جمع تكسير مثل: «لا رجالَ في البيت»، ويُبنى على الياء إذا كان مثنى نحو قول الشاعر:

تعزَّ فلا إلفَينِ بالعيش مُتّعا
ولكن لوُرّادِ المنونِ تتابعُ

وكذلك إذا كان جمع مذكر سالمًا كقول الشاعر:

يُحشرُ الناسُ لا بنين
ولا آباءَوقد عنتهم شؤونٌ [12]

أما إذا كان جمع مؤنث سالمًا فإنه يُبنى على الكسر نحو قول سلامة بن جندل:

أودى الشبابُ الذي مجدٌ عواقبُه
فيه نَـلَذُّ ولا لذّاتِ للشيبِ

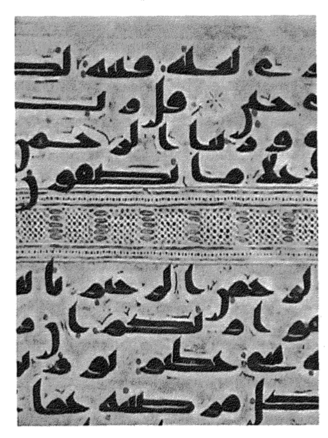
وقد ذهب بعض النحويين إلى جواز بناء الاسم في هذه الحالة على الفتح، لكن هذا القول مرغوب عنه .

وإذا كان اسم «لا» النافية للجنس مضافًا أو شبيهًا بالمضاف فإنه يكون معربًا منصوبًا. والشبيه بالمضاف هو ما جاء بعده شيء يكمل معناه على ألا يكون ذلك الشيء التالي مضافًا إليه، ومن أمثلة الشبيه بالمضاف: «لا قاعدًا عن البرّ معذورٌ» و «لا قبيحًا فعلُه ممدوحٌ» و«لا بائعًا دينَه رابحٌ»، ومن أمثلة المضاف: «لا صاحبَ علم مموتٌ» و«لا خائني وطنٍ سالمون». والذي يلاحظ من تتبع اسم «لا» النافية للجنس في القرآن الكريم وكلام العرب أن اسمها يأتي غالبًا مفردًا غيرمثنى ولا مجموع.

أما خبر «لا» النافية للجنس فهو مرفوع دائمًا نحو «لا متهاونَ معذورٌ»، لكن الغالب في كلام العرب أن يأتي خبرها جملة أو شبه جملة فلا يظهر هذا الرفع. و يكثر في الكلام الفصيح حذف خبرها إذا كان مفهومًا من السياق ككلمة التوحيد : «لا إلهَ إلا الله» إذ التقدير: لا إلهَ موجودٌ، ومثله قوله تعالى:﴿ قَالُوا لا ضَيْرَ ﴾[13]، وقول الناس: «لا بأسَ». ومن هذا الباب «لا سيَّما» نحو: «أحبُّ الفاكهةَ ولا سيَّما التفاحِ»، إذ «سيّ» (ومعناها: مثل) اسم «لا» النافية للجنس منصوب لأنه مضاف، و«ما» زائدة، و«التفاحِ» مضاف إليه مجرور، والخبر محذوف تقديره «موجود»، فيكون المعنى: لا مثلَ التفاحِ موجودٌ[14] .

*** «لا» المشبهة بليس:**

يدلّ هذا الحرف على النفي المطلق وهو ما يجعل



دلالته مختلفة بحسب السياق؛ فقولنا: «لا رجلٌ في الدار» يحتمل أن يكون معناه ليس في الدار رجلٌ واحدٌ بل رجلان أو أكثر، ويجوز أن يكون المراد نفي وجود جنس الرجال في البيت، والقرينة السياقية هي التي تحدّد أحد المعنيين. و قد ذهب بعض النحويين إلى قصر دلالة هذا الحرف على الاحتمال الأول وسمّوه ـ بناءً على هذا ـ «لا» النافية للوحدة، و لكن ما سيأتي من شواهد يطغى عليه استعمال «لا» المشبهة بليس لنفي الجنس خلافًا لما ذكروه .

ويعمل هذا الحرف ـ كما يدل اسمه ـ عمل «ليس»، فيرفع الاسم وينصب الخبر كما في قول الشاعر:

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرض باقيا

ولا وَزَرٌ مما قضى الله واقيا

لكن يُشترط لعمل «لا» عمل «ليس» شروط إذا انتفى واحد منها وجب معاملتها معاملة «لا» النافية المهملة، وهي:

- عدم تقدم خبرها على اسمها نحو: «لا في الدار رجلٌ ولا امرأةٌ».
- ألا ينتقضَ نفيها بدخول «إلا» على خبرها نحو: «لا سعيٌ إلا مثمرٌ ولا اجتهادٌ إلا مُجدٍ».
- ألا يُفصلَ بينها وبين اسمها بفاصل نحو: «لا خيرًا هو عاملٌ ولاشرًا».

وزاد جمهور النحويين شرطًا رابعًا هو: أن يرد اسمها وخبرها نكرتين، وقد أنكر هذا بعض النحويين محتجّين بمثل قول النابغة الجعدي:

وحلّت سوادَ القلب لا أنا باغيًا

سواها ولاعن حبها متراخيًا

وتحسن الإشارة إلى أن خبر «لا» المشبهة بليس ـ كما هو الحال في خبر «لا» النافية للجنس ـ يكثر حذفه إذا كان مفهومًا من السياق كما في قول سعد بن مالك:

مَن صدَّ عن نيرانها

فأنا ابن قيس لابراحُ

أي لا براحُ لي.

ويجوز ـ خلافًا لخبر «لا» النافية للجنس ـ أن تدخل الباء حرف الجر الزائد على خبرها كما في قول الشاعر:

وكُنْ لي شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ

بمغنٍ فتيلاً عن سوادبن قاربِ

وينبغي أن يُختم البحث في هذا الحرف بالإشارة إلى أنه قليل الدور في كلام العرب حتى إن بعض النحويين منع استعماله في النثر، وجعله مقصورًا على الضرورة الشعرية. وهذا القول فيه غلوّ، لكنه يؤكد ما سلف ذكره من قلّة ورود هذا الحرف في لسان العرب.

*** «لا» الجوابية:**

يُستعمل هذا الحرف ـ وهوحرف مهمل لا عمل له ـ للرد بالنفي على سؤال مثبت نحو:«أوصل الضيفُ؟» أو أمر نحو: «أقرضني»، وتستعمل «نَعَمْ» للرد على هذين بالإيجاب. أما إذا كان السؤال مقرونًا بالنفي نحو:«ألم يصل الضيف؟» فالفصيح استعمال «نعم» للرد بالنفي، و«بلى» للرد بالإيجاب، وإن كان استعمال «لا» للرد بالنفي صحيحًا.

و«لا» الجوابية تقوم مقام جملة لأن قولنا: «لا» جوابًا لمن سأل:«أوصلَ الضيفُ» تقديره: لا، لم يصل الضيفُ. فحُذفت جملة الجواب لدلالة السؤال عليها، وقامت «لا» مقامها.

*** «لا» المعترضة:**

هي التي تقع بين حرف جر واسم مجرور، والمسموع عن العرب وقوعها بعد ثلاثة من حروف الجر:

- الباء نحو: «عاقبتُه بلا ذنبٍ».
- «مِن» نحو: «غضبت من لا شيءٍ».
- الكاف ـ وهي أقلهن استعمالاً ـ نحو: «هو وكلا شيءٍ سواءٌ».

والأقوى في تخريج هذا الأسلوب ما ذهب إليه سيبويه من أن «لا» والاسم الذي يليها عوملا معاملة الاسم الواحد، وهذا هو الأساس الذي بنى عليه اللغويون المحدثون بعض الألفاظ التي وضعوها لترجمة عدد من المصطلحات الأجنبية الحديثة نحو «اللاشعور» ترجمة THE UN-CONSCIOUS، و«اللافقاريات» ترجمة IN-VERTEBRATES، ونحوهما ؛ إذ جعلوا «لا» والكلمة التي تليها بمنزلة اللفظة الواحدة.

وقد ذهب كثير من النحويين إلى أن «لا» هنا زائدة لفظًا لا معنى، وهذا يُلبس على المتعلم؛ لأن الذي يسبق إلى ذهنه من وصف الحرف بالزيادة أنه جائز الحذف وهو أمر متعذر هنا إذ ينقلب معنى الجملة لو حُذفت «لا» منها. وذهب آخرون إلى أن «لا» في مثل هذا التركيب اسم بمعنى «غير» وأن الاسم الذي يليها مجرور بالإضافة،

وتخريج سيبويه أولى لأنه لا يُحوج إلى دعوى الاشتراك في «لا» بين الاسمية والحرفية.

*** «لا» العاطفة:**

هي حرف يدل على إثبات الحكم للمعطوف ونفيه عن المعطوف عليه نحو: «جاء أخوك لا أبوك»، والشاهد على هذا من كلام العرب قول امرئ القيس:

كأنَّ دِثارًا حلقتْ بلبونِهِ

عُقابُ تَنُوفى لا عُقابُ القواعلِ[١٥]

ويُشترط لمجيء «لا» عاطفةً ما يلي:

- أن يسبقها إثبات نحو: «جاء زيدٌ لا عمروٌ» ، أو أمر نحو:«كن أبيًا لا ذليلاً»، أو نداء نحو: «يا صالحُ لا خالدُ».

- ألاّ تقترنَ بحرف عطف، فإذا قيل: «ما جاءَ زيدٌ ولا عمروٌ» كانت «لا» مؤكدةً للنفي لا عاطفةً لاقترانها بحرف العطف الواو.

- أن يتعاند معطوفاها؛ أي لايكون أحدهما داخلاً في مدلول الآخر، فلا يجوز: «أكلت تفاحًا لا فاكهة»؛ لأن المعطوف عليه (التفاح) داخل في مدلول المعطوف (الفاكهة).

- أن يكون معطوفاها مفردين؛ إذ لاتعطف «لا» الجمل ولا أشباه الجمل.

*** «لا» المؤكدة للنفي:**

هي «لا» التي تأتي بعد الواو العاطفة المسبوقة بنفي أو نهي، وأكثر ما ترد في كلام العرب بعد النفي كقوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾[١٦] وقوله عزّ و جلّ: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[١٧]، ومثال مجيئها بعد النهي:«لا تصحب الكذاب ولا البخيل».

ويسمّي كثير من النحويين هذا الحرف «لا» الزائدة إشارة إلى إمكانية الاستغناء عنه في كثير من مواضع استعماله، لكن هذه التسمية مُلبسة على المتعلم؛ إذ قد يتوهم أن وجوده كعدمه، وأن المعنى لايتأثر البتة بسقوطه، في حين أن «لا» هذه ـ علاوةً على دلالتها الإجمالية على توكيد النفي ـ كثيرًا ما يكون الإتيان بها ضروريًا لفهم المعنى كما في قولهم: «ما زارني زيدٌ ولا خالدٌ»؛ إذ لو حُذفت «لا» هنا لربما توهّمَ السامع أن المراد نفي زيارة زيد وخالد معًا دون التعرض لأمر زيارة كلٍّ منهما على حدة، ولهذه العلة يسمي بعض النحويين «لا» هنا «لا» المُحَقّقة، بل قد يكون ذكر «لا» المؤكدة للنفي واجبًا؛ وذلك إذا دخلت على كلام معطوف على جملة منفية بـ«لا» النافية المهملة وليست جملة فعلية فعلها مضارع كقوله تعالى: ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ﴾[١٨] . لهذا كله يحسن قصر مصطلح «لا» الزائدة على التي تدخل على الكلام المثبت فلا تحوله إلى نفي ولاتؤثر فيه البتة.

**الضرب الثاني : «لا» الناهية:**

هي «لا» التي تدخل على الفعل المضارع لإفادة طلب الكفّ عن فعل شيء، فيكون الفعل المضارع بعدها مجزومًا دالاً على الاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾[١٩]، وتسمّى «لا» الدعائية إذا كان المخاطَبُ بها اللهَ عزّ و جلّ كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا ﴾[٢٠]، ولهذا يفضل بعض أهل النحو أن تسمّى «لا» الطلبية؛ لأن الطلب يدخل فيه النهي والدعاء كما هو مقرّر في علم المعاني.

وأكثر ما تستخدم «لا» الناهية قبل الفعل المضارع المبدوء بتاء المخاطب كما في قوله عزّ و جلّ:﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[٢١]، أو الفعل المضارع المبدوء بياء الغائب كما في قوله تعالى: ﴿ لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾[٢٢]، وقلما تأتي قبل الفعل المضارع المبدوء بالهمزة أو النون كما في قول تأبّط شرًا:

لا ألفينّكَ بعدَ الموتِ تندبني

وفي حياتيَ ما زوّدْتني زادي

وقول الفرزدق:

إذاما خرجنا من دمشقَ فلا نَعُدْ

لها أبدًا ما دامَ فيها الجُراضمُ[٢٣]

ويجوز حذف مجزوم «لا» الناهية إذا دلّ عليه دليل نحو:«انصح أخاك ما أصغى إليك وإلا فلا» أي: فلا تنصحه. ويجب حذف مجزومها إذا ناب عنه مصدرٌ دال على النهي نحو: «قيامًا لا قعودًا» أي: قم قيامًا ولا تقعدْ قعودًا.

**الضرب الثالث : «لا» الزائدة:**

هي «لا» التي تدخل على الجملة فلا تحدث فيها أثرًا معنويًا ولا إعرابيًا، بل لا يتضح المعنى إلا بحذفها كما في قول الأحوص:

وتلحينني في اللهوِ أنْ لا أحبَّهُ
وللهوِ داعٍ دائبٌ غيرُ غافلِ

إذ لا يظهرمعنى البيت إلا بحذف «لا»؛ لأن الشاعر إنما يُلحى (أي يلام) في حب اللهو لا عدم حبه. والأولى أن تحفظ النصوصُ التي وردت فيها «لا» الزائدة ولا يقاس عليها خشية أن يؤدي استعمالها إلى اللبس بين الإثبات والنفي.

وقد زعم بعض النحويين أن هذا الضرب من «لا» ورد في القرآن الكريم، واحتجّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٢٤] وآيات أخر. لكن الحذاق من علماء التفسير والنحو أنكروا هذا، وبيّنوا أن «لا» فيما أوردوه من آيات تدل على النفي، ووضّحوا منفيها.

**خاتمة:**

للحرف «لا» ـ إلى جانب ما يدل عليه من معان ـ أهمية تتمثل في دخوله في تركيب عدد من الأدوات منها:

* «هلاّ»: وهي حرف تحضيض مركب من «هل» الاستفهامية و«لا» النافية.

*«لولا»: وهي حرف شرط غير جازم مركب من «لو» الشرطية و«لا» النافية.

*«لات»: وهي حرف نفي يعمل عمل «ليس» مركب من «لا» النافية، والتاء التي تدل على تأنيث اللفظ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

## المصادر الهوامش


الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي .
ـ دور الحرف في أداء معنى الجملة للصادق خليفة راشد .
ـ شرح الرضي لكافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي.
ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام.
ـ شرح المفصل لابن يعيش.
ـ الكتاب لسيبويه.
ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.
ـ النحو الأساسي لمحمد حماسة عبداللطيف وزميليه.
ـ النحو الوافي لعباس حسن.


١ـ أي لا تصاحب دلالتها على النفي العام دلالة على أمر آخر كالجواب والعطف والتوكيد ونحوه.
٢ـ سورة النساء آية ١٤٨ .
٣ ـ سورة يوسف آية ٨٥ .
٤ ـ سورة القيامة آية ٣١ .
٥ ـ سورة الصافات آية ٤٧ .
٦ ـ سورة البقرة آية ٦٨ .
٧ ـ سورة الواقعة آية ٤٣-٤٤ .
٨ ـ سورة البلد آية ١١ .
٩ ـ الجرعاء: الرملة الطيبة المنبت.
١٠ ـ لا يستعمل هذا التقسيم إلا هنا وفي باب النداء.
١١ـ سورة يوسف آية ٩٢ .
١٢ ـ «بنين» ملحق بجمع المذكر السالم لكن جمع المذكر السالم وملحقه يعاملان معاملة واحدة في الإعراب.
١٣ـ سورة الشعراء آية ٥٠ .
١٤ـ هذا هو الوجه الأقوى الذي ارتضاه إمام النحويين سيبويه، وفي هذا التعبير أعاريب أخرى.
١٥ـ دثار: اسم راعي امرئ القيس. اللبون: الناقة الكثيرة اللبن. تنوفى: اسم ثنيّة. القواعل: صغار الجبال.
١٦ ـ سورة الفاتحة آية ٧ .
١٧ـ سورة الشعراء آية ١٠٠-١٠١ .
١٨ـ سورة القيامة آية٣١ . وقد سلف شرح هذا في مبحث «لا» النافية المهملة.
١٩ـ سورة لقمان آية ١٣ .
٢٠ ـ سورة البقرة آية ٢٨٦ .
٢١ـ سورة التوبة آية ١٠٨ .
٢٢ ـ سورة الحجرات آية ١١ .
٢٣ ـ الجُراضم : الكثير الأكل .
٢٤ ـ سورة القيامة آية ١ .





# لاءات تعليمية ومنفيات تربوية

محمد فالح الجهني * . المدينة المنورة

* كلية المعلمين . قسم التربية .

**مع مطلع القرن الحادي والعشرين، وثورته المعلوماتية، برزت طائفة من النهايات، نهاية التاريخ ونهاية الجغرافيا، نهاية القومية ونهاية الدولة، نهاية المدينة ونهاية العمل، نهاية المؤلف ونهاية الورق وغيرها، كما برزت تبعًا لذلك مجموعة من المابعديات، ما بعد الصناعة وما بعد الحداثة، ما بعد الكتابة وما بعد السياسة، ما بعد البترول وما بعد الإنسانية وسواها، وبين النهايات والمابعديات توسطت جمهرة من المنفيات بـ «لا»، تجارة بلا سفر وسفر بلا انتقال، إدارة بلا مكاتب ومكاتب بلا جدران، ترحال بلا انتقال وانتقال بلا تجوال، جيرة بلا قرب وقرب بلا معرفة. والحقيقة أن عالم التربية أخذ بنصيب من هذه المنفيات بـ«لا»، مجتمع بلا مدارس ومدارس بلا أسوار، كتابة بلا أقلام وأقلام بلا أحبار ، مدارس بلا مناهج ومناهج بلا أهداف، حفظ بلا ذاكرة وذاكرة بلا دماغ، مكتبات بلا رفوف ورفوف بلا كتب ...إلخ.**

من الواضح أن النفي بـ«لا» في كل هذه المنفيات، يراوح بين تطرف شديد ناجم عن نقد اجتماعي أو تربوي أو ثقافي حاد، وبين وجهات نظر تدعو إلى تطوير نظم التربية استجابة لمعطيات الثورتين المعلوماتية والاتصالية. وربما كان النفي نتيجة مباشرة لإعادة النظر في ثنائية تربوية راسخة، طالما اعتُبرت ثنائية لا تقبل الجدل، بينما أثبتت التجارب أو المراجعات النظرية أنها ليست كذلك.

**نفي متطرف:**

كانت دعوى المفكر الفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢ـ ١٧٧٨م)، والتي يعرفها طلاب التربية ودارسوها في كل مكان وربما غيرهم من غير المتخصصين، متطرفة في مهاجمة التربية المنظمة من خلال المؤسسات الاجتماعية وأولها المدارس، تلك المؤسسات الاجتماعية الزاخرة بالمعلمين والإداريين والعمال إضافة إلى الأنظمة والقوانين واللوائح في إطار من الأسوار والجدران والصفوف والغرف، والتي ابتكرها الفكر الإنساني لأجل إعداد الجيل الجديد ونقل التراث الاجتماعي إليه بعد تنقيته وتبسيطه. كان رأي روسو يتلخص في أن المدرسة وسائر مؤسسات وآليات التربية المنظمة هي ما أفسد الطبيعة الخيرة للروح الإنسانية وأعاق النمو الطبيعي للطفل، وعليه فلا بد من تربية الأطفال والأجيال الجديدة في أحضان الطبيعة، بعيدًا عن المجتمعات ومؤسساتها الملوثة بكل ما هو غير طبيعي.
لقد دعم روسو آراءه بمقولة شهيرة في هذا السياق، مفادها أن ما يخرج من بين يدي البشر طالح، وكل ما يخرج من بين يدي رب البشر صالح. وصاغها بصياغة أخرى مفادها أن كل ما أبدعة الخالق عز وجل خير وما يلبث أن يفسد متى ما امتدت إليه أيدي البشر. من هنا نشأت فكرة مجتمع يمارس التربية خارج أسوار المؤسسات الاجتماعية المتخصصة بالتربية أو ما يعرف بالمدارس.
لكن القرن العشرين الميلادي أفرز أصواتًا أشد تطرفًا. فقد نادت أصوات القرن

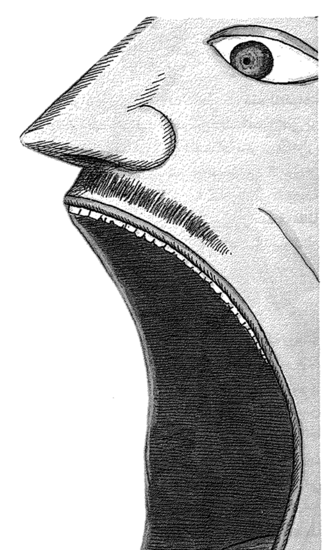
العشرين - صراحة - بإلغاء المدارس - تحديدًا - من الوجود واستبدال شبكات تقنية ذات إدارة خاصة بها، تجمع الراغبين في تعلم مهارة أو حرفة معينة مع أقرانهم، ومع معلمين محترفين في المهارة والحرفة المراد تعلمها، وهذه أهم أفكار «إيفان إيلتش» و«إيفريت رايمر» ومعهما «فالنتين بوريمان»، الذين ناقشوا فكرة نفي المدرسة ومعلميها النمطيين من الوجود واستبدال شبكات التعليم الجديدة بها، وميلاد مجتمع إنساني جديد (بلا مدارس)، وذلك في مركز توثيق الثقافات المتداخلة **Center For Intercultural Documentation** في كويرنافاكا بالمكسيك، وهؤلاء قد نشروا أفكارهم في الستينيات من القرن العشرين الميلادي، في كتابين ذائعي الصيت هما: «موت المدرسة» و«مجتمع بلا مدارس»، على التوالي.

**نفي للتجديد:**

مع مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي، اتسم العالم، مع استثناءات لا يعتد بها، بثورتين تمسان التربية ومؤسساتها في كل مكان، وتفرضان عليها الانصياع لحتمية التطور، وإلا داهمتها حتمية أخرى هي حتمية الزوال والفناء... هاتان هما ثورتا المعلومات والاتصال.

لم تعد المعلومات، ولا نقصد بالمعلومات ذلك المستوى المعرفي الذهني الذي يصمه التربويون بأنه أقل مستويات التعلم والتعليم قيمة، بل نقصد المعلومة التي يمكن استثمارها وتطويعها واستهلاكها في المستويات المعرفية الذهنية والمهارية العضلية والوجدانية النفسية على حد سواء، نقول لم تعد المعلومات قابلة للحصر، في كتب أو مجلدات أو مكتبات، لم تعد مستقرة لفترة من الزمن قصرت أم طالت هذه الفترة الزمنية، وبات من المتعذر الاستفادة منها مرارًا وتكرارًا. لقد غدت المعلومات متفجرة متزايدة في متواليات هندسية تفوق الإدراك، لا يمكن الحكم في أي لحظة بحدودها وحجمها وكميتها، كما أنها باتت متغيرة لحظيًا وآنيًا، فالذي أصبح منها مفيدًا يمكن استثماره في أول النهار يمسي قديمًا باليًا من مخلفات الماضي آخره. والتعامل مع المعلومات غدا ميسورًا ومشوقًا للإنسان العادي الذي يمكن له، من خلال الحاسب الآلي بخس الثمن، معالجتها بالطريقة التي تحقق هدفه: تفسيرًا وتلخيصًا وخزنًا وتطويرًا وتطويعًا وتعلمًا وتدربًا ذاتيًا.

على خط مواز أعطت ثورة الاتصال وتقنياته لثورة المعلومات بعدًا مكانيًا غير محدود، وزمنًا آنيًا غير ملحوظ. لقد صار يسيرًا على الإنسان العادي تراسل المعلومة مع إنسان عادي آخر وهما على أبعد نقطتين عن بعضهما البعض من على وجه الأرض. صار من الميسور عليهما تبادل الرأي والدخول في منتديات



افتراضية على شبكة الإنترنت مع مختلف المشارب والاتجاهات الفكرية ومختلف اللغات والألسن، مهما تباينت ألفاظها وأبجدياتها وقوالبها. صار سهلاً جدًا على الإنسان العادي الوصول إلى مراكز البحوث والاستزادة من آخر نتائجها وتوصياتها ومقترحاتها، صار سهلاً جدًا الحصول على آخر الإحصاءات ومعالجتها وترجمتها وتلخيصها وعرضها بالطريقة المناسبة، صار سهلاً جدًا استقبال الملفات الإلكترونية ووصلات الصوت والصورة والفيديو وخزنها والاحتفاظ بوسائط زهيدة الثمن.

إذًا، فقد أصبحت المعلومات بشتى أنواعها وجميع صورها وأشكالها، ووسائل الاتصال بالعالم بمختلف لغاته المتباينة وأطرافه المترامية وثقافاته المتعددة وأجناسه المتغايرة، متوفرة في مفكرة إلكترونية (جهاز حاسب آلي محمول) يحملها إنسان القرن الحادي والعشرين أينما حل ومتى شاء وبالطريقة التي تناسبه. فمن ناحية سيكون الطالب حرًا في اختيار الطريقة التي يريد التعلم بها: نصوصًا مكتوبة أو صوتًا مسموعًا أو صورة ثابتة أو صورة متحركة أو مخططات أو خوارزمات أو تعليمًا مبرمجًا تفاعليًا أو واقعًا افتراضيًا يعيشه أوجميع هذه الأساليب مجتمعة، وفي الوقت الذي يريد. ومن ناحية ثانية سيجد الطالب كمًا هائلاً من المعلومات الجديدة والمحدثة على مدار الساعة مع إمكانية البحث والوصول إلى المعلومة المطلوبة عن طريق محركات البحث على شبكات المعلومات العالمية، ثم عن طريق آليات البحث في داخل الملف المفتوح، وإذا لم يجد الطالب بغيته في هذا الموقع أو ذاك سينتقل بكل يسر إلى موقع آخر من المواقع المتضخمة والمتزايدة بلا حدود. ومن ناحية ثالثة يمكن للطالب مراجعة ما قرأه أو سمعه أو شاهده بمجرد إعادة التأشير أو النقر على الوصلة أو الأيقونة التي يقبع تحتها المضمون العلمي الذي يريده. ومن ناحية رابعة سيتمكن الطالب من التفاعل مع معلمه الإلكتروني عن طريق البريد الإلكتروني والتفاعل مع معلمه البشري (مصمم التعليم الرقمي) عن طريق تقنيات الاتصال الإلكتروني وغرف الحوار. ومن ناحية خامسة سيحمل الطالب مفكرته الإلكترونية (حاسبه الشخصي المحمول) معه ويتعلم في أي مكان يشاء: في بيته أو في وسيلة المواصلات، في عرض البحر أو في قلب الصحراء، على قمم الجبال أو في بطون الأودية. وهكذا يبدو التعليم الرقمي الإلكتروني، وهو من مفرزات ثورتي المعلومات والاتصال، خاليًا من أي عيوب يصمه بها التقليديون من التربويين: مراعيًا للفروق الفردية، محتويًا على التفاعل المطلوب بين المعلم والطالب بل بين الطالب والمادة التعليمية ذاتها، مضيفًا بهذا إلى طرفي الاتصال التعليمي المفترض طرفًا ثالثًا، وحاويًا على قدر غير محدود من المادة العلمية، متوفرًا في كل وقت وحين ومكان، سهلاً، متجددًا، سريعًا، مشوقًا، رائعًا... فما الحاجة اليوم إلى مدرسة تقليدية؟!

**تربية اليوم بحاجة إلى نظام تربوي (بلا مكتبات) ورفوف تنبعث منها رائحة الورق الأصفر الذي أكلته العثة وطاله عفن الرطوبة، وبطاقات لا تنتهي وأمناء مكتبات أدمنوا بيروقراطية الإعارة والاستعارة والتزويد والتجليد**

بداهةً ... لم تعد تربية اليوم بحاجة إلى مدرسة تقليدية ذات طرز عتيقة من المعلمين والمناهج وطرق التدريس وأساليب الإشراف والإدارة ...إلخ، "تربية اليوم بحاجة إلى مدرسة عصرية جديدة ونظام تربوي حديث يستوعب هذه التقنيات، ويطوعها لصالح العملية التربوية الجديدة. تربية اليوم بحاجة إلى نظام تربوي (بلا معلمين) ولكن بمرشدين يدلون الطالب ويدربونه على سلك طريق المعلومة وطريقة اصطيادها وأسلوب معالجتها، ثم يطلقون هذا الطالب إلى الشبكة من أي منفذ للشبكة شاء الطالب، فالطالب في (مدرسة بلا أسوار) تدله على الطريق ولا تختار له وقت الرحلة وطريقة المواصلات. تربية اليوم بحاجة إلى نظام تربوي (بلا

مكتبات) ورفوف تنبعث منها رائحة الورق الأصفر الذي أكلته العثة، وطاله عفن الرطوبة وبطاقات لا تنتهي وأمناء مكتبات أدمنوا بيروقراطية الإعارة والاستعارة والتزويد والتجليد والصيانة. تربية اليوم بحاجة إلى نظام تربوي كتبه (بلا ورق) فالمعلومات تتزايد على الشبكات الإلكترونية، وعلى طريق المعلومات السريع بشكل مذهل، وتتجدد بسهولة ويسر، وليست بحاجة إلى طبعات جديدة منقحة ومزيدة، المكتبة على الشبكة الإلكترونية وطريق المعلومات السريع تغذي مفكرة الطالب الإلكترونية بكل جديد على مدار الثانية ليقوم بالتخزين على وسائط تقلص أضعاف حجم المكتبة في قرص مدمج يحمله الطالب في جيبه، وتعرض على شاشات عرض مضيئة بألوان براقة ونصوص متحركة وجداول متراقصة وعروض عملية ناطقة متحركة وواقع افتراضي خلاب. التربية اليوم ترتقب نظامًا تربويًا (بلا أقلام)، فالأبحاث جارية لتطوير تغذية الحاسب الآلي من ذهن الطالب إلى شرائح التخزين مباشرة، دون المرور على لوحة المفاتيح ناهيك من قلم الحبر وكراسات التسويد. التربية اليوم ترتقب نظامًا تربويًا (بلا حقيبة كتب)، ففي مفكرة الطالب الإلكترونية، وهي أخف وزنًا من حقيبة الكتب العتيدة، مكتبات لا حدود لها ..!!

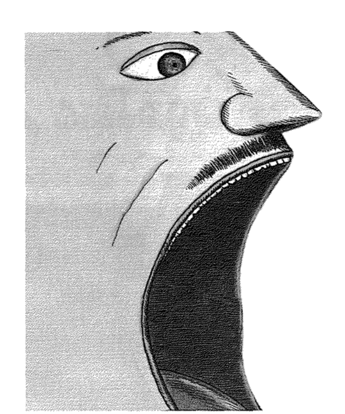
لطالما أرهقت الذاكرة الإنسانية، وذاكرة الطالب تحديدًا، واستهلكت خلايا دماغه بالحفظ والاسترجاع ومعاودة الحفظ والاسترجاع وتأكيده وصيانته من غائلة النسيان، وطالما أهدر الوقت في هذه العملية التي تستهجنها التربية الحديثة بمختلف مدارسها ونظرياتها، وكان الرد الجاهز لأنصار التربية التقليدية أن الحفظ مدعاة لتوفر المعلومة للطالب في أي وقت وفي كل مكان. لكن المعلومة اليوم أصبحت متعذرة على الحفظ والاسترجاع من الذاكرة البشرية وإليها، لتفجر المعلومات وتزايدها وتجددها وتغيرها آنيًا، وعُدّ من العبث غير المبرر إرهاق الذاكرة الإنسانية بالحفظ والاسترجاع وما تستهلكهما هاتان العمليتان من جهد ووقت، بينما الحفظ متاح بوساطة الذاكرة الإلكترونية مهما كانت المعلومات غزيرة ومتنوعة، كما أن الاسترجاع من الذاكرة الإلكترونية يتم بلمسة أزرار وفي جزء من الثانية، من هنا لم يعد الطرح بـ(ذاكرة بلا دماغ) نوعًا من استباق الأحداث وضبابية التكهنات المستقبلية.

**نفي لإعادة النظر:**

كان لاستقلال التربية، كفرع من العلوم الاجتماعية، مع مطلع القرن العشرين الميلادي وقيامها على أسس ومبادئ وأصول مستقلة أثر في ظهور فلاسفة ومفكرين تربويين، انصبّ جهدهم الفكري والتحليلي والنقدي على تفكيك العملية التربوية وإعادة تركيبها من جديد، وفحص جميع مفاهيم ومكونات العملية التربوية كل على حدة وتقييم، ومن ثم محاولة تقويم، هذه العناصر والمكونات وإخضاعها للمناقشة والتعليل والتبرير والاستكناه الدقيق لمعانيها ووظائفها ومدى ملاءمتها لكل عصر وأوان.

في الستينيات من القرن العشرين، ومع الانتشار الواسع للبث الإذاعي والتلفزيوني ووسائط التسجيل الصوتي والمرئي، أعيد النظر في ثنائية الدراسة العليا ووجود الطالب بين جدران جامعة أو مؤسسة للتعليم العالي، فطالما يمكن للطالب التقاط الدروس عبر الهواء أو من خلال استقبالها عبر البريد مسجلة على وسائط معينة فما الحاجة إلى وجود الطالب وارتحاله من بلده وتركه عمله وأسرته إلى حيث توجد الجامعة؟ لم ينته عقد الستينيات حتى أصبحت جامعة الهواء أو ما يعرف بـ(جامعة بلا جدران) حقيقة ماثلة للعيان،

لم ينته عقد الستينيات حتى أصبحت جامعة الهواء أو ما يعرف بـ(جامعة بلا جدران) حقيقة ماثلة للعيان، وهي، باختصار، أحد أبرز تطبيقات التعليم عن بعد أو التعليم المفتوح



وهي - باختصار- أحد أبرز تطبيقات التعليم عن بعد أو التعليم المفتوح. وبدأت الدراسة فعليًا في أول جامعة مفتوحة في العالم عام ١٩٧١م في بريطانيا، وتستخدم الجامعة المفتوحة أو الجامعة التي (بلا جدران) نظام التعليم متعدد الوسائط، كالبرامج التعليمية التي تبث بوساطة المذياع، والبرامج التعليمية التي تبث عن طريق الأقمار الصناعية، والحقائب التعليمية التي ترسل بالبريد العادي، وغيرها ...

من جهة أخرى يمكن إعادة النظر في ثنائية التربية والمنهج، واحتمال جمود المناهج وإعاقتها العملية التربوية في عصر المعلومات المتفجرة، وبالتالي إمكانية وجود دراسة (بلا مناهج) محددة سلفًا. يعرف المنهج التربوي، في أحد وجوه تعريفه، بأنه كم من المادة التعليمية محدد سلفًا، مربوط بطريقة تدريس محددة، ووسائل معينة كفيلة بتمرير هذا الكم التعليمي إلى الطالب، محكوم بوقت تقدم فيه هذه المادة للطالب وفق برنامج متتابع، لتنتهي هذه العملية بتقويم تربوي يُحكم من خلاله على انتقال الطالب من صف دراسي إلى آخر ومن مرحلة دراسية إلى أخرى.

والثورتان المعلوماتية والاتصالية تتعارضان مع هذا الفهم والممارسة لمفهوم المنهج الدراسي، فالمنهج يوضع بناء على دراسة استغرقت فترة من الزمن تقدر بالأشهر وربما بالسنين، وبين بداية تنفيذ المنهج ونهاية تقويمه فترة إضافية من الزمن، كفيلتان - هاتان الفترتان الزمنيتان - بجعل المنهج الذي تم وضعه، والذي يجب تنفيذه كما وضع، بظهور الجديد المتواتر من المعلومات والتغيرات التي ما كانت لتخطر على بال من قام بتصميم المنهج. من هنا يمكن الطرح بتربية (بلا مناهج)، واستبدال بالمناهج بمفهومها التقليدي تدريبًا تربويًا للمعلم، وتحويل المعلم من مجرد منفذ للمنهج التربوي إلى موجه ومرشد للطالب الذي يمارس التعلم الذاتي وفق مقتضيات الموقف والوضع الذي تفرضه المستجدات: معلوماتيًا وثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

ويرتبط مفهوم المناهج دائمًا بمفهوم الأهداف التربوية، من مستواها الأعلى (الغايات) حتى مستواها الأدنى (الأهداف السلوكية الصفية). وتقوم صياغة أهداف العملية التربوية في أي من مستوياتها على نظرية للمعرفة فحواها أن المعرفة خارجية، أي تأتي من خارج العقل والوجدان البشري، وعلى العملية التربوية تحويل هذه المعارف والمهارات والوجدانيات في صورة أهداف ومرام وغايات تحدد سلفًا وتُسخر العملية التربوية بجميع مواقفها التعليمية من أجل تحقيق كل هذه الغايات والمرام والأهداف.

وتقابل نظرية المعرفة الخارجية وأن التعليم يأتي من خارج الإنسان أو النظرية الاستقبالية، نظرية أخرى ترى أن المعرفة داخلية تنبع من ذات الإنسان، ولكل إنسان دوافع معينة نحو تعلم معين وفق أهداف تنبع من داخل المتعلم نفسه، ولا يمكن حصرها، وما على التربية ونظم التعليم إلا مراعاة الأهداف الخاصة بكل متعلم، وعليه لا داعي لصياغة أهداف موحدة شاملة للجميع، وليكن التعليم للجميع (بلا أهداف) وإنما يتم توجيه المواقف التعليمية اليومية بحسب مقتضى الحال وميول المتعلم، وإن كان هذا الأمر لا يمكن أن ينطبق على الغايات التربوية الكبرى. ■

# لا تموتن إلا وأنتم مسلمون

هبة رؤوف عزت*. القاهرة

* كاتبة وأكاديمية مصرية .

**يبدأ التوحيد بـ«لا». لا إله إلا الله..**
**سدرة منتهى العلم: «فاعلم أنه لا إله إلا الله».**
**والتوحيد هو مبتدأ الوجود الإنساني ومنطلق التحرر مما سوى الله، لأنه..أكبر.**
**فإن حاول أحد المجادلة في التوحيد يكون رد المؤمن على دعوة الشرك «قل لا أشهد»، مستجيبًا لدعوة ربه: «كلا لا تطعه واسجد واقترب».**
**لاءات ثلاث تترتب على ذلك: لا شرك، لا اتباع للهوى، ولا اتباع لخطوات الشيطان.**

الإسلام اختيار، ومسؤولية.

المبادىء الأساسية المترتبة على «لاإله إلا الله» هي:

* لا إكراه في الدين.
* لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.
* لا تزر وازرة وزر أخرى.

وحين تستقر تلك المبادئ يأمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

وتتوالى الآيات التي تتكرر فيها «لا» الناهية التي تحدد ملامح المجتمع الإسلامي، تنهى عن نقض الأيمان والعهود، وعن كتمان الشهادة، وعن أكل الأموال بالباطل، وعن عضل النساء وإيذائهن، وعن البغي.

«لا» الناهية في القرآن هي دائمًا ضد الظلم، ومع العدل الذي هو مناط التشريع، حتى في العقيدة المناط هو العدل، لأن الله وصف الشرك بأنه ظلم عظيم.

وهناك«لا» التي تنهى المؤمن عبر بيان ما لا يحبه الله، فتصبح الطاعة قرينة اليقين به والتقرب إليه بترك ما يكره، فيكون الانتهاء عما نهى عبادة فردية، ومسؤولية اجتماعية، ومصلحة دنيوية وأخروية، فالله لا يحب الكافرين ولا الظالمين ولا المعتدين ولا الخائنين ولا المفسدين، ولا يحب الجهر بالسوء من القول، ويأمر ألاّ تقل لوالديك أف ولا تنهرهما، وألا يسخر قوم من قوم، وألا نتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وألا تكرهوا فتياتكم على البغاء، وألا تؤتوا السفهاء أموالكم، وألا تنقضوا الأيمان، وألا تأخذوا من قنطار النساء شيئًا، ورسله ينهون عن سوء الخلق في كثير من قصص القرآن لأن سوء الخلق يذهب بالعمران، لا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تطغوا، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، ولا تبطلوا صدقاتكم، ثم تأتي «لا» في التحريم وتتكرر«لا يحل لكم» في معرض بيان الحرمات في مواضع مختلفة.

**لاءات الرحمة**

لكن اللاءات ليست كلها تحريمًا ونهيًا، فهناك في القرآن كثير من لاءات الرحمة، تحريم ورحمة في: لا تقتلوا أنفسكم ولا تقتلوا أولادكم، ولطف وجبر في: لا تحزنوا ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ويقين في: لا تحسبن الله غافلاً، وقسط في: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم، وبشارة في: لا غالب لكم، وأمان في: لا تخشوهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وتواصى بالحق والصبر من أجل يوم لا تظلم فيه نفس.

القرآن نفسه ووصف بأنه: لا ريب فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمسه إلا المطهرون.

والغيب يوم القيامة تواترت اللاءات في وصفه، سخرية ممن قالوا لا يبعث الله من يموت، وتحذيرًا في: لا تأتيكم إلا بغتة، وميزانًا في: لا ظلم اليوم ولا شفيع، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ولا يخفف عنهم العذاب، ولا تخفى منكم خافية، وقسطًا في يوم لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة.

واللاءات في الدعاء على لسان المؤمن كثيرة، في: لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وفي التوسل: لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين، وفي الاستغفار: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وفي تسليم: لا قوة إلا بالله.

### في البدء كان السؤال

ولكن أين الحرية؟ أين الحرية في قول «لا»؟ أوليست «لا» هي شعار الأحرار، والمعارضة حق؟

الحرية في القرآن كامنة في صيغ السؤال، وفي حركة العقل نحو المعرفة من أجل حرية الاختيار لا حرية «لا» منطلقة هكذا دون منطق.

لا نبالغ إذا قلنا إنه في البدء كان السؤال، قبل «كن» كان الخبر «إني جاعل في الأرض خليفة»، وجاء سؤال الملائكة «أتجعل فيها من يفسد فيها؟»، ثم كانت كن، وعلم الأسماء، ولا تقربا، وعصى آدم، وتاب عليه وهدى، ثم اهبطوا، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم، وسنة الله في الخلق: ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم.

ولم يكن طرد إبليس من الرحمة لأنه قال «لا»، بل لأنه أبى واستكبر وقال «أنا خير منه»، ثم حسد فقال «لأغوينهم» وتجاوز وقال «لآمرنهم».

عهد الفطرة الذي أخذه الله من ظهور بني آدم قبل خلق الأجساد كان سؤالاً وجوابًا: ألست بربكم قالوا: «بلى شهدنا».

فالحرية تأتي عبر التفكر والتدبر والعقل والعلم، والـ«لا» في القرآن تنفي العقل والعلم بقوة عن الكافرين والمشركين، وتحث عليها المؤمنين، والـ«لا» الجاهلة ليست مقياس الحرية، بل محض السؤال المستمر هو سبيل التحرر، ليتجدد السؤال، ويستمر تدفق نهر المعرفة، عبر «اقرأ».

«أفلا» بيان للسنن والآيات، وتذكير بالنعم وبالمعجزات، وتعجب من الإعراض، وإشارة إلى البينات.

والسؤال كان يستدعي الوحي والجدل، والشكوى تستدعي الرحمة، وتبين الحدود.

السؤال مصدر فهم الوحي، وآلة الاجتهاد، ونقيض الاستبداد الذي تخرس فيه الألسنة وتصبح الطاعة عمياء..خرساء.

موسى سأل الله: أرني أنظر إليك، وقَبِل الله منه السؤال، وأوضح الاستحالة، ثم ضرب للعقل المثال «ولكن انظر إلى الجبل».

إبراهيم سأل : كيف تحيي الموتى؟ ورد الله على السؤال بسؤال: أولم تؤمن؟ قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي.

فكانت التجربة برهانًا.. عين اليقين.

سؤال الله للعبد لوم وتذكرة، «رأيتم».. و«يا أيها الإنسان ما غرك» رحمة ، ونداء.

ويوم القيامة لا تنتفي حرية السؤال، لا تخرس الألسنة، بل تخشع الأصوات، «رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»، «و مالنا لا نرى رجالاً».. ويستمر السؤال.

الحرية ليس مناطها اللسان يتفوه بـ«لا» فقط، بل مناطها عقل يطلق أسئلة مجنحة، وقلب يقينه مسكون بأسئلة متجددة تشحذ الإيمان، لذا كان الفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد.

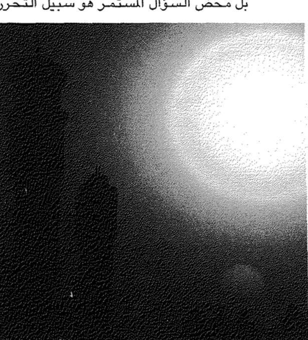
ولأن الله لا إله إلا هو فلا فضل لعبد على آخر إلا بالتقوى، ولأن التقوى محلها القلب، ولا يعلم الغيب إلا الله، فالشهادة مسؤولية ومحاسبة، وقسط وسواسية، وطاعة لا تقترن بمعصية، وتقويم نحو الاستقامة.

خلافة الإنسان لله تحرر من عبودية ما سواه، وبها تنطلق «لا» في مواجهة الظلم، والذي يكذب بالدين ، فـ«لا يحض على طعام المسكين».

الخلافة في الكون نهي عن المنكر وأمر بالمعروف، هي «لا» ضد البغي، و«لا» ضد الغلو، و«لا» ضد العدوان«لا» باللسان وبالفعل، والحركة من أجل التغيير، آيات «قل لا..» في القرآن تحمل في قلبها حرية، وخطاب الله للمؤمنين «لا تكونوا كـ..» تحمل في قلبها حرية، وسؤال «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين» يحمل رسالة حرية سياجها «لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

فـ...

«لا تموتن إلا وأنتم مسلمون».



# لا تتردد في قول لا

علي بن صديق الحكمي*. الرياض



**ما قال لا قط إلا في تشهده**

**لولا الشهادة كانت لاؤه نعم**

**هذا البيت الذي قاله الفرزدق مادحًا الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، يقع في إطار المبالغة ولا شك، إذ إن عدم قول «لا» قد يكون في أحيان مناسبًا كما أن قول «لا» في أحيان أخرى هو عين الصواب.**

تأمل معي هذه المواقف:

ذلك المراهق الذي يقدم له سيجارة لأول مرة في حياته من صديق يعز عليه ولا يحب مخالفته، أو يطلب منه زملاؤه مسايرتهم في عمل خاطئ، ولا يستطيع أن يقول «لا»، هنا تكون «لا» هي السلوك الصحيح، وتكون عواقب عدم القدرة على قولها وخيمة على ذلك المراهق ومجتمعه.

* الوكيل المساعد للتطوير التربوي في وزارة التربية والتعليم.

موقف ذلك الرجل الذي ارتبط بموعد عمل هام أو مهمة يجب عليه إنجازها في وقت محدد، يدعوه صديق إلى مناسبة في الوقت نفسه، لا يستطيع أن يرد الدعوة ولذلك لا يقول «لا»، ثم يتصل عليه صديق آخر ويشعره بأنه قريب من المنزل ويرغب في رؤيته وتناول الشاي عنده، يوافقه، وينتهي به الأمر إلى الارتباط بأكثر من موعد في الوقت نفسه وربما لا يفي بأي منها!!

طفلك الصغير يبكي بشدة، يضرب بيديه ورجليه الأرض - وقد يكون لك أو لأمه نصيب من ضرباته - يصر على الحصول على شيء معين، لا تستطيع أن تقول له «لا» مع يقينك أن هذا الشيء يضره، ولأنك تحبه وتعرف أثر «لا» في نفسه تعطيه ما يريد!! يتعلم، أنه عندما يخالفه الآخر ويقول له «لا»، أن يستخدم الأسلوب نفسه، وقد «يضرب» أو «يحطم» من يقول له «لا»!!

منعك الطبيب من أكل المواد السكرية والحلويات، لا تستطيع أن تقول لنفسك «لا» عندما تأمرك بتناول الكثير منها، يسبب لك هذا المتاعب، وربما المصائب، تتمنى مستقبلاً لو أنك قلت لنفسك «لا»، هذا طبعًا إذا كان ثمة «مستقبل» لك في هذه الدنيا.

من المهم جدًا أن نتعلم متى نقول «لا» ومتى لا نقول «لا»، أن نتعلم لمن نقول «لا» وكيف نقول «لا» وهل الأصلح في موقف ما أن نقول «لا» أم لا؟

إننا كثيرًا ما نجد أنفسنا أمام مواقف يصعب علينا فيها أن نقول «لا» لأننا لا نريد أن نجرح مشاعر الآخرين، ولأننا نخشى فقدان العلاقة معهم، إذا خالفنا رغباتهم. إن علاقة مثل هذه تعتمد على مسايرتنا للآخرين وعدم مخالفتنا لهم هي، بلا شك، علاقة هشة للغاية.

نشعر في أحيان أخرى أن قول «لا» قد يؤذي مشاعر الآخرين وهنا نتصرف كأننا مسؤولون - بدون مبرر- عن مشاعرهم وكأن سعادتهم متوقفة على مسايرتنا لهم. قد نفكر: أن الآخرين قد يعتقدون أننا أناس سيئون وأنانيون إذا خالفناهم، وكأن المسايرة المستمرة لهم هي الوسيلة الوحيدة لكي نحافظ على صورة إيجابية لنا في أذهانهم.

اهتم علماء النفس كثيرًا بموضوع «كيف تقول لا» لأن الكثير من الناس لا يستطيعون قولها في كثير من المواقف التي يجب أن يقولوها فيها، مما يسبب لهم إحراجًا، كصاحبنا الذي يرتبط بأكثر من موعد في نفس الوقت، أو هلاكًا كذلك المراهق الذي قبل السيجارة الأولى، أو ترحم الآخرون عليه كذلك الذي جَبُن ولم يستطع مقاومة إغراء كعكةجُبْن.

والنصائح التي يقدمها علماء النفس لكي يصبح المرء قادرًا على أن يقول «لا» هي في مجملها تتعلق بالتفكير وأسلوب صناعة القرار، إذ إن على المرء أن يفكر في العواقب قبل أن يقول «نعم»، وأن يزن الإيجابيات والسلبيات لأي قرار يتخذه بعيدًا عن العواطف أو التحيزات الشخصية، فالتلقائية في الاستجابة وعدم إعطاء النفس فرصة للتفكير قد تجعل الإنسان يقول «نعم» وهو في الحقيقة يريد أن يقول «لا».

إن «نعم» و«لا» يجب أن يكونا دائمًا أمامنا على منصة الاختيار عند اتخاذ القرار، نختار منها ما يناسب الموقف والسياق والمصلحة، ويجب أن نبتعد في مثل هذا الموقف عن عواطفنا وتفضيلاتنا الشخصية ونقدم دائمًا الرؤية الموضوعية المتوازنة.

على الإنسان أن يكون واثقًا من نفسه، وأن يكون ذا سلوك توكيدي، وألا يتردد في قول «لا» إذا كانت هي الاستجابة العقلانية، فالتردد يسهل من مسايرة الإنسان للآخرين في مواقف يجب عليه أن يخالفهم.

إن قول «لا» قد يكون له آثار جانبية لا يحبذها الإنسان، كغضب صديق له، ولابد من تحمل هذه النتيجة لقول «لا» وتعويد النفس على ذلك، فالإنسان لا يستطيع أن يقول «نعم» دائمًا وإلى الأبد، ولا بد أن يقول يومًا ما «لا»، ولذلك فإن مواجهة آثار «لا» مبكرًا تقوي من قدرة الإنسان على قولها حينما تكون الحاجة إلى قولها حتمية.

إن تعلم مهارات التعامل مع الآخرين، ومهارات الإنصات والتحدث ومهارات التعامل مع ضغوط الحياة تزيد من قدرة الإنسان على قول «لا» وقبول آثارها، كما أن تدرب الإنسان على ما سيقوله، والأسلوب الذي سيتبعه في الموقف الضاغط قبل الدخول فيه يزيد من قدرته على اتخاذ القرار الصحيح.

وختامًا، لاتنس قارئي العزيز، أن تتبسم وأنت تقول «لا»، وأن تقولها بأسلوب يجعلك تحظى باحترام الآخرين وتعاطفهم حتى ولو خالفتهم أو لم تسايرهم في ما هم فيه. وتذكر أن من المقبول جدًا أن تقول «نعم» مجاملة حتى لو كنت لا تفضل ذلك، إذا لم يكن لها آثار سلبية، وأن التنازل عن الرأي قد يكون محمدة للإنسان، وأن قبول الرأي الآخر وتغيير القناعات الشخصية لا يقلل من شخصية الإنسان واحترامه لذاته، فالحق دائمًا أحق أن يتبع.

# لا.. لماذا وكيف؟

ليلى أحمد الأحدب*. جدة

* أكاديمية وكاتبة سورية .

**يقول** سومرست موم «من الأمور الطريفة في الحياة أنك إذا لم ترض إلا بالأفضل فسوف تحصل عليه!».
**إذًا علينا أن نقول (لا) لكثير من الأمور كي نحصل على الأفضل، لكن علينا أيضًا أن نعلم متى يكون قول (لا) هو الأفضل.**

كيف يمكننا أن نرفض كثيرًا من المطالب التي تنهال علينا ولا وقت لإنجازها؟ كيف لا نعطي انطباعًا للآخرين بأننا أنانيون إذا لم نحقق رغباتهم؟ كيف نشرح لهم أنه لا يمكننا القيام بكل الأشياء دفعة واحدة لأن وقتنا أضيق من أن يتسع لذلك كله؟!

قد نفعل أي شيء لكسب قلوب الآخرين، لكنهم قد يدفعوننا إلى تحقيق ما هو معاكس لمصالحنا أو رغباتنا، فإذا خضعنا لضغوطاتهم مرة إثر مرة سيتحول حبنا لهم إلى كره عندما نفعل ما لسنا مقتنعين به، ومن الصعب جدًا وغير المقبول أبدًا أن تكون حياتنا خاضعةً لقرارات وإرادات الآخرين.

لذلك لا تتردد أن تقول (لا) حين يكون ذلك مناسبًا؛ وأكثر الأجوبة قبولاً وإقناعًا هو أكثرها استقامة وبساطة، فإذا طُلب منك مساعدة فقيّمها بالنسبة لأولوياتك في مساعدة الآخرين، فمثلاً إعطاء نصيحة جماعية فيها فائدة أكثر من نصح فرد وحده، لكن عندما يكون هذا الفرد أمام مشكلة مصيرية ويصل طلبه للمساعدة إلى حد الاستغاثة، فلا بد أن تكون إغاثتك له من أولى الأولويات.

قبل أن تقبل بأي عرض أو ترفض أي رغبة اطرح على نفسك الأسئلة التالية:

* هل تشعر بالرغبة في القبول أو الرفض؟
* هل يتوافق قبولك لرغبات الآخرين مع مبادئك في الحياة أم لا؟
* هل تملك الوقت للقيام بما يريده الآخرون أم أنك ستضطر إلى التضحية بأمور أهم؟
* هل تأدية ما يريده الآخر هو أمر مصيري بالنسبة له أم لا؟

يجب التمييز بين ما نقبله وما نرفضه، وينبغي أن يكون رفضنا بطريقة لا تجرح أحدًا، فكما أنه من حقك أن تقول نعم فمن حقك أن تقول لا، لكن تذكر أن تنظر في عيني محدثك خصوصًا إذا كان جوابك رفضًا أو أسفًا دون أن تظهر أي عداء له، وبيّن له سبب رفضك؛ على سبيل المثال: ماذا لو طلب أحد معارفك طلبًا يصعب عليك تنفيذه في الوقت الحالي، كأن يرغب قريب أو صديق أو جار أن تعتني بابنه الصغير ليوم أو أكثر في أثناء غيابه أو سفره وأنت لا وقت لديك أن تحكّ رأسك؟ يَفْضُلنا الغربيون في هذه الأمور بصراحتهم، أما نحن فقد نكلف أنفسنا فوق طاقتها لئلا يتكلم علينا الآخرون بالسوء، فلماذا لا نحاول التخلص من عقدة الاهتمام بمشاعر الآخرين دون المبالاة بمشاعرنا نحن؟!

كما أن للآخرين مشاعر وخصوصيات وأوقاتًا يجب احترامها، علينا أن نقنع الآخرين بضرورة احترام مشاعرنا وخصوصياتنا وأوقاتنا، وبسهولة يمكن أن نعتذر من الجارة أو الصديقة بالقول: إني أخشى إذا تركت ابنك لدي أن يفتقدك، ويصعب علي رؤية طفل يبكي دون أن أعرف كيف يمكن لي أن أهدئه؛ أو بصراحة أكثر نقول وبدون أي مجاملة أو مواربة: أتمنى مساعدتك ولكن اعذريني فوقتي لا يسمح بذلك خصوصًا أن ابنك صغير جدًا، ويصعب عليّ الاهتمام به مع غياب الخادمة؛ أو ليس لدي أحد يهتم به في أثناء غيابي عن المنزل، ولا يمكنني أخذ إجازة طارئة من أجل البقاء معه؛ أو أي عذر آخر صادق.

لنكن واقعيين أكثر ولنقل: إن هذا الجواب الاعتذاري يختلف من صديق لصديق ومن جار لجار، فبعض معارفنا المهذبين لن يلجؤوا لنا إلا في الشدة، فما المانع أن نساعدهم حتى لو تأخرنا في الإنجاز قليلاً أو خسرنا راتب يوم بسبب إجازة لم نكن نفضّلها في ذلك الوقت؟ لا نريد أن نصل إلى ما وصل إليه الغربيون من قطيعة بين الأهل والجيران بسبب (الأنا) المسيطرة على علاقات

غالبيتهم، ولكن في الوقت نفسه ينبغي ألا نقبل إقامة العلاقات وفق شروط الآخرين دون أن يكون لنا رأي في الأمر، ولنا في رسول الله عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة، عندما دعاه جاره الفارسي طيب المرق إلى طعام فأشار إلى عائشة قائلاً: وهذه؟ يقصد أن يدعوها الفارسي معه، فرفض الفارسي فلم يلب رسول الله عليه الصلاة والسلام دعوته، فجاء الفارسي مرة ثانية فدعاه، فأشار إلى عائشة فقال: وهذه؟ فرفض الفارسي فلم يذهب رسول الله عليه الصلاة والسلام معه، وفي المرة الثالثة عندما وافق الفارسي أن يدعو عائشة قبل رسول الله عليه الصلاة والسلام دعوته، فقاما يتدافعان كما في الحديث المذكور في البخاري.

وأول ما بدأ به رسول الله عليه الصلاة والسلام رسالته هي قول (لا)، فقال: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا؛ فقد رفض معتقدات قومه، وعندما جاءه عمه متوسلاً أن يخفّف عن قريش، فلا يسفّه آلهتهم ولا يذكرها بسوء، رفض طلب عمه مع أنه كان من أحب الناس إليه وقال:(والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه). هذا الموقف الحازم من رسول الله عليه الصلاة والسلام يعلّمنا أننا إذا كنا على حق فيجب أن نصرّ عليه، لكن كيف والأمور لا تصل دائمًا إلى حد الأفكار والمعتقدات، بل تبقى غالبًا في إطار المشاعر والمعاملات؟!

يجب أن نصرّ على الحق بطريقة لائقة وبأسلوب فعال وبثقة كاملة بالنفس ودون جرح مشاعر أحد، ودون أن نضطر إلى الانحناء لأحد، فمشاعرنا هامة بقدر أهمية مشاعرهم.

كيف تصرّ على الحق رغم اختلافك مع الآخرين؟

* قدم عريضة احتجاجك بهدوء ودون أدنى انفعال.
* لا تخضع لمشاعرك في اللحظة، بل تصرّف كما لو أنك تدافع عن حق صديق لك، لأنّ تدخل المشاعر في النقاش يجعل رؤيتك للأمور ضبابية، وهذا يقلل من قدرتك على متابعة النقاش.
* عبر عن أفكارك بقوة وثقة وسيطرة تامة على النفس.
* تمسّك بالنقاط الهامة في النقاش ولا تلتفت إلى الأمور الأقل أهمية.
* استخدم الجدل بالحكمة ودون عنف ودون ضعف.
* افهم وجهة نظر الآخرين، وتقبّلهم، واستخدم كلمة أنا أكثر من كلمة أنت أو أنتم، كي لا يُظَنّ أنك تنحي باللائمة على من تناقشه، وكن على حذر أن يصل به الحد إلى الانزعاج من كلماتك.
* كن قويًا وبالوقت نفسه كن مرنًا.

لا تستهن بهذه الـ(لا) فقد تكون ضرورية أحيانًا لإنقاذك من موقف محبط أو ورطة أو ترغيب أو ترهيب، ولا تجعل نفسك تخضع لشيء أنت غير مقتنع به مسايرة للآخرين أو مجاملةً لهم، كجلوس بين شلة أصدقاء يحببون لك ما تعتقد أنه خطأ، فلا تستحي أن تقول لهم: لا، والناس لن يرضيهم شيء، بل إن إرضاء الناس غاية لا تدرك. وكما قال سفيان الثوري، رحمه الله: «من عرف نفسه لم يضرّه ما قاله الناس عنه مدحًا أو ذمًا».

يقولون شذّ إذا قلت (لا)
وإمّعة حين وافقتهم!
فأيقنت أنّيَ مهما أُرد
رضا الناس لابد من أن أُذمّ !

وتذكر أن نفسك تستحق أن تجاريها أحيانًا، لكن لا تنس أنك كثيرًا ما يجب أن تقول لها: لا، وفي قصيدة البردة:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فأصحاب النفوس الكبيرة والإرادات العظيمة لم يصبحوا كذلك بين عشية وضحاها، لكنهم دافعوا الضغوط السلبية الصغيرة سواء كانت من داخل نفوسهم أو خارجها، وعندما وقفت الضغوط الكبيرة في طريقهم كان سهلاً عليهم أن يدفعوها لأنهم تدربوا على ذلك.

وبما أن هذه المجلة الغراء تصدر عن وزارة التربية والتعليم فلا مانع أن نضيف أمرًا هامًا هو: كيف نقول

لا تستهن بهذه الـ(لا) فقد تكون ضرورية أحيانًا لإنقاذك من موقف محبط أو ورطة أو ترغيب أو ترهيب، ولا تجعل نفسك تخضع لشيء أنت غير مقتنع به مسايرة للآخرين أو مجاملةً لهم

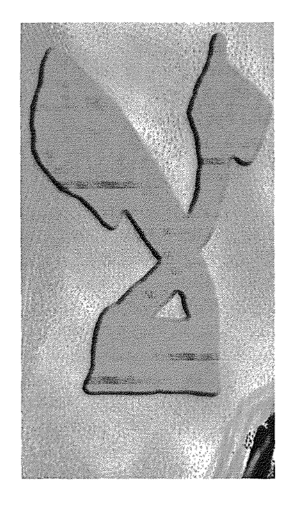
لأولادنا (لا) دون أن نضعف شخصياتهم؟

علّم الطفل منذ نعومة أظفاره معنى كلمة (لا)، لكن يجب عدم تكرارها كثيرًا على مسامع الطفل لئلا تحبط دوافعه في حب الاستكشاف والاستطلاع، إلا إذا كان يقترب من أذى نفسه أو غيره فيجب أن تقول له (لا) بصوت هادئ وحازم، واللجوء إلى الضرب ممنوع إلا في حالة طفل لا يفهم الكلام، ولتكن ضربة واحدة لاسعة ليد الضارب أيضًا، لذلك يفضّل أن تكون الأم من تقوم بالضرب دون أن تهتم بالطفل إذا بكى بعد ذلك أو تضمه أو تجعله لا يتفهم المغزى من الضرب ما يؤدي به إلى تكرار الخطأ مرة بعد مرة، وبالتالي يصبح العناد والتمادي في الخطأ جزءًا من الشخصية.

دائمًا بيّن للطفل الصغير الذي يفهم الكلام سبب رفضك لفعله فقل مثلاً: لا تلمس الموقد لأنه سيحرقك، لا تمدّ يدك إلى الكتاب فهو لبابا، لا تفتح النافذة وإلا دخل الذباب، وهكذا تتكون شخصيته بشكل سوي منطقي يربط السبب بالنتيجة، ويتعوّد على الطاعة المبصرة وليس على التبعية العمياء كما أن في تبيانك للسبب إرضاءً له بأنك لست متسلطًا.

لا تنس أن تقدم له البديل عما تمنعه عنه، فكي تعلمه احترام الملكية لن تسمح له بتصفّح كتاب هام لك، لذلك يجب أن تمنحه قصة خاصة به، وتعرّفه أن هذه ملكه أيضًا، وهكذا تنشأ شخصيته مستقلة مدركة لحقوقه وحقوق الآخرين. ومنذ البداية عوّده ألا تلبي كل متطلباته لأنه بذلك يظن أن كل ما يرغب فيه نافع ومفيد، عدا أن الطفل الذي اعتاد أن يحصل على كل ما يريد يكون عرضة للصدمات إذا لم يصل إلى تحقيق رغباته في المستقبل، وقد يصبح مستبدًا يعتقد أن كل الناس خُلقوا لإرضاء حاجاته وإشباع رغباته.

من الخطأ أيضًا أن نقول (لا) للطفل عندما تكون رغباته سهلة التحقيق، فإذا أنهى واجباته المدرسية فيجب ألا يمنع من اللعب، أما إذا لم ينته منها فيمنع مع إيضاح سبب الرفض بأن عليه إنهاء واجباته أولاً، إلا إذا كانت كثيرة فلا مانع من الفواصل المنشطة والمنظّمة بحسب عمر الطفل وحاجاته وقدراته. يطبّق التصرف نفسه إذا رغب الطفل في شراء لعبة بينما لم يمض على شرائه لعبة مشابهة إلا فترة قصيرة، وكذلك إذا كان يطلب أن يكون لديه ما لدى أصدقائه الآخرين، فإذا كان بإمكان الأهل تلبية رغبته دون أن يكون في ذلك إثقالاً على كاهلهم، ودون أن تخلو نفس الطفل من الشعور بقيمة ما يقدمه أهله له، فيجب أن تلبى له رغباته لأن للحرمان المادي في الطفولة آثاره الضارة إذا لم



توضح الأسباب للطفل، أما إذا تم احتضانه معنويًا فيمكن للأبوين بخاصة الأم أن تعوّض بحنانها وخيالها كثيرًا من حاجات الطفل التي لا يمكن تلبيتها.

بقي أمر أخير وهو وجوب تنشئة الأطفال على الثقة في النفس والجرأة في الحق بأن نعلمهم أن من حقهم قول (لا)، لئلا يتعودوا الطاعة العمياء وطأطأة الرؤوس وتقبيل الأيدي، ولنذكر مثالاً واحدًا من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام على جرأة أولاد الصحابة في قول (لا)، والاحتفاظ بالحق حتى لو كان من يطلب ذلك هو الرسول ﷺ نفسه:

«أتي رسول الله عليه الصلاة والسلام بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام هو ابن عباس رضي الله عنهما، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله، ولا أوثر بنصيبي منك أحدًا».

وأخيرًا رحم الله عمر بن الخطاب عندما قال: يعجبني الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه: لا! ■

انتبه

# اللا الهندية تعني.. نعم!

محمد الدعمي - بغداد




* أكاديمي عراقي.

**يفيد تجريد الأشياء بهدف مباشرتها منفردة بتعميق التفكير وإطلاق طاقات الإنسان العقلية الوصفية ومن ثم الفلسفية. وتنطبق هذه الحال بدقة على لفظة «لا» التي تكون واحدة من أول لفظتين يتعلمها الإنسان من لغته الأم ومن اللغات الأجنبية: فيقال إن فلانًا لا يعرف من الإنكليزية سوى «Yes» و«No»، واللفظة الثانية لا تقل أهمية عن الأولى في أنها تستعمل للتعبير عن السلب أو الرفض أو الاعتذار، كمعاكس للأولى التي تعبّر عن الإيجاب أو القبول أو الموافقة.**

ولأن التعبير عن هذين النوعين من المشاعر أو الرغبات أو المواقف هو جزء من كينونة الوجود الإنساني في إنائه البيئي والمجتمعي، فلا يمكن للمرء أن يجد لغة في العالم، حية أو ميتة، بدون كلمة مكافئة لـ«لا» أو«كلا»، نقائض للكلمتين «نعم» أو «بلى» في لغتنا العربية الجميلة. ويمكن لفقهاء اللغة أن يجهزونا بقائمة كاملة لمكافِئات «لا» في جميع اللغات القديمة والحديثة، المكتوبة والبدائية غير المسجلة. أما إذا ما شئنا تحليل اللفظة ودلالاتها في اللغة العربية فقط، فعلينا أن نستعين بالنحويين الذين، لا ريب، سيبرعون في هذا الحقل ليميطوا اللثام عن «سلوكيات» هذه اللفظة التي نستعملها ربما ملايين المرات في اليوم الواحد دون أن نتمكن من تمييز تنوعاتها كما يفعل هؤلاء النحويون: فهم لهذا يتحدثون عن متغيرات الـ«لا»: النافية للجنس، المكافِئة لـ«ليس»، العاطفة، الناهية، حسب وظائفها وموقعها في الجملة.

ولأن معارف النحويين، بصريين وكوفيين، متاحة في الكتب، فإن للمرء أن يحاول سبر أغوار دلالات «لا» التي اكتسبت هالة واسعة من المعاني عبر الماضي حتى وصلتنا اليوم برفقة قصص وحوادث تاريخية لا يمكن للذاكرة البشرية ولخبرة الأمة أن تتجاوزها بأي حال من الأحوال، خصوصًا إذا ما تواشجت اللفظة مع الحياة الروحية والتاريخ القومي. وأفضل مثال على أهمية هذه اللفظة (في اللغة العربية) هو ضرورتها لأهم فكرة في نواميس الوجود، وهي فكرة التوحيد، إذ لا يمكن أن يعلن الإنسان المسلم إيمانه بوحدانية الله بدونها: «لا إله إلاّ الله». بل إن المؤمنين يرددون هذه الجملة ليل نهار، وهم ينهضون من النوم، وهم يخرجون من البيت، وهم يعبّرون عن التعجب وعن سواه من المشاعر التي تذكّر المرء بقدرة الخالق، لأن هذه الجملة تعكس الإيمان بقدر وقدرات الواحد الأحد المتجلية في الأشياء وفي مساراتها.

وإذا كانت هذه الجملة (لا إله إلاّ الله) تعبّر عن جوهر الإسلام، الإسلام والتسليم لإرادة الخالق والتناغم مع جبروته وحكمته وإرادته لأنها تعكس «القبول» المطلق بإرادة الإله، فإن لفظة « لا» تنطوي كذلك على نقيض القبول عندما تفيد «الرفض» بمختلف مستويات دلالاته، ذلك أن الرفض يمكن أن يتصاعد بمعانيه من الاعتذار عن تلبية دعوة من ناحية، إلى الثورة أو التمرد أو الانتفاضة بجميع معانيها الاجتماعية والسياسية والتاريخية، من الناحية الثانية. ويبدو للمرء أن أعظم «لا» قيلت في التاريخ (بمعنى الرفض) هي تلك التي جسّدها الرسول الكريم محمد بن عبدالله ﷺ يوم عرض عليه عمه أبو طالب إغراءات زعماء قريش بالسلطة والثروات لأن يترك الدعوة الإسلامية، إذ جسّد الرسول الكريم ﷺ الـ«لا» الكونية التي هزت أركان العالم، بقوله: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته، أو أهلك دونه». لهذا السبب كانت «لا» محور الثورات التي غيّرت مسارات التاريخ عبر ماضينا العربي ـ الإسلامي وسواه.

أما إذا شاء المرء التوسع في المنظور، فإن أهم «لا» في حياة كل إنسان هي تلك الـ«لا» العابرة للغات وللأجناس التي يصرخ بها هذا المخلوق لحظة ولادته. هذه الصرخة تجسّد «لا» كونية يشترك فيها الإنسان الأبيض والأسود، الأصفر والأحمر في كل مكان وهي تفيد رفض هذا الكائن الانتقال من دفء الأمومة إلى خشونة الحياة حيث تنتظره رحلة الكفاح والكدح والعمل والبناء. وإذا كان رفض حدث الولادة والانتقال إلى عالم الحياة الدنيا هو أول تعبير في حياة الإنسان، فإن اللاءات تبقى ترافقه منذ تلك اللحظة حتى مماته، خصوصًا عندما تندمج اللاءات القسرية الثقيلة مع أنظمة التربية والتلقين

والتعليم من المنزل إلى المدرسة، ومن المدرسة إلى الجامعة ومن ثم إلى الحياة العامة. ولا يمكن للمرء أن يتخيل بدايات الوعي عند الطفل بدون تعليمه وتلقينه من خلال المنع والنهي والتحذير باستعمال «لا» الأمرية: «لا تلعب بالكهرباء»، «لا تقترب من النار»، «لا تضيّع الوقت»، «لا ترفع صوتك»، وتطول قائمة اللاءات لتملأ قوائم طويلة يمكن للمتخصص بالعلوم التربوية أن يرصدها ويسجلها ليكتشف أن هذه هي لفظة أكثر ترديدًا في حياة الإنسان.

ويمكن للفظة «لا» أن تُحوّر وتُغير معانيها حسب السياق والمعنى العام، ويتجسد هذا الأمر في الكتابة والتأليف وبمعاونة علامات التنقيط، إذ يمكن أن يتغير معنى «لا» من خلال طريقة تلفظها كما يلي: «لا.، لا ؟، لا !». في الحالة الأولى تعني اللفظة النفي: «هل تشرب الحليب كل يوم ؟» الإجابة (لا.)؛ أما في الحالة الثانية فهي تعبّر عن الاستفهام: «سافر علي بالأمس»، والاستجابة تكون (لا ؟) بصيغة الاستفهام الذي يستدعي من المتكلم الأول المزيد من الإيضاح. أما في الحالة الثالثة، فتفيد اللفظة التعجب: «رمى الرجل بنفسه في النهر»، والإجابة تكون (لا !) بمعنى تعجب المستمع وشعوره بمفاجأة الخبر غير المتوقع. ومن منظور آخر، يمكن للمرء التعبير عن النفي حتى دون استعمال اللفظة وذلك عبر التعبير الوجهي أو هز الرأس يمينًا ويسارًا ودون كلمات، مثلاً عندما يقدم شيء للإنسان كقدح شاي وهو غير راغب فيه. وقد حدثت لي حادثة طريفة بداية دراستي في الهند، ذلك أن تحريك الرأس يمينًا ويسارًا يعني لدينا «لا»، بينما هو يعني «نعم» عند الشعب الهندي: فإذا ما كان المستمع الهندي يحرك رأسه بهذه الطريقة فإنه يعني الموافقة والاستحسان، ويمكن أن تكون هذه الحركة شديدة الاستفزاز للزائر أو الوافد العربي لأنه يفهمها على نحو معاكس لدلالاتها، كنوع من أنواع الرفض، الأمر الذي قد يؤدي بالوافد إلى العصبية والانزعاج. ويذهب البعض إلى أن «لا» يمكن أن تعني «نعم» في مناسبات معينة. فإذا ما كان المعنى القاموسي للكلمة يفيد الرفض أو الاعتذار، فإنه يمكن أن يفيد بعكس ذلك، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالعلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة، والعاشق والمعشوق. وتدل العديد من قصائد كبار شعراء الغزل على ذلك، فرُبّ «لا» من محبوبته تعني «بلى»: «يتمنعن وهن الراغبات !». ولا تتجسد هذه الحال في تراثنا الأدبي وفي الحياة اليومية، بل هي تتجسد كذلك عبر السياق والتعبير الوجهي.

وإذا ما كانت كلمة «لا» وكلمة «نعم» تقرران أحيانًا مصائر شعوب وحياة أقوام عبر الاستفتاءات العامة التي تكون الإجابة عنها بهاتين الكلمتين فقط، فإنهما يمكن كذلك أن تكونا أشد حسمًا في الاقتراعات الدولية والمحافل العالمية. كما هي عليه الحال في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن، ذلك أن عدد اللاءات يعني السلب في التصويتات والاقتراعات، على سبيل تمرير القرارات والموافقة الجماعية عليها. ويمكن بهذه المناسبة استذكار مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، إذ إنه سُمي بمؤتمر اللاءات الثلاثة: لا تفاوض، لا تسوية، لا سلام. ويمكن لمن يتقن أكثر من لغة أن يرجع إلى قواميس ومجامع الأمثال والحكم والمقولات المأثورة ليكتشف بنفسه أن أكثر لفظة تتكرر في هذا النوع من الكلام المركّز والمشحون بالمعنى هي لفظة «لا»، خصوصًا في بداية المثل أو الحكمة: لا دخان بلا نار، لا تربط الجرباء حول صحيحة...، لا ضرر ولا ضرار، لا تنه عن خلق وتأتي مثله، لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم، والقائمة تطول.

إذا كانت «لا»، مجردة، تنطوي على هذا القدر من المعاني والدلالات، فكم يكون من الضروري أن يستعملها المرء بدقة وحذر. فرُب «لا» نصرت رسالة، ورُب «لا» هزمت أمة. وفي هذا الحذر من استخدام اللفظة يتمركز شيء من الأبعاد التربوية على سبيل تعليم أبنائنا متى يقولون «لا المبادئ»، ومتى يتجنبونها من أجل حياة طيبة ملؤها التسامح والمحبة.

إذا كانت «لا» ، مجردة ، تنطوي على هذا القدر من المعاني والدلالات ، فكم يكون من الضروري أن يستعملها المرء بدقة وحذر . فرُب «لا» نصرت رسالة ، ورُب «لا» هزمت أمة

هؤلاء يكتبون عن «لا» في حياتهم

# لا تزوّروا.. فليس لدي لاءات نضالية

نقولا زيادة *. لبنان

**أنا اليوم في منتصف السنة السابعة والتسعين من عمري، أقول هذا لأمرين: الأول شكرًا لله على نعمته علي. أما الأمر الثاني فهو أنني لما بحثت في أنحاء ذاكرتي لاستخرج منها ما فيها من لاءات وجدتها قليلة وذاكرتي قوية، فإن خانتني لا يمكنها أن تتجاوز البعض من هذه اللاءات كي تنساها.**

وهنا عدت إلى الأمر محاولاً تفسير تعثر اللاءات وقلتها عندي، وسألت نفسي: هل كنت في هذه الحياة الطويلة مسالمًا بعيدًا عن العصيان بحيث لم أقل «لا» إلا مرات، لا أقول قليلة بل حتى محدودة؟ هل كنت أشغل منصبًا رسميًا بحيث إنني لم أستعمل «لا» ولم أسمعها من أحد من الذين عرفتهم في حياتي؟ هل عشت في مكان قصي، ولو بعضًا من هذه العقود الطويلة في منأى عن الناس فلم أحتج لا إلى «نعم» أو «لا»؟ هل كنت شخصًا مهجورًا فلم يُعن بي أحد لا في الحصول على قبول أو رفض لمقولة من مقولاتي؟

أعدت فِلْم حياتي أمام نفسي فلم أجدني أيًا من هؤلاء، فأنا ابن لأبوين من الناصرة في شمال فلسطين، لكن والدي كان يعمل في سكة حديد الحجاز، وكان مركز الشركة التي بنتها في دمشق، لذلك فأنا مولود في دمشق، في ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٧م. بعد وفاة والدي عدت مع أمي وأخت وأخوين إلى الناصرة. قضيت الفترة الممتدة من ١٩١٦م إلى ١٩٤٧م في فلسطين، في الناصرة وجنين والقدس وعكا. في سنة ١٩٤٧م ذهبت مع أسرتي الصغيرة «زوجتي مرغريت وابني رائد» إلى لندن للعمل على الدكتوراه. حدثت نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م، بحثت عن عمل تعليمي فكان من سعادتي أن عينت في قسم التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت.

جئنا بيروت في ١٩٤٩م، وهنا زادت أسرتنا بولود باسم، واستقرت عند هذا الحد، وأنا لا أزال أقيم فيها إلى يوم الناس هذا. غادرتها في فترات تمتد الواحدة منها من أسبوع إلى سنتين قيامًا بواجب تعليمي بعد أن تقاعدت من الجامعة الأمريكية. في جامعة هارفارد «الولايات المتحدة» قضيت سنتين، وفي الجامعة الأردنية في عمان درست سنتين، وفي الجامعة اللبنانية في بيروت نحو ست سنوات على فترتين. ومن الجامعات التي قضيت فيها فترة أقصر الجامعة الإسلامية في عليكرة بالهند «نحو ثلاثة أشهر» وفي جامعتي زاريا وكانو في نيجيريا «نحو شهرين».

وقد قمت برحلات كثيرة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وفي العالم العربي من المحيط إلى الخليج، ولم تكن كلها رحلات قصيرة تمتد ساعات أو أيامًا على نحو ما يزور الناس البلدان، فقد امتدت إقامتي في بعضها شهرًا وكانت هذه متعددة المرات.

وكان أن زرت في الشرق الهند وباكستان وأواسط آسيا. إلى جانب التدريس عملت في الكتابة مقالات وكتبًا في حقلي الأساس وهو «تاريخ الحضارة اليونانية والرومانية والعربية الإسلامية» وفي حقول الجوار. وقدمت نحوًا من ١٥٠٠ حديث إذاعي بالعربية، ونحو ٥٠٠ بالإنجليزية، ولما وصل التلفزيون إلى عالمنا كان لي فيه جولات.

إذًا لماذا تقل الـ «لا» في حياتي؟

لم أستطع الجواب عن هذا السؤال. على كلٍّ جمعت ما

* مؤرخ وأكاديمي .

تذكرت من لاءات بعد بعض الجهد، وها أنا أعرضها على رئيس تحرير مجلة المعرفة الذي أصر على ألا يقبل «لا» عذرًا مني. فله وللعاملين معه في مجلة المعرفة شكري على أن حملوني على البحث عن هذه الـ «لا» الضائعة.

وإذًا فلنبدأ

فيما أذكر كانت أول «لا» تعلمتها عندما كنت في سن السادسة أو السابعة، كنت تلميذًا في مدرسة للإخوة الفرير في دمشق، وكان مما حفظناه العبارة التالية: «لا إله إلا هو الحي السرمدي» كنا نكررها يوميًا عند بدء أول درس.

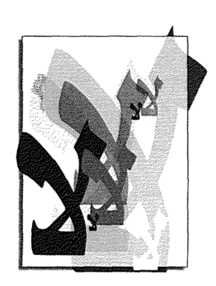
أنا واثق أن المعلم، وقد كان راهبًا، حاول جهده أن يفسر لنا العبارة، لكن أنا لم أفهم منها سوى أنني حفظتها، أما أنني فهمت معنى «إلا هو» و «الحي»، و«السرمدي» فأمر لا قبل لأحد منا بأن يدعيه، لكن الأهم من ذلك هو أن هذه الـ «لا» رافقتني حياتي كلها مع ما تبعها من الألفاظ، وقد تقلبت على معانيها ودلالاتها على نحو غريب وبتفسيرات متنوعة، ولو أنني أؤرخ لتطور معنى الكلمة في نفسي لاحتجت إلى مقال طويل جدًا، فلنتركها الآن، ولننتقل إلى الـ «لا» التالية.

ولم تكن هذه بعيدة عن الأولى لا مكانًا ولا زمانًا، فقد كان علينا أن نتعلم من شؤون الدين قسطًا لا بأس به. وهي هذه الوصايا العشر التي منحها الله إلى موسى في صحراء سيناء، وهذه الوصايا العشر تبدأ كل واحدة منها بـ «لا» لا تعبد إلهًا غيري، لا تكذب، لا تسرق...إلخ. هذه كان بعضها مما يمكن أفهمه حتى في سني تلك.

وهكذا فقد كان بدء اتصالي بـ «لا» نفيًا أمرت به، وكان علي أن أقبله وأفهمه وأطيعه، وأتقيد به في الحياة.

لما سكنا في جنين «نعم جنين صاحبة المخيم المشهور» لم تكن ثمة مدرسة في البلدة، فالإدارة التركية أقفلت المدرسة، وسلمت المبنى إلى صف ضباط ألمان كانوا يعملون في القاعدة الجوية الألمانية «أنا أتحدث عن أيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م - ١٩١٨م». بعد احتلال الجيش البريطاني فلسطين بأكملها، وحتى في أيام الإدارة العسكرية فتحت المدرسة في شتاء ١٩١٨م - ١٩١٩م، ودخلناها. كنا تلاميذ متنوعي الأعمار، وكان معلمونا مختلفي درجة المعرفة.

المهم أن الشيخ سعيد مرعي، وهو إمام الجامع الكبير في جنين، عين مدرسًا فيها لتدريس الدين الإسلامي ومبادئ العربية، كنت أعرف عن الشيخ سعيد معرفته، وكنت قد سمعته يجوّد القرآن الكريم، فأعجبت به. لذلك لما دخل في الحصة الأولى للدين قرأ لائحة أسماء طلاب الصف، ولما توقف عند اسمي قال لي أنت نصراني، يمكنك



أن تخرج من الحصة. قلت «لا»، سألني فيما كان والدي قد وافق، قلت نعم، «كان والدي قد توفي قبل ثلاث سنوات».

وكان أن حفظت السور القصيرة من القرآن الكريم، وآيات مختلفة كان الشيخ سعيد يستشهد بها في تفسير التعاليم الدينية. وقد أفدت من ذلك كثيرًا فيما مر بي من شؤون ودراسات فيما بعد. ولا أرى أن أترك الإشارة إلى الشيخ سعيد الذي ظلت تربطني به صلة طيبة، حتى بعد أن تركت جنين، وهي أنه دخل الصف مرة، وبعد أن خلع عمامته ووضعها على الطاولة كعادته، سأل «ماهي نواقض الوضوء؟» وتلعثم التلاميذ في الإجابة، فرفعت يدي فقال أجب، ذكرتها جميعًا مرتبة. فقال الشيخ سعيد مبديًا غضبه من الآخرين: «مش عيب عليكم أنتم المسلمون لا تعرفونها، وهذا الكافر يعرفها!» ثم تنبه لما وصفني به فضحك حتى بانت نواجذه.

قضيت في دار المعلمين في القدس السنوات ١٩٢١م - ١٩٢٤م، كنت حريصًا على التعلم والإفادة مما أسمع. كان معلم الحساب في السنة الأولى ن.ع. كان الرجل يحب أن يتمرقع «يهزأ» من التلاميذ، وخصوصًا الماهرين منهم في الحساب، وكنت أنا أحدهم، دخل يومًا الصف فإذا بأحد التلاميذ يقول له إن المسألة كذا فيها خطأ. وأشار إليه في كتاب الحساب «تأليف محمد زكي، من مصر». ثم التفت إلي وقال لي: «أنت تدعي الشطارة في الحساب لكنك لم تجد الخطأ!» كان ن. ع، طويل القامة، وكنت أنا بعد في أوائل الخامسة عشرة من عمري. ضاقت بي الأرض، ولا

أدري من أين جمعت الجرأة لأقول له «لا» يا أستاذ، أنا اكتشفت الخطأ وصححت المسألة وحللتها، وهذا كله موجود في نسختي من الكتاب! لم يكلف نفسه حتى الاهتمام بأن ينظر إلى التصحيح، وتركني أغلي، لكني قلت يومها «لا» قوية.

كانت حصتي في التعليم للسنة الأولى عام ١٩٢٤م - ١٩٢٥م، في قرية ترشيحا في قضاء عكا «شمال فلسطين»، كان ممن قُدمت إليه ك. ق. عرفوني عليه بأنه وجيه وجهاء ترشيحا. وكان رئيسًا للبلدية، تحدثنا قليلاً، وفي يوم استدعاني من المدرسة إلى مكتبه «وكنا متجاورين» وتحدثنا قليلاً، ثم سألني فيما إذا كنت بحاجة إلى شيء أو مساعدة فهومستعد لتقديم ذلك لي، أجبته بأدب «لا» شكرًا، فأنا أتدبر أموري تدبيرًا جيدًا، لا أدري فيما إذا عز عليه الأمر، فقال وفي نبرته بعض الكبرياء: «أنا أتقدم إليك بالمساعدة وأنت ترفضها» قلت أنا لم أرفض، لكنني لست الآن بحاجة، لكن إذا احتجت إلى أي عون، فإنني سأعود إليك. عاد له هدوؤه وسلوكه الطيب وودعني على لقاء، وقد كان لنا لقاءات حتى بعد أن تركت ترشيحا.

بين سنتي ١٩٢٥م و ١٩٣٥م كنت أدرّس في مدرسة عكا الثانوية، كانت سنوات الشباب «من ١٨ إلى ٢٨»، وكان من الطبيعي أن تقع خلافات تقتضي الرفض، لكن في هذه الفترة الطويلة تبين لي أن لاءاتي كانت قليلة، وقد تكون حتى باهتة. لكن ما دمت قد قبلت القضية، فلأنبش عنها، لأروي قصتها.

جاء في يوم من الأيام «أظن أنه كان سنة ١٩٢٧م» مدير المعارف البريطاني «المستر بومن» لزيارة المدرسة. بعد تفقد بعض الحصص باللغة الإنجليزية، وبعد حديث مع مدير المدرسة، أراد أن يجتمع بالمدرسين، اجتمعنا وكنا ثمانية، وبعد حديث عام مشجع «في رأيه» سأل إذا كان في المدرسة فرقة كشافة، فكان الجواب «لا»، فالتفت إلي وقال: ألّف أنت فرقة كشافة، قلت «لا»، لأنني لم أنضم إلى الكشافة إلا فترة قصيرة، وحتى هذه لم تكن جدية، فنظر إلي وإلى الزملاء، ثم وجه كلامه إلي «أنا أعرفك من أيام دار المعلمين «هذا صحيح»، وأعرف عنك أنك تستطيع أن تتعلم كل شيء، وتقوم بمهمات كثيرة. لذلك أنا المفوض الأول للكشاف الأعظم، أعيّنك قائدًا لفرقة كشافة ستقوم أنت بتأسيسها». كان أمرًا لكنه كان أمرًا فيه ثقة بي. وقد فعلت، وكان عندنا فرقة صغيرة لكنها فعالة.

في سنة ١٩٣٢م، وكنت قد بلغت الخامسة والعشرين من سني، أصبح لي الحق في انتخاب أعضاء المجلس البلدي في عكا. وجاء يوم الانتخاب الخاص بحيّنا، كان الصندوق ومعه المستر إيفانس، أحد كبار موظفي مكتب حاكم اللواء في حيفا، دخلت الغرفة لما جاء دوري «وكان حوله الموظفون المعنيون بالأمر» دخلت، ولما جاء اسمي قال: يبدو أن اسمك وضع خطأ، فأنت يا سيد زيادة تدفع أجرًا لسكناك هو دون اللازم للانتخاب، لكن دعني أراجع بعض الأوراق لعلي أجد حلاً، قلت له: مستر إيفانس أنا مضطر إلى الذهاب إلى حيفا، والقطار يتحرك بعد وقت قليل، فأنا لا وقت عندي للانتظار. «لا»، فلتكن «لا»، ولم أنتظر موافقته فغادرت قاعة الاقتراع «مستأذنًا بأدب»، وجميع من بالقاعة استغرب هذا التصرف الشجاع. وقد انتقدني بعض الحضور من الرسميين فيما بعد. كان جوابي أنني لم يكن عندي وقت حتى يراجع الأوراق. واللطيف أن بعض الذين أسفوا لتصرفي، لاحظوا أن المستر إيفانس لم يظهر غضبًا، ودعا الشخص الثاني للدخول. قلت لهم إن المستر إيفانس يدرك قيمة الوقت والوعد.

في سنة ١٩٤٩م عملت في برقة «ليبيا» مساعدًا لمدير المعارف البريطاني، كنت أقوم بعملي كواجب من الجهة الواحدة، ومن حيث إنني عربي يخدم جماعة من الأمة العربية. كان السيد علي صفي الدين يطمح في الحصول على المنصب قبل أن آتي، عرفت هذا فيما بعد من عريضة رسمية كان قد قدمها للإدارة اعتراضًا على تعين مسيحي «مقطّع موصّل» يقول إنه من فلسطين، ونقم علي. وكان أحد العاملين تحت إمرتي «وهو من الأسرة السنوسية» طلبت منه ومن سواه أن يقوم كل بعمل معين، وأن يوافيني الجميع بالنتيجة في تاريخ معين، كي نتدارس الموضوع ونقدم تقريرًا إلى الرئاسة. في صباح اليوم التالي، دخل علي مكتبي وهو متهدج منتفخ الخدين وصرخ في وجهي، «يا سيد نحن لا نتحمل الإهانة في عقر دارنا من غريب متطفل مثلك!» نظرت إليه بهدوء وقلت «لا»، لا أقبل منك هذا الكلام أبدًا. اذهب إلى مكتبك هدئ روعك، اشرب كأس شاي، وبعد ساعة سآتي أنا إليك لنتحدث حول ما تريد.

بعد ساعة ذهبت إلى مكتبه فلم يكن هناك، في صبيحة

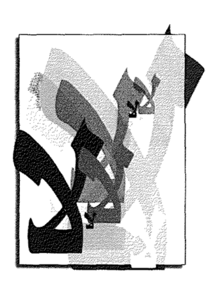
اليوم التالي لم يأت هو بنفسه ليحدثني، ولكنه أرسل أحد مساعديه ليقول لي إنه سينتظرني في المساء في بيته للحديث، رفضت من حيث المبدأ. قلت للرسول «حديث المكتب يتم في المكتب، أما الزيارة أو قبول دعوة للزيارة فأمر متروك للمستقبل!» لم يأت ولم يتحدث إلي، لكنه بعث المطلوب منه في الوقت المناسب، ولم يحضر الاجتماع بحجة - بالواسطة - أنه تغيب عن بني غازي «بنغازي» لسبب هام، عرفت فيما بعد من صديق أنه قال إنه أساء الأدب في التحدث إلي، لكن شرف أسرته يمنعه من الاعتذار لي. هذه «لا» علمت آخر درسًا.

كان ابني رائد في سن السادسة لما قام بشيء رأيت أنه يستحق عقابًا عليه بكف، حشرته في زاوية الغرفة وهممت بضربه وهو يقول «لا، بابا، لا» لم أستمع له، كان بيده قلم رصاص رفعه ليتقي الكف. أصابني من القلم رصاصته السوداء فجرحت أصبع يدي اليمنى. فلم أتم العقاب، واعتبرت أنني عوقبت أنا، لم أنتبه إلى أن جزءًا من رصاصة القلم دخل في أصبعي، مر على هذه الحادثة ما ينوف على نصف قرن. وقطعة رصاص القلم التي دخلت يومها أصبعي لا تزال في مكانها.

تعلمت درسًا، ولم ينل أحدٌ من ابنيّ «رائد وباسم» عقابًا بدنيًا مني أبدًا بعد ذلك.

في يوم من أيام عام ١٩٦٥م على ما أذكر، جاءت زوجتي مرغريت وقالت: «أنا تعبت من هذا البيت، الكل يطلب شيئًا ما، مللت هذه الحياة معكم. فتش لي عن غرفة مريحة لأذهب للعيش وحدي!» لم تكن مرغريت تمزح، كانت تشكو، ولو أن زوجها كان شخصًا آخر ضيق الصدر أو العقل أو كليهما، لعله كان قد استجاب لذلك بقصد أن يعلمها درسًا لا تنساه في حياتها، ولم أكن أنا أشكو من ضيق في الصدر أو في العقل. فنظرتُ إليها وقلت لها جادًا: «لا» يا مرغريت، هذا البيت بيتك، فإذا كنت متضايقة منا إلى هذا الحد، سأذهب أنا وأفتش عن مكان ننتقل إليه، رائد وباسم وأنا. وأنت تظلين في بيتك». قامت وتركتني. لكنها لم تترك البيت ولا تركناه نحن.

في شهر كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢م اكتشف الأطباء أن مرغيت مصابة بالسرطان، وأن المرض قد انتشر بحيث إنه لا فائدة من المعالجة، وقمنا بكل المعالجات اللازمة، على كل حال ظلت تتألم، وخصوصًا في السنة الأخيرة إلى شهر آب/ أغسطس ١٩٧٤م، في تلك الليلة وكانت قد نال إنهاك المرض منها الكثير، وكنت أرجو الله أن يخفف آلامها، ولو بالوفاة شفقة عليها مما كانت تقاسي.



في مساء الرابع من شهر آب/ أغسطس من سنة ١٩٧٤م، ذهبت لزيارتها مساء «كانت في المستشفى»، كانت متعبة، وقد جهدتُ حتى أمنع دمعة من التسلل من عيني، وإذ بها تشير إشارة بعينيها، وقد أسندت في فراشها، إلى السماء، أدركتُ أنها تشير إلى النهاية «في الواقع توفيت في العاشرة من مساء تلك الليلة». فقلت والألم يعصرني «لا» مرغريت، «لا». لم تجب لأنها لم تستطع الإجابة. دخل عندها ابني باسم ليخبرها بأنه نجح في نيل شهادة الهندسة المعمارية، ابتسمت وتمتمت بكلمة لعلها مبارك. في تلك الليلة انتقلت روحها إلى بارئها.

هذه لاءات نبشتُ أخبارها، وأنا أتقدم بها إلى قراء المعرفة، سيزورّ بعض القراء آسفين لأنهم لم يحصلوا على لاءات عسكرية قتالية نضالية مع رفع أصبعيّ الانتصار، ولكن ماذا أفعل وصناعتي تمت إلى الفكر بصلة، درسًا وبحثًا وتعليمًا وكتابة، لكنني لست من أبطال حرية الفكر كي أعرض للمحاكم. وعلى كلٍّ فإن أطول سنوات من عمري مرت قبل أن نصل إلى هذا الزمن - كدت أقول الرديء - فيحكم على الواحد لأنه قال لا «ولو في تشهده»، أو لأنه كتب ما حسبه مجلس الحسبة خارجًا على الشرع، أو عندما يمكن تكليف أي شخص أن يعد تهمة على شخص آخر فيحاكم غيابيًا، ومع ذلك قد يلقى القبض عليه فيسجن، أو يجد من يحميه فيسرح ويمرح على عينك يا تاجر.

أعد القراء إذا عثرت يومًا على لاءات أخرى سأبعث بها إلى المعرفة، لعلها تنشر، وعندما تفتح المعرفة باب «نعم» لعلي واجد «نعمات» تستحق الضحك، كما استحقت لاءاتي بعض العطف بعد. ■

# هل تستطيع دائماً أن تواجه «لا» بـ«لا»؟

سليمان الهتلان* - الرياض

**كان حلمًا أن اذهب إلى البعيد من أجل اكتشاف بعيد آخر. كنت أتوثب للرحيل، و كنت أبحث عن فرصة لهذا الرحيل فتعيقني تلك الـ«لا». تقمعني. تحاول أن تبقيني بليدًا. حاول صاحبها إبقائي بعيدًا عن دائرة الضوء. استخدم حتى علاقات «النسب و الحسب» من أجل فرض هذه الـ«لا» عليَّ. واجهت تلك الـ«لا» بـ«لا» أصدق وقعًا. و كانت «لا» لا رجعة فيها وذهبت. كانت لائي، وأنا اليافع المبتدئ، أقوى من كل لاءاته وزمرته. أخذت بنصيحة صديقي الجبلي الذي سبقني إلى الرحيل، إلى رحلة البحث عما يختبئ في البعيد: «اصمد مثل جبل». صمدت بعد أن وثقت بأن هذه الـ«لا» - التي واجهتني وأنا أبحث عن حقي في البعثة الدراسية، في رحلة وعرة من الاكتشاف والتجربة، سوف تكسر حاجز الخوف من رفع لواء هذه الـ«لا». قلتها و كان رزقي على الله.**

في مايو من عام ١٩٩٢م، حملت حقيبتي وبعض أوجاعي وبدأت اغترابًا جديدًا في البعيد. ما إن وصلت حتى رفعت من جديد «لا» في وجه من حاول أن يشدني إلى مستنقع التقليد والنسخ المكررة. كان هناك من ينادي بإلحاح: «الموت مع الجماعة رحمة». قلت: لا. رفضت أن أبقى مع القبائل التي تأكل جيادها، وكونت قبيلتي الجديدة، في الاغتراب، قبيلة تقدّر قيمة «الفرد» وعقله واستقلالية رأيه. قبيلة من الصدق لا ترفع «لا» في وجه أفكارك المختلفة أحيانًا، ولا تصد طموحك الهائج أحيانًا بـ«لا» مثل تلك التي رفعها في وجهي كثيرًا بعض أبناء جلدتي. رحلت بعقلي وجسدي ورفضت صحبة بعض أولئك الذين يرحلون، يوم يرحلون، بأجسادهم فقط.

أعترف: قلت «لا» كثيرًا وهي حالة تعبير منطلقة من كل قيد. كان سهلاً أن أقولها ولم يكن ثمة ما أخسره! لكنني ترددت، أحيانًا أخرى، في قول «لا» و قد كان مهمًا أن أقولها.

أتعبتني هذه الـ«لا» كثيرًا وانتصرت لي كثيرًا.

قلت «لا» كثيرًا. نجحت. شعرت بالانتصار وغبطة التميز.

قلت «لا» كثيرًا وندمت. خسرت. تمنيت أنني لم أقلها، ومشيت مع الناس وعشت مثل خلق الله.

ترددت في قول «لا» كثيرًا. ندمت. تعبت. تمنيت أنني قلتها وسرت في طريقي وأمري إلى الله.

أعترف بأن «لا» قد أتعبتني كثيرًا. رفعتني حينًا، و هبطت بي أحيانًا. نصرتني قليلاً و هزمتني كثيراً. لكنني قد تآزرت مع «لا» كثيرًا على الظلم وعلى الحزن وعلى الفقر. انتقمت لفقر أجدادي ولعزلة الكثير من أبناء عمومتي بـ«لا». كنت أشعر بشيء من الانتصار وأنا أرفع «لا» في وجه أولئك الذين لم يسمعوا «لا» إلا قليلاً في حياتهم العامرة بكل أفعال الأمر والنهي.

بعد أن ورطتني «لا» كثيرًا وانتصرت لي قليلاً هأنذا أسأل: لماذا الجرأة أحيانًا على «لا»؟

---

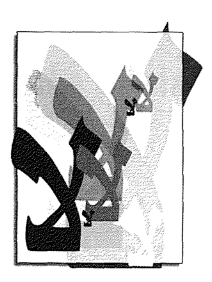
*كاتب سعودي .

تأتي إجابتي من تلك الحقيبة الممدودة على الأرض أمامي. كأنها تنتظر «لا» جديدة كي ترحل بي وترحل معي من جديد. إنها رحلتي التي كشفت لي أن في داخلي يسكن بدوي رحال ما إن يصل حتى يبدأ في البحث عن مكان جديد، عن رحلة جديدة، عن غربة جديدة ينصب فيها خيمته ثم يبدأ في البحث عن وجهة قادمة. كان بعض البدو يرفض أن يستبدل ببيت الشعر بيتًا من الإسمنت. كان يدرك أن الإسمنت سيقيد روحه الرحالة، وسيعطل قدرته على استنشاق رائحة المطر في الاتجاهات المتباعدة.

ها هي حقيبتي نصف معبأة. ها هي تنتظرني كي تحملني من اغتراب إلى اغتراب، من فضاء إلى فضاء. أثق بأن دقيقة واحدة كفيلة بملئها بما على الطاولة أمامي من كتب وورق فإذا بي في الشارع الطويل أنادي بصوت عال: تاكسي.... تاكسي....

هل هي ورطة أن تلجأ إلى «لا» كلما حاصرتك بعض الظنون؟

عرض عليَّ موقع فيه بريق. كان العرض مغريًا. و كانت الحاجة اللعينة تفتح أمامي سيلاً هائلاً من التبريرات. كانت تحثني على أن أقبل العرض. ترددت. نمت مترددًا. استيقظت بعد ليلة من الكوابيس التي تداخل فيها الحلم بسعة في العيش مع يقظة الضمير الخائف من ازدواجية المعايير فصرخت بـ«لا» و قلت «لا» بحزم، فأنزل الله السكينة على قلبي ونمت في اليوم التالي نومة هانئة كأنني لم أذق طعمها منذ غادرت قريتي الصغيرة في بلاد السراة قبل عشرين عامًا أو يزيد. وحينما تعطلت بي سيارتي المتهالكة وأحرجتني وسط الطريق المزدحم بالسيارات الفارهة وبالعابرين، بادر شيطاني وذكرني بـ«الفرصة» الثمينة التي أهلكتها تلك الـ«لا» الصاخبة قبل أسابيع. كأنني تحسرت قليلاً. أنَّبت نفسي قليلاً. لكنني تراجعت واستعذت بالله العظيم من شر هذا



الوسواس الخبيث الذي يغزو رأسي كلما توقفت بي سيارتي في منتصف الطريق الطويل.

هل انتهى وقت المغامرة وزمن هذه الـ«لا» التي خسرت وربحت بها ومعها الكثير؟

أنظر في المرآة. أبحث عن مبرر جديد لمغامرة جديدة. أتحايل على سني العمر التي تاهت في حسابات القرية القديمة، وفي سنوات الاغتراب الذي لا يريد أن ينتهي. يلح بياض الرأس الذي لم أعد أقوى على التحايل عليه أن يذكرني بأن ما مضى أكثر مما في الطريق. تتعطل سيارتي في منتصف الطريق كثيرًا. قائمة المطالب الملحة تطول. أصوات الناصحين، من كل الاتجاهات، تؤرقني وهي تلح: اعقل. أو كأنها تنادي: تعقَّل مع هذه الـ«لا» وحكِّمها لظروف «المصلحة» وأنت تعلنها أو تغض الطرف عنها، وسوف يتفهم موقفك المقربون ممن نصحك: اصمد كجبل.

لا.

تلك هي حقيبتي أمامي شبه ممتلئة. كأنها تصرخ فيَّ: اصمد. اهرب. ارحل. و هأنذا أركض نحو حقيبتي، أهرب مني إليها، أهرب إليها خوفًا من هذه الـ«لا» التي أثقلتني وأربكتني وأبقتني طويلاً في صفوف المشردين.

ها هي هذه «الفانتازيا» تثير الأسئلة: كم من «لا» قيلت على عجل ثم تورطت بها؟! وكم من «لا» كان يجب أن تقال منذ زمن طويل ولم تقل فتورطت بها وورطت بها بعض الآخرين؟!

خليها فانتازيا! ■

سليمان الهتلان

# لا الفاصلة والرابطة تجعل منك (سيدًا)

محمد الحضيف* - الرياض

**بعض الكلمات تصاحبنا فترة طويلة، ولا ننتبه لمعناها، ثم يأتي موقف، فنكتشف كم هي (خطيرة)، وأنها ليست كسائر الكلمات. أتذكر اللحظة الأولى، التي استوقفتني فيها كلمة (لا)، وقتها كنت طالبًا في المرحلة الثانوية، كان ذلك في نهاية السبعينيات الميلادية، فترة شهدت، ذروة الصراع بين التيارات الفكرية.**

هذا الصراع أنتج أدبيات ومؤلفات كثيرة، يدور أكثرها حول الجدل (الديني) و(اللاديني)، أيهما يملك المشروع النهضوي، القادر على انتشال الأمة من مأزق التخلف، ويلبي استحقاقات التنمية، التي أعاقها الصراع، ضد الاحتلال الاستيطاني اليهودي لفلسطين.

قراءتي لذلك النتاج، قادتني إلى الاطلاع على أعمال فكرية، كرست للرد على شبهات بعض العلمانيين، الذين ينزعون نحو الإلحاد، وإلى رفض مبدئي لكل ما هو ديني ومقدس، فضلاً عن كونهم لا يرونه يصلح منطلقًا لرؤية تملك تصورًا لمشروع حضاري. في أحد هذه الكتب، قرأت عبارة:«لا إله..والحياة مادة».

كان وقع (لا) هذه شديدًا على نفسي (الغضة) أنذاك، لم أفهم المعنى الخطير لوجود «لا» في الشهادة «لا إله إلا الله» إلا بعد تلك الـ(لا) المادية الملحدة! منذ ذلك التاريخ كلما سمعت نداء الشهادة، مسبوقًا بـ(لا)، التي تنفي الألوهية عن كل ما هو (بشري)، وتنزع عن (الأرضي) دعوى الحقيقة المطلقة، وتجعل من (السماوي) العلوي شيئًا متفردًا، مطلق الكمال، تنعكس تجلياته على كل علائق الارتباط به، من خلال (لا) التوحيد. هذه الـ(لا) ملأتني يقينًا أن رزقي عند واحد، وموتي بيد واحد، فصرت لا أرجو، ولا أخاف إلا إياه.

كان موقفًا مع (لا)، غيرت مجرى حياتي. قبلها كنت قد صادفت أو وقف في وجه رغبة من رغباتي (لاءات) كثيرة، سمعت (لا) من أبي وأمي، أو من معلمي، من رجل في الشارع، أو من رجل مسؤول. عشت في مجتمع (اللاءات) فيه كثيرة، تئد أحلامًا، أو تغتال لحظات فرح، لكني طورت في داخلي (ميكانزم) قادر على التجاوز، والتحدي، والمقاومة. وحدها هذه الـ(لا)، التي وقفت أمامها واجمًا، خاشعًا، وحدها جعلتني أستشعر عظمة الله جل جلاله، وأشعر بالامتنان، وبفضله سبحانه، أن أمنت بالإسلام دينًا، وأن هداني له، منهج حياة، وحدها هذه الـ(لا)، التي حملتها معي، قاومت بها الخوف من الأجل، والخوف على الرزق، وجعلتها سلمًا، كلما شدني ثقل التراب، لأخلد إلى الأرض ارتفعت بها، لأنفي علاقتي بـ(الأرضي)، بكل ما فيه من غواية.

في مرحلة أخرى من حياتي، بعد الموقف الأول، وجدت نفسي أمام (لا) أخرى، غيابها كليًا، يمنح صاحبها ميزة. يقول (لا)، مرة واحدة فقط، وفي حال محددة مخصوصة، ويبقى سيدًا مطاعًا، ها هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي، رضي الله عنهم جميعًا، يقول عنه الفرزدق:

ما قال (لا) قط إلا في تشهده
لولا التشهد، كانت (لاؤه) نعم

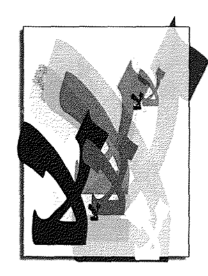
هنا تأكيد الـ(لا) الأولى، التي أشعرتني بالامتنان، ومنحتني إحساس الارتباط بالذات المطلقة، ونفي لـ(لاءات) أخرى، لا معنى لوجودها، أدركها قائد / سيد، يقرأ الناس في وجهه ما يريد وما (لا) يريد، فلم يحتج لأن يقول غيرها. اختص بتلك المكانة، حين أعلن رفضه لـ(لا) الخضوع لغير الذات العليا، عبر قوله لـ(لا) واحدة، جعلته سيدًا، كلما أذعن لها امتلك أدوات القوة ضد الخوف، أيًا كان شكله ومصدره، وارتفع على (سلطة) الرجال، حيث كانت مراتبهم ومكانتهم، فتبعه الناس، فهو يغضي حياء، ويغضى من مهابته.

توقفت كثيرًا، عند وصف الفرزدق لعلي بن الحسين، واستحضرت (المشهد)، الذي اشتمل على الواقعة، بكل تفاصيلها، وأحداثها، و(رجالها)، فأمنت أن (لا)، التي تفصلنا عن الأرضي، وتربطنا بالعلوي، هي التي تجعل للفرد من بيننا، كيانًا مختلفًا. ■

* كاتب سعودي.

محمد الحضيف

# نجحت بـ ٣ لاءات وفشلت بـ «لا» واحدة



عايض القرني * . الرياض

**حالي مع (لا) هو حال كل مسلم ينطق بها كل يوم فيقول: لا إله إلا الله، فهي عندي جميلة إذا كانت لرفض الخطأ، فلا للظلم والزور، وهي قبيحة إذا كانت لمنع المعروف والإحسان.**

قال الفرزدق:

ما قال لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم

حالي مع (لا) حال يغلفه الألم عندما أراها مكبوتة في الأعماق أمام جور قادم علينا من الخارج يحاول أن يجتث أمتنا، وأن ينتزع هويتنا، وأن يسحق تاريخنا.

حالي مع (لا) حال يؤرقني صمتها عندما أراها قابعة في ركن عميق بين أضلع أمتي ترقب بألم مأساة الحال، وتخشى من المآل، وتجول بفكر يسافر آلاف الأميال، يحاول أن ينسى بعض الأهوال..

ومع هذا وذاك..

فحالي أيضًا مع (لا) كطفل ما زال يرنو إلى السماء، يرقب يومًا يكتمل فيه وجه القمر، فينير لنا دربًا، من خلاله يمكننا أن نسلم هذه (اللا) إلى جيل سيأتي ليقول (لا) لكل من أراد أن يروع أمننا، و(لا) لكل من أراد أن يجر أقدامنا لمنعطف خطر لا أمن فيه ولا أمان.

حالها مع غيري كحالها معي لأني إنسان من الناس لكني أحب سماعها من:

إخواننا المجاهدين في أرض فلسطين عندما يقولون (لا) للاحتلال.

إخواننا المسلمين في أرض العراق عندما يقولون (لا) للاستعمار.

إخواننا في الغرب عندما يقولون (لا) للسفور.

إخواننا المسلمين في الشرق عندما يقولون (لا) لترك الدين.

تعجبني:

(لا) التي تدعو للتوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿ **الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾.

(لا) التي تدعو للاستبشار برحمة الله، كما قال الله تعالى: ﴿ **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾.

(لا) التي تدعو للسكينة والأمن، كما قال الله تعالى: ﴿ **كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾.

(لا) التي تدعو للأمل، كما قال الله تعالى: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾.

(لا) الشمم، كما قال عمر: يعجبني الرجل إذا سيم الخسف أن يقول (لا) بملء فيه.

وتزعجني:

(لا) الأغنياء التي يصدون بها عن فعل الخير وبذل المال فهي ترس أسود في وجوه الفقراء.

(لا) التثبيط التي تجعل المسلم سلبيًا لا يقوى على شيء.

(لا) العجز التي تشل قدرات بني البشر.

(لا) التي تلحق بكلمة (أستطيع) فعندما تجتمعان تنبئان عن بداية رحلة الفشل.

ثلاث لاءات قادتني إلى النجاح:

* (لا) للكسل.
* (لا) للجهل.
* (لا) للتقليد.

وفشلت بـ(لا) مرة واحدة، لما قلت:

* (لا) للأناة والرفق.. ■

*داعية سعودي .

عايض القرني

# لا تقل «لا» ولا تقل «نعم».. قل: يصير خير!

جعفر عباس* - الدوحة

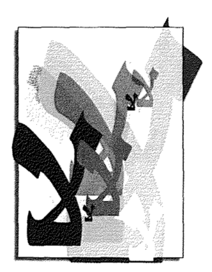
**في أدبيات الصحافة العربية يعتبر قول «لا» شجاعة وجسارة، مع أن قولة «نعم» قد تكون - وفي مواقف كثيرة - أصعب وأوخم عاقبة من قولة «لا».**

وحياة أمة الأعراب زاخرة بلاءات «زي قلّتها»، لاءات كلها فشوش، ويحزنني على نحو خاص أن أشهر لاءات في التاريخ العربي المعاصر مقترنة باسم عاصمة بلادي، ثم أثبتت الوقائع والممارسات أنها كانت «نَعَمات» مبطنة. فعند الترجمة على أرض الواقع صارت لاءات الخرطوم الشهيرة: نعم للاعتراف بإسرائيل.. نعم للتفاوض معها.. نعم للصلح.. نعم للشلح.. نعم للبوس، و..أخيرًا: نعم لبوش!! العربي العاقل لا يقول لا أو نعم، بل يقول كلامًا مبهمًا مثل: نشوف.. يصير خير.. اللي تشوفه... رأيي ليس مهمًا، أنت تقرر ونحن وراءك!! وفي ظل الظروف السائدة عالميًا الآن، حاول الإجابة عن سؤال من شاكلة: هل ما زلت تدعو إلى محو الإسرائيليين من الوجود؟ إذا قلت نعم فستصبح عضو اللجنة المركزية لمحور الشر، ومن أعداء السامية، وإذا قلت لا فمعنى ذلك أنك شخص مريب بحكم أنك كنت عضوًا في اللجنة المركزية لمحور الشر!! ومثله السؤال: هل توقفت عن ضرب زوجتك؟ إذا قلت «لا» فمعنى ذلك أنك لا تزال حيوانًا يمتهن آدمية شخص ينبغي أن تكفل له الحماية والكرامة، وإن قلت نعم فمعناها أنك كنت حيوانًا يمتهن آدمية وكرامة الزوجة! والشاهد هو أن قول «لا» ليس بالضرورة دليل شجاعة وثبات على المبدأ أو الموقف، بل إن الكلمة تتردد كثيرًا على ألسنة محترفي الكذب سواء على مستوى البيت أو على مستوى «الدولة». فالطفل في البيت يتسلح بلا النافية للتهرب من العقوبة: لا لم أضرب فطومة.. لا لم يعطونا واجبات مدرسية لأن أربعة من المدرسين ماتوا بعد أن أكلوا طعامًا مسمومًا في كافتيريا المدرسة.. لا لم تعطني ورقة فئة المئة ريال السبت الماضي، بل كانت ورقة فئة ٥٨ ريالاً!! وفي كل دولة عربية مسيلمة مهمته استخدام «لا» لنفي حدوث أشياء شهدها الملايين: لا صحة لما يردده الحاقدون والخونة.. لا وجود لخلل في الموازنة.. لا يوجد عندنا عاطلون عن العمل.

وبالتأكيد فإن «لا» تنم في مواقف كثيرة عن شجاعة وثبات على المبدأ، فمثلاً قد تطلب منك زوجتك ألف دولار لشراء دبوس مصنوع من الألمنيوم، لأنها ليست «أقل من زينبو»، فتقول لها: لا.. ما يجوز.. خذي خمسة آلاف واشتري لنفسك دبوسًا من البلاتين الذي هو الذهب الأبيض (أنت طبعًا تتمنى لو أنه من البلوتونيوم المخصب).. وقول لا في مواقف سياسية ينشأ عن مزيج من الحمق والشجاعة، والذين يقولون لا في الشؤون السياسية لا يعمرون طويلاً ولا ينجحون في «تكوين أنفسهم»، بينما النعمنجية (محترفو نعم)، يصعدون في السلم

* كاتب سوداني .

الوظيفي قفزًا وتتحسن أوضاعهم المالية والنفسية والجنسية، بعكس الفئة الأولى التي يكون المنتمون إليها من مستحقي الزكاة والفياغرا!! وأقول ذلك عن تجربة، فقد تملكني الحمق في مرحلة الشباب وعاديت نظام حكم المشير جعفر نميري، وإذا قالت حكومته نحن عرب، قلت: لا نحن تتر. وإذا قال إن السودان بلد إفريقي، صحت: لا نحن بلد أوروبي. وكأن اسم بلدنا أصلاً السويد، ولكن ونتيجة للفساد والاختلاسات طار الألف والنون من آخر الاسم، وتسلل حرف الياء العليل ما بين الواو والدال. وهكذا لم يجد نميري مناصًا من الزج بي في السجن، ولم أرتعب أو أرتجف عندما جاء رجال الأمن لاصطحابي إلى السجن، بل كنت مزهوًا لأنني سأكتسب لقب «مناضل» وسأكتب عن تجربتي في المعتقلات، كما فعل الكثير من المثقفين، وفي مكتب مأمور السجن أعطوني حصيرة وبطانيتين، فقلت: لا بأس فقد عشت حياة خشنة، ولا ضير في أن ينام مناضل على حصيرة، ثم اقتادوني إلى مجموعة من الزنازين وناولوني «قصرية» وهي وعاء أبيض لا صلة له بالقصور أو الفخامة، لأنه مخصص لقضاء الحاجة، وشعرت عندها بالمهانة، ولولا بقية من حياء لبعثت لنميري ببرقية أقول: معليش يا ريس.. أنت الكبير وعليك تحمل طيش الصغير.. أؤيدك في المنشط والمكره.. بس الله يخليك بلاش القصرية! وبسبب تلك القصرية لم أكتب عن تجربتي في السجن وضاعت عليَّ «بطولة» كنت أحسب أنني أستحقها، ولأن لاءاتي كانت أصدق من لاءات الخرطوم الشهيرة فقد خرجت من السجن متبطلاً وليس بطلاً، فقد طردوني من وظيفتي الحكومية، والتحقت بالعمل بسفارة دولة ديمقراطية جدًا، ولكنهم طردوني أيضًا من العمل لأن مسؤولين حكوميين أبلغوا السفارة أنني عميل لبلاد السوفييت وجزيرة كريت وتكريت، وهكذا اضطررت إلى الهجرة إلى منطقة الخليج، وتعلمت فيها أن من يقول «لا» للكفيل، لا يختلف عن النملة التي تناطح الفيل.



بعد تلك التجارب المريرة قررت عدم قول لا أو نعم، وصرت أفضل كلمة «بلى» التي فيها شيء من «نعم» وشيء من «لا»، وكثير من البلاء. يسألني مديري أو رئيسي المباشر إذا ما كنت أوافقه الرأي، ورغم اقتناعي بأن رأيه في منتهى السخف والبله، فإنني أقول له بصوت جهوري «بلى»، ويهمس صوتي الداخلي مكملاً: بلى (بلاء) ياخدك ويريحنا منك!! ونصيحتي لكل موظف أو عامل ألا يقدم إجابة حاسمة لرؤساء العمل لأنهم لا يطلبون رأي مرؤوسيهم من باب الشورى وتبادل الآراء، بل من باب تحضير شماعة يعلقون عليها الأخطاء في حال حدوثها! وحتى عند التعامل مع رئيسك المباشر في البيت، التي هي زوجتك فإنني أنصحك بتجنب الأجوبة القصيرة الحاسمة: ما رأيك في أن تأتي أميَ لتقيم معنا لتسعة أشهر؟ قل في سرك: أحمل بأمك واحتملها تسعة أشهر؟ اللهم لا اعتراض.. ثم ارسم على وجهك ابتسامة بلاستيكية وقل لها: الرأي رأيك وأنتِ كلك نظر!! هذه الإجابة ليست كما يتراءى لك دليل جبن، بل دليل خبث!! فإذا قلت لا معارضًا قدوم حماتك، فأنت تعرض سلامتك وصحتك للخطر، وإذا وافقت على الاقتراح فلن يكون من حقك أن تشكو وتطنطن إذا حشرتْ حماتك أنفها الطويل في كل شيء! دع «المفترية» تتخذ القرار وتتحمل أفعال أمها وردود أفعالك.■

جعفر عباس

# لا.. لن أنتسب!

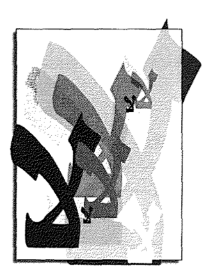
خالص جلبي *. بريدة

**روت لي ابنتي قصة جميلة حول كلمة (لا)، وهي تفك سرًا كبيرًا في علاقات البشر وسيكولوجية السيطرة والانصياع. وأن الشيطان ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين. وأن سر الطغيان هو القابلية في النفوس. ومنه أسس القرآن الحساب الأخروي على المسؤولية الفردية.**

قالت لي ابنتي إنها واجهت موقفًا صعبًا عندما كانت في مدرسة ثانوية في بلد يدين بفكرة الحزب الواحد، وطلب منها الانتساب للحزب القائد، حيث إن الخطة كانت في (تبعيث) كل الطلبة. واليوم مات حزب البعث بعد أن تبخر صدام وأعوانه وأصبحوا سلفًا ومثلاً للآخرين.

قالت ابنتي دخل الأستاذ (البعثي) إلى الصف وتوجه إلى الطلبة من ذكور وإناث فقال: هل هناك أحد غير بعثي في هذا الصف؟ فرفع ثلاثة من الطلبة أصابعهم كان أحدهم (طالبة). قال الأستاذ: إذًا سوف نوزع عليكم استمارة الانتساب للحزب. وفي اليوم التالي كان الطلبة الذكور قد نالوا الحظوة بالانتساب للحزب القائد، وبدؤوا بقراءة ترانيم الصباح من إنجيل القائد الذي يحكم إلى الأبد. وبقي في الفصل متمرد واحد (أنثى) تشبثت بموقفها أنها لن تنتسب للحزب. قال لها الأستاذ: لماذا لم تنتسبي إلى الحزب؟ قالت الطالبة: هل الانتساب للحزب إلزامي؟ ارتبك الأستاذ وابتسم ابتسامة صفراء وقال: بالطبع ليس الانتساب إلزاميًا. ولكن الانتساب للحزب يمنحك العديد من المزايا، وبدأ يعدد بركات الحزب من تأمين الوظيفة، ودخول الجامعة، والانتساب للجيش، والانخراط في المخابرات، ومزية التجسس، وفتح الدكان، وصك الزواج. أصرت الفتاة على موقفها وقالت: لن أنتسب للحزب. طلبها الأستاذ على انفراد حتى لا تحدث (شوشرة) في الصف، وقال لها: اصدقيني الخبر فإن كان والداك قد (خوفاك) أو مارسا ضغطًا عليك أن ترفضي الانتساب إلى الحزب فلسوف نتولى أمرهما؟! قالت: لا.. والامتيازات لا أريدها ووالداي تركا لي حرية الاختيار، وأنا اخترت ألا أنتسب للحزب. وأكرر هل الانتساب للحزب إجباري؟ ارتبك الأستاذ هذه المرة أكثر وامتعض، وبدت على وجهه علامات الغضب، فلم يواجه حالة استعصاء نادرة مثلها. وفي العادة ينضم الجميع مثل الحملان الوديعة. فأحال المسألة برمتها إلى مدير المدرسة كي يعالج

*كاتب سوري .



هذا التمرد الخطير في عقول الشبيبة التي يغسلونها على مدار الساعة. وفي اليوم الثالث، استدعى المدير الطالبة وأكرمها بمقعد وثير، وابتسامة عريضة، وتهليل مجيد، ثم فتح فمه فقال: أنت من خيرة الطالبات، ونحن نبني عليك الآمال، والحزب القائد يتطلع إلى أن تنتسبي إليه وتشاركي في النضال بين صفوفه. سكتت الطالبة هنيهة والمدير يتأمل تعبيرات وجهها، وأجابت بهدوء: هل الانتساب للحزب إجباري؟ صعق المدير وأجاب بانفعال وقد ارتفعت طبقة صوته: لا .. لا .. بالطبع ليس إجباريًا، ولكن... ثم بدأ يعدد المحاسن اليوسفية والدرر اللامعة لإنجازات الحزب والقائد. وعندما ختم ديباجته قالت الفتاة باختصار وإصرار أكثر من الأول ما دام كان الانتساب للحزب ليس إلزاميًا فلن أنتسب للحزب.

هذه .. اللا ... اللعينة أحدثت إرباكًا في إدارة المدرسة، ورأوا فيها بادرة خطيرة من التمرد من طالبة تافهة؟ عندها انتقلوا إلى الوعيد والترهيب فكانت النتيجة نفسها. وكانت هذه الجملة تشكل معادلة صعبة ليس لها حل في رياضيات الحزب: «قولوا لي هل الانتساب للحزب إجباري؟» فلما سقط في أيديهم اعتبروا أن عقل الطالبة قد تسمم. وأن مسًا من الجنون أصابها، وأن خلفيتها بورجوازية، وأن تربيتها عفنة رجعية جدًا، فلما يئسوا منها خلصوا نجيًا وتركوها على أمل التمكن من إرادتها في مناسبة أخرى.

هذه القصة تحكي ما يجري تحت الأنظمة الشمولية. كما تحكي القابلية للاستعمار وكيف يولد الاستعمار. كما تحكي قوة (لا)، وأن استعمار الناس يتم بأيديهم، وأن الشيطان ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين. كما تحكي لماذا تأتي أمريكا إلى المنطقة لغزو ديار الوثنيين الذين أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيلا.

إن القاسم المشترك بين الفاشيين والبعثيين والنازيين هو مركزية الحزب ونظام التجسس وترويع المواطن. وأعظم آفة يتعرض لها مجتمع هو تحوله إلى مجتمع كله حزب من المنافقين. وهم بممارسة دين (الإكراه) حولوا الأمة إلى قطيع من الخائفين.

إن بركات الحزب كثيرة ! ولكن ينقصه مزية واحدة حرمان الإنسان من (الاختيار)، ومعها يحرم من كل (إنسانيته) ويتحول إلى (شيء) من الأشياء. ومعها يخسر الأبعاد الثلاثة له كإنسان: «الاستقلالية والإرادة والتفكير». ليتحول إلى كائن مسطح مثل نعل الحصان، فهذه هي مصيبة الأحزاب الشمولية. ■

# لا ترم قشر الموز!

خالد السيف *. بريدة

**تتنازع الـ(لا) بين رحى قطبي التقديس والتدنيس! مما يشي بأن ثمة انفجارًا «دلاليًا» ضخمًا تختزله هذه الـ(لا) في بعد «ابستمولوجي» يسفر - بالضرورة - عن حال «اجتماعية/ نفسية» تأتي وفق حراك «ميكانزم» متلبس بهلع «الاتباع» أو ألق «الإبداع»!**

وبحسبان هذه المسافة الفاصلة بينهما أن تمتلئ بأرتال من (الأشباح والأشباه)؛ وما إخال أن هناك من أحد لم تكن قد اصطحبته هذه الـ(لا)، إن بوصفه قائلاً «بها» أو متلقيًا «لها» (رغم أنفه المعقوف والأكثر شبهًا بالـ(لا)، وهذا - الاستصحاب للـ«لا» من لدن أي أحد فينا - من شأنه أن يمنح الـ«لا» علاقة حميمة بالإنسان نفسه؛ بل لعلها أن تكون قد ولدت معه فانعجنت بجيناته؛ الأمر الذي بات معها - وبها - إنسانًا! أمعنت الـ«لا» في إيقاع تكوين هويته؛ ولئن لم يتفوه بها «لسانه» بادي الرأي؛ فإن المبادرة تأتي حينئذ من «أذنه» تتشنف راغمة سماعها! (وعليه فالـ«لا» وراك وراك، حيثما رحت أو قعدت).

ومهما يكن من أمر، فقد دشنت الـ«لا» مقارفة أول عصيان عرفته الخليقة كلها؛ ذلك أن إبليس هو أول من قد اجترح موبق «الممانعة»؛ إذ افتض منها حزبه «البكر»! وتولى كبر آليات الامتناع والاستكبار، حيث استحالا - على يديه - «شعارًا» يقتات بهما «إبليس» وأعضاء «حزبه»!... وليس ثمة من شيء يمكنه أن يبطل فاعلية «لا» إبليس؛ سوى «لا» العبودية الحقة في لا إله إلا الله؛ الرسالة/المشروع «التوحيدي» الذي اضطلع به «الأنبياء» قاطبة في سبيل اعتاق «الإنسان» من رق أي عبودية لغير مستحقها وهو «الله تعالى».

«أبو جهل» عراب «الممانعة» في شقها البدوي/ الجاهلي؛ ما من شيء إلا ويمكن أن يتقبله - «أبو جهل» وأشياخ قريش - من لدن «محمد ﷺ» باستثناء هذه الـ«لا» إله إلا الله؛ تلك التي أمكنت «بلالا» بعدًا من أن يرقى سطح «الكعبة» دون أن يأبه بأعين «أشياخ» قريش! وهي تتناوشه إبان رقية الكعبة لبنة لبنة. يبدو أن ما كانت تخشاه «قريش» من فاعلية «لا إله إلا الله» ها هي تشهده رأي العين.

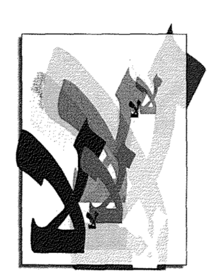
وإذًا.. فإبليس - قبلاً - قد قال «لا»، والأنبياء - عليهم السلام - من بعد قد قالوا «لاءهم»، وما انقطع رحم هذه الـ«لا» إذ راح أبو جهل يرفع بها عقيرته غير أن «لا» بلال كانت هي «الأقوى» أثرًا والأندى صوتًا.

هذان برهانان على أن «لا» يتنازعها: طهر «التقديس» و: وضر «التدنيس»، وسيظلان يتصارعان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

«لا».. قد أبلت بلاء حسنًا في صناعة تأريخنا، وذللت وعورته - صعابه - في تشكيل أبرز منعطفاته؛ فمن «لا» أبي بكر التي «صكها» في وجوه المرتدين من «مانعي» الزكاة؛ عطفًا على «لا» علي بن أبي طالب تلك التي استأصل بها «شأفة»: «الخوارج»، ينضاف لذات السياق «لا» عمر بن عبدالعزيز، وحسبها أن تكون القاصمة التي أنهكت ظهور «أمراء» بني أمية المتنفذين وقتذاك.. وتأتي الـ«لا» الشرعية المتلبسة بالسياسي والتي رفع لواءها «ابن حنبل» في مقابل طغيان «المأمون» في شأن قصر «الناس» على القول بـ«خلق القرآن»! ابتغاء إحالتها إلى عقيدة «سياسية»! وفق مرسوم «خلافي»، وتندغم في هذه «الأجندة» التأريخية «لاءات» كثيرات؛ نقرأ جراءها تأريخًا حفرته «أركيولوجي» (لا) في متن سفر تأريخنا، ذلك أن وراء كل فعل تأريخي «ضخم» تشكلت على إثره «تضاريس» جغرافية جسد «أمتنا» المثخن «جراحًا»...، لا ريب أن وراءه «لا»، سيان أكانت - هذه اللاء - صغيرة أم كانت كبيرة؛ لست أتغيا من هذه الكتابة - العجلى - محاولة نبش «لاءاتنا»، وإلا فهي - هذه اللاءات - ثاوية في أضابير سير «ابن الأشعث» و«أحمد بن نصر الخزاعي» و«ابن بطة العكبري» و«ابن رشد» و«ابن تيمية» و«الشاطبي»، وانتهاء بـ«ابن عبدالوهاب» و«سيد قطب»! يحسبان أن هذه الـ«لا» وليس سواها هي المحفز لكتابة «تأريخهم»! والاحتفال به من ثم، أما «المنطفئون» ففي الغالب الأعم أن مساقات «سيرهم» خلت من «لا»، في حين تضخمت فيها الـ«نعم»! وهكذا جنت الأخيرة على تأريخهم المنطفئ.

يأبى «المعرفيون» إلا الاشتغال على «الممنوع»! وهل أن احتفاليتهم بـ«لا» المنعوتة بـ«التمرد» إلا ممارسة حاذقة و«مقننة» تبتغي جرجرتنا في تخوم أرض «لا» المتجذرة ألغامها؛ تشتهي - المعرفة إذًا - توريطنا بحشرجة «أسئلة» متلبسة بمحظورات الـ«لا»؛ وليس ثمة مناص؛ مما يضطرنا إلى

*كاتب سعودي .



الإجـابـة عن «سـؤالاتهم» بـ«لعم».. مـا بين «لا» و«نعم» ظلت (الخنثى المشكل) معضلة يحار فيها «الفقهاء».. لتأتي - من ثم - «لعم» بفاعلية حراك «كيميائي» يجعل من سكون «الجبن» المنقع ملوحة صخب «حلاوة» تمتص شفاهنا نسغها! كما أن هذه الـ«لعم» مرة أخرى تجعل من جنائزية «الموت» المهيب طفولة «حياة» عابثة! ومن سموق التأريخ أرضية سبخة تتخذ مضمارًا ماراثونيًا يجهد به ركضًا؛ الباحثون عن جوائز ترضية! والأخسرون سعيًا ليس من نصيبهم سوى امتطاء سيارة الإسعاف و(يا سلام سلم)!.

«لعم».. إذًا هي مفردة عربية الصنع! ذلك أنها لم تفقه بعد عن سيدها؛ أي إجابة يروم، هل هو يشاء الإجابة بـ«نعم» أم بـ«لا» فتمخضت إذ ذاك المنقذة السيدة «لعم»، ولا مشاحة في أن من قرصته «لا» سيخشى من بعد؛ ظل أي أداة من أدوات «الرفض» و«النفي»!.

وإذ تؤسس المعرفة مناخات تمتص بها «حنق» إفرازات القول بـ«لا»، تتوكد جراءها الحاجة إلى جلب آليات / عصارات يدهن بها في مواطن الإفراز؛ وإن كنت أجزم بأن الإشكالية لا تكمن - البتة - في غلواء الروائح المنبعثة حينئذ؛ إنها أس الإشكال - فيما إخاله - يكمن - ولا ريب - في أنف قد استمرأ الروائح؛ الشأن الذي ستتضاعف فيه مسؤولية «المعرفيين» وذلك بالاستعاضة عن «أنوفنا» - إن هي قدرت الموقف - بـ«أنوف» أخرى!.. أعان الله «المعرفيين»، ذلك أن مقاسات (خشومنا) عزيزة المنال بحسبانها من النوع المسطح ليسهل «تقبيلها»!

«لا» هي المفردة الثالثة التي تتخلق لدى الطفل من بعد «ماما» و«بابا»، في حين تظل «نعم/إيه» ليست من «محفوظة» بيد أنه يتعرف إليها وهو آخذ طريقة صوب «دورات المياه»، ذلك أنه بات رجلاً لايفعلها على فراشة!.. تتقلص مساحة «لا» في عقله اللغوي! وبسبب من المد المدرسي تكتسح «نعم» كل المساحات التي كانت الـ«لا» قد تبوأتها من قبل!

أول «لا» متمردة اقترفت جنح اندلاق لساني بها؛ لما أن كنت أدرج في مراتع صباي في «مدرسة الخالدية في بريدة»؛ ولست أدري حينها أيهما الأسبق تفوهي بجرم قول «لا» أم «كف» (يد مزارع خشنة) كان - إبانها - أستاذًا لي؛ إذ هوى بـ«كفه / الراشدي» على خد بض ظل محمرًا ثمانية أيام حسومًا، لم تجد معه قنينة «فكس» تمرغها أمي «رحمها الله تعالى» على موضع الإصابة...! ما لي إذًا وهذه الـ«لا» وقد أشرفتني على الهلكة، والله المستعان، وبت من بعدها أنا المعني - ولا فخر - بقول «الفرزدق»: «ما قال لا قط إلا في تشهده..».

«لا» واحدة تعلمتها في «المدرسة»، وهي (لا ترم قشر الموز). كبرت وأنا حاذق لها؛ مؤتمن عليها فلم أرم «قشر موز» قط في حياتي؛ غير أني رميت ما سواه!

... وما إن بدأت أعي - نسبيًا - ما حولي؛ حتى انضافت لـ«لا» الموصوفة «تأريخًا ومنهجًا» بقشر الموز؛ لاءات «السودان» الثلاث، وصرت بعدئذ حفيًا بالـ«لا»؛ كيف لا أكون كذلك وهذه الـ«لا» جعلت من «الخرطوم» عربونًا لمستقبل «عربي» أبيض؛ في ذلك الزمن الذي تولى كانت «لا» أسهل على العرب من «نعم»، وبحسبها أن تكون قد منحتهم شيئًا من كرامة! وحكايات يقصون بها على أحفادهم شيئًا من مآثرهم!... وأحسب أن «لاءات الخرطوم الثلاث» وهبتني إذ ذاك «وعيًا» أزهدني بـ«لا» لا ترم قشر الموز، بذلت حينها غاية وسعي في أن أكفر عن ماضي امتثالي لأخلاقيات «عدم رمي قشر الموز»، فغدوت أحتفظ بـ«القشر» وأرمي الموز! ونلت جراء ذلك التلقيب بـ«الصديق الحميم للقرود»! ولئن كان أمل دنقل قد قال: لا تصالح حتى لو منحوك الذهب، فإن «لا» المتنبي نصل سكين يلتمع على حدها بقايا شرف نكسو به أجساد العرايا من العراقيين؛ حيث قال:

ولا أقيم على مال أذل به

ولا ألذ بما عرضي به دَرِن

آخر عهد لي بـ«لا» إنما جاء وفق ممارسة استكبارية بالضرورة أن ستكون ذات «صناعة أمريكية» أتت على هذا النسق:

* لا عودة إلى حدود ١٩٦٧م.
* لا تفكيك للمستوطنات في الضفة الغربية.
* لا حق للاجئين الفلسطينيين في العودة لمواطنهم في فلسطين ١٩٤٨م.
* لا للدولة الفلسطينية إذ لم يوقفوا «الإرهاب» حركات المقاومة إيقافًا نهائيًا.

هكذا.. قد قال بوش!. أما أنا فأقول: «لا إله إلا الله» وحسبي بها منقذًا. ■

خالد السيف

## قضيت حياتي أعض أصابع الندم . .

# لأني لم أقل: لا

خالد القشطيني* . لندن

**ربما لا توجد كلمة لعبت وما زالت تلعب دورًا أساسيًا في تاريخ البشر وحياة الفرد كأداة النفي «لا». يكفي أن معظم الشعوب جعلتها من حرفين فقط تسهيلاً لاستعمالها.**

وتتجسم قيمتها الأخلاقية والدينية في تصدير الوصايا العشر: «لا تقتل، لا تسرق، لا تكذب...»...إلخ. وتتجسم قيمتها السياسية فيما قاله عنها الإسكندر المقدوني بعد غزوه للشرق ووصوله إلى إيران حين قال: إن شعوب الشرق أصبحوا عبيدًا لأنهم لم يتعلموا أن يقولوا «لا». ومن هنا نجد أن هذه الكلمة تجسم التحدي، تحدي المحكوم للحاكم وتحدي المرأة للرجل وهلم جرا.

لقد قال الإسكندر الأكبر كلمته في القرن الرابع قبل الميلاد، وقد تغيرت الأمور في الشرق منذ ذلك الحين، على الأقل بالنسبة لنا نحن العرب. فقد شغفنا بـ«لا» إلى درجة أننا تفننا فيها، فجعلناها في ثلاثة أوجه: نافية وهي في سبع صيغ، والنافية للوحدة، وهي في ثلاث صيغ. وعاطفة، وهي في خمس صيغ. وهناك لا الناهية ولا المحذوفة. تفننا فيها الى درجة أن نسينا نقيضتها «نعم». و الآن في عصرنا الحديث وقعنا في العبودية على ما قال الإسكندر، ولكن ليس لأننا لا نستعمل «لا» وإنما لأننا لا نعرف أن نستعمل «نعم». فما من شيء دمرنا، على الأقل في فلسطين والعراق، أكثر من إصرارنا على قول «لا» لأي شيء يطرح علينا.

بلغ هيامنا الآن بـ«لا» أننا أصبحنا نقولها لكل محاولات الإصلاح والتطور التي باءت بالفشل من جراء حبنا لاستعمال هذه الأداة. نقول «لا» لأي خطوة إصلاحية:

فوضع اللا في موضع النعم

مضر كوضعها بموضع اللا

وقد وقعت أنا في كلا الضررين. قلت «لا» عندما عرضت علي أسرتي دراسة القانون الدولي في بريطانيا، فأصبحت فنانًا بدلاً من ذلك ورميت بنفسي بين الفنانين . وقلت «نعم» بدلاً من «لا» عندما سألني مسجل الزواج: هل تأخذ أردموت أوسترهيلد (زوجتي الأولى) زوجة لك؟ فقلت نعم. وقضيت حياتي أعض على أصابعي نادمًا وألوم نفسي لماذا لم أقل «لا».

جرت معارك سياسية خطيرة على هامش «لا» أو نعم. ومن ذلك ما جرى عام ١٩٠٢ عندما طرح هرتزل على المنظمة الصهيونية الاقتراح البريطاني لإقامة وطن يهودي في يوغندا. بعد مناقشات حادة، عرض الاقتراح للتصويت بنعم أو لا. وانقسم الحاضرون بالنصف تقريبًا و لكن الأغلبية جاءت في جانب نعم. وكان للقرار وقع شنيع على المنظمة، فانقسم أعضاؤها لسنين بين «قائلي نعم» (يا ساغن) وقائلي «لا» (ناين ساغن). ولكن قائلي «لا» انتصروا في الأخير على قائلي «نعم». وهكذا يمكن القول من هذه الزاوية، إن مأساة فلسطين انطلقت من كلمة «لا» وبقيت تعاني من «لا». وتعلم الإسرائيليون من فائدتها، فكلما تقدم مواطن فلسطيني بأي طلب أجابته السلطات الإسرائيلية تلقائيًا بلا. تريد أن تسافر؟ لا. تريد أن تبني بيتًا؟ لا. تريد أن تفتح دكانًا ؟ لا. تريد أن تقطف الزيتون؟ لا. تريد أن تأكل برتقالة؟ لا. وبالطبع جرت في تاريخنا الحديث كثير من المهازل على هامش «لا» ونعم في هذه التشويهات الديمقراطية التي يسمونها استفتاء الشعب، وينال فيها الحاكم ٩٩ بالمئة

*كاتب عراقي .

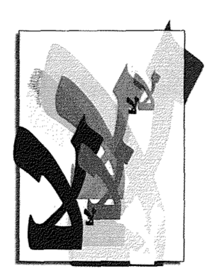
من أصوات نعم. عاد رجل من التصويت على صدام حسين في آخر انتخاب له، فسألته زوجته أين كنت وماذا فعلت؟ قال كنت أدلي بصوتي. سألته ماذا كتبت؟ قال كتبت «لا». فانفجرت بالصراخ: يا حيوان يا جاهل، كيف تفعل ذلك؟ سيأتون إليك ويأخذونك ويعذبونك ويقتلونك. ارجع واعتذر لهم، وقل إنك تشوشت وكتبت «لا». فخاف الرجل من سوء العقبى وأسرع إلى مركز الاقتراع. «يا إخوان تعذروني! أنا تشوشت وكتبت لا، وكنت أقصد «نعم».«فأجابوه»: «لا ابني لا! لا تخاف. حنا عرفنا أنك تشوشت وكتبت لا. وبعد ما رحت أحنا صلحنا لك إياها وسويناها نعم»، و هكذا فاز صدام حسين بالأنتخابات مئة بالمئة.

دار كثير من الطرائف والفكاهات بشأن «لا». ومن ذلك المسرحية الصغيرة الكلاسيكية التي شهدتها في بريطانيا. تأهب الزوج لسفرة طويلة، وبدأ يقلق على زوجته وسلوكها في غيابه، فناداها ليعظها. «اسمعي هنا يا امرأة. أي رجل يأتي إلى البيت ويطلب ويسأل قولي له «لا». كلمة واحدة لا ثانية لها. مهما يقول قولي له «لا».

وعدته الزوجة بالطاعة المطلقة. وما إن رحل، حتى أطل رجل من الشباك وسألها قائلاً: «زوجك هنا؟» قالت لا. عاد فسألها :«عندك مانع أدخل؟» قالت لا. فدخل وأخذها بين ذراعيه وقال لها : «عندك مانع أبوسك؟» قالت لا. فقبلها ومد يديه ليتحسس بدنها وهي تكرر لا...لا ...لا، بكل طاعة وإخلاص لوعدها لزوجها.

وبلغ من شغفنا «بلا» أن اكتشف فيها الملحنون والمطربون كنوزًا فنية تشنف آذان المستمعين. لا لا للا لا يا قلبي ليش. لا والله لا. وكذا اتخذها الأدباء مفتاحًا لهذرفاتهم في المجالس، فلا تسمعهم يبدؤون كلامهم إلا وقالوا، « لا والله هذه حادثة وقعت لي». ويبدأ بسرد حديثه الكاذب. لا أدري ما الحاجة «للا» ولفظ الجلالة يكفي وحده يمينًا. أعتقد أننا نفعل ذلك ونبدأ بأداة النفي لعلمنا بأن السامع لا يصدقنا، فنبطل ما في نفسه من نفي بحسب القاعدة التي تقول نفي النفي إيجاب. وهذا من أسرار شغفنا باستعمال «لا».

و من الملاحظ أن الكثير من قمم الشعر العربي تبدأ «بلا»، كما فعل المتنبي في أبياته الشهيرة:



ولا تحسبن المجد زقًا وقينة
فما المجد إلا السيف و الفتكة البكر

وأيضًا:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي

و أيضًا:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيد

وكذلك:

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

وأيضًا في ذلك البيت الشهير:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

ومنه قول المعري:

فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

ومثله من درر الشعر قول أبي زريق البغدادي:

لا تعذليه فإن العذل يوجعه
قد قلت حقًا ولكن ليس يسمعه

وأخيرًا فلا ننسى أن كل إيماننا الديني يتوقف على «لا» حين يردد ملايين المسلمين كلمة الشهادة «لا إله إلا الله». و فيما اتخذتها المملكة العربية السعودية شعارًا وعلمًا لها، فإن عرب الأندلس اختاروا شعارًا مشابهًا لها في اعتماد «لا» في كلمتهم التي نجدها على كل مساجدهم وقصورهم : «لا غالب إلا الله».

# قلت «لا» شرقية فخسرت عشاءً غربيًا

الحارث عبدالحميد حسن* - أمريكا

**منذ كنت صغيرًا وكلمة «لا» والـ «نعم» تحتلان مكانًا في عقلي وقلبي ومشاعري. سمعت الـ «لا» من أبي وأمي ومن معلمي.. ومن ثم سمعتها من المطربة المشهورة «مائدة نزهت» في ستينيات القرن العشرين! كانت «لا» في أغنيتها المشهورة: «إي» لو «لا» تهز وجدان الناس وتحرك مشاعرهم، إنها: الموت أو الحياة، الحب أو الكراهية، أن أكون أو لا أكون.**

كان أبي يحدثني عن مجريات الأحداث السياسية في العراق إبان النصف الأول من القرن العشرين..! نائب في مجلس الأعيان.. يرفع يده موافقًا على قرار يتخذه المجلس، وهو نائم!! يده فقط ترتفع بالموافقة.. «نعم»، ونائب معارض آخر ترتفع يده بعدم الموافقة.. «لا» وهو يتحدث مع زميل له عن جلسة متعة أو ليلة حمراء! هكذا كانت تصان الكرامة، وهكذا كانت تتخذ القرارات من أجل الحقوق..!! هكذا كانت تُسن القوانين، وتحدد مصائر الشعوب بيد الحكام! نعم.. أو لا..

أكتب هذه الخواطر من «فرجينيا» في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن مجمع جامعة «مينونيت الشرقية» في مدينة «هريزينبرغ» أثارت في أعماقي رسالة «المعرفة» شجون الإنسان، وشجون الباحث العلمي.. حررت عشرة أسئلة تجاب بـ «نعم» أو «لا».. ومثلها بعثت إلى عشرة زملاء في العراق.. «تذكروا.. إنه عراق المحنة.. العراق المجروح.. عراق الألم!!» تسعة من الأمريكان أجابوا بـ «نعم» بطريقة شفافة قد نقرأ فيها الـ «لا»، في حين أجاب تسعة من عشرة من العراقيين بـ «لا» على الأسئلة نفسها، وهي في مجموعها تتحدث عن الحياة والحب، والحرية والسلام، والأمل والمستقبل..!!

لماذا..؟ أين العيب!.. وأين الخلل!!.. وهل هو فينا نحن العرب! أم هو في بنائنا التربوي.. وتربيتنا وطريقة تعليمنا!! إنهم هنا في «فرجينيا» وفي محيط الجامعة التي أنخرط فيها بدراسة لمدة أربعة أسابيع عن السلام، والصراع.. لا يقولون «لا» إلا للتعليمات والضوابط الأساسية: «لا» للتدخين! «لا» للكحول.. «لا» للعنف..! أين نحن من هذا؟

لقد عشت مع الـ «لا» كثيرًا.. وعاصرت هذه الكلمة كثيرًا.. أحيتني مرة، وقتلتني مرات..! أسعدتني مرة.. وآذتني وآلمتني مرات!!

في أوائل العشرينيات من عمري وثلاثينياته، كنت أميل إلى الإكثار من اللاءات! كانت تعجبني. بل تجذبني!! مرة من باب العناد، ومرة من باب الإصرار على الحق «من وجهة نظري في حينها طبعًا».. ومرة أخرى في وجه الظلم والقهر والاستبداد! تحملت من أجل لاءاتي الكثيرة.. سجنت.. وتشردت! عشت فقيرًا ومبعدًا عن وطني من أجل كلمة واحدة فقط.. هي «لا» في حينها.. عُرضت علي الأموال.. والجاه والمتعة والرخاء، كي «استبدل» «نعمي» بلا.. فلم أرض..! لماذا لا أدري.. هل هي حماقة! أم طفولة، أم هي شجاعة وبطولة! ما زلت لا أعرف الحقيقة!

*أكاديمي عراقي.

وإن كنت قد تعرضت إلى كثير من الحزن والألم من أجل لاءاتي، فقد عانى كثير من زملائي، وممن هم أشجع مني.. وأكثر صبرًا مني، إلى فقدان الروح والجسد. وفي الطرف الآخر كنت أرى زملاء لي يقولون «نعم» بسخاء وانطلاقة ومرونة، في الوقت الذي كانوا يقولون «لا» في أعماقهم، في سرهم، لكنهم خائفون! فهل تقترن الـ «لا» بالخوف والرعب والرهبة، أم قد تمثل حالة من النصح والحكمة والتوازن في مواجهة الأحداث والمصاعب.

دُعيت مرة إلى عشاء من قبل أستاذي في الطب النفسي عندما كنت أعيش في مدينة أدنبرة في المملكة المتحدة. كان شخصية فذة ومحترمة ومحبوبة، وكنت قد وصلت لتوي إلى هناك للدراسة، ذهبت إلى العنوان مساء اليوم الموعود، وكنت قد نسيت وجبة الغداء يومها لانشغالي أولاً، ولاطمئناني أن هناك وجبة «دسمة» في انتظاري. دخلت البيت واستقبلني أستاذي وزوجته التي كانت تعمل أستاذة في طب الأطفال في المستشفى نفسه الذي نعمل به معًا. دعاني لشرب القهوة أو الشاي، فقلت «لا» شكرًا، أو«لا» خجلاً وحياء، وهكذا تعودنا ضمن ثقافتنا الاجتماعية في الطرق! ألا نقول «نعم» فورًا، بل نقول «لا» أولاً عندما يقدم لنا شيء أو ندعى لوجبة طعام!! ولم أتأثر كثيرًا، حيث كنت بانتظار وجبة الطعام الدسمة!. وبعد نصف ساعة من الكلام والمجاملات، جاءت زوجة أستاذي لتقول لي: هل تحب أن تتناول العشاء الآن؟ فقلت: «لا»، شكرًا، مع بعض الحركات في الوجه واليدين تعبيرًا عن الخجل!! وبعد دقائق حصل ما لم أكن أنتظره أبدًا، جلس أستاذي مع زوجته يتناولان طعام العشاء، ويتكلمان معي في مواضيع شتى، ويتمنيان أنني لو وافقت على تناول الوجبة معهما!! وخرجت بعد ساعة من الزمن وأنا جائع وحائر! جائع لأني لم أكل شيئًا منذ الصباح، وحائر لأنني لم أفهم هؤلاء



الناس، إذ اعتبرت تصرفهم فظاظة في السلوك، وقلة في الاحترام، ومنذ ذلك اليوم عرفت جيدًا أن معظم الأجانب الغربيين، يقصدون ما يقولون، فإذا سئلت عن رغبتك في شيء ما، فقل ما تريد فعلاً ولمرة واحدة: «نعم» أو «لا». وتعلمت هذا السلوك، إذ لا أقول الآن «لا» على دعوة طعام إلا إذا كنت فعلاً غير راغب فيها..!

إن تجربتي في الحياة، علمتني أن هناك العديد من اللاءات تقودنا إلى النجاح عندما نستخدم الحكمة وبعد النظر والتأني والنظرة المستقبلية بعيدة الأمد. كذلك هناك الكثير من اللاءات التي تقودنا إلى الفشل، وقد يكون هذا بسبب التسرع وقصر النظر وعدم التأني.

وهذا يعني ضرورة الاهتمام بهذين الحرفين.. «لا»، كلمة يمكن أن تؤدي دورًا حاسمًا في حياة الفرد، فقد تعجبني لاءاتي في مرحلة عمرية معينة، وربما لا تعجبني اللاءات نفسها في مرحلة عمرية أخرى. لذلك فإن الـ «لا» ترتبط بمستوى النضج العقلي، والعاطفي للفرد، وحبذا لو استطاع كل «منا» أن يستنتج إحصائية لنفسه بعدد اللاءات التي أدت إلى نجاح.. وعدد اللاءات التي أدت إلى فشل. تلك هي الطريقة الأفضل لتعديل سلوك «النعم» و «اللا». وأخيرًا أقول إذا كان قولي «لا» مع الحق والإيمان والفضيلة، فهو نجاح في الجوهر حتى وإن كان فشلاً في المظهر، مع المحبة لقول كلمة الحق. ■

الحارث عبدالحميد حسن

# لا «الاستشهادية» سترد مغول العصر

عبدالله عبد الرحمن الزيد*. الرياض

**ذات مساء مترع بواكف المعاناة، مكلل بالبهاء، مجلل بالتجلي، كان في حضرتي أحد المنحرفين بشكل سمج، وكان يحاول أن يبدد رصانة الوجود الرضي، بمداخلات بهلوانية، وتقاطعات مثيرة من أجل أن يضمن ردود الفعل.**

فجأة، ودون أي سياق منطقي مد لسانه في تبجح لا يخفى قائلاً:

«يا أخي: أنا يعجبني إبليس!!

قال له: اسجُد، قال: لا ما أنا بساجد».

أفتتح هذا التناول بهذا الافتئات المبين الذي لا يسر المؤمنين، من أجل أن أشير إلى أن (لا) الأولى كانت مهلكة..

والمرعب هنا أن (لا) الأولى تلك لم تهلك قائلها الأول فحسب، وإنما تكاد أن تهلك هذا الراوي الشقي الذي تمثَّل الموقف، وأفناه (إبليس) إعجابًا وطربًا، غير أنه إعجاب ماحق، وطرب معطب ساحق.

ولنا هنا أن نتساءل: هل قدر (لا) أن يُفتتح تاريخها بهذا الشكل المزري مع أنها كما تشيرون من خلال هذا المحور (حرفان من ذهب)!

وقبل أن تأخذ الإجابة عن هذا التساؤل تفريعات لا تسمن ولا تغني من لهفة، أُسرع، وأثنّي على مقولة المحور: (ليس كل من خطرت (لا) على باله يجيد التعبير بها عن الموقف، وليس لكل من أراد استخدامها المقدرة على التصدي لفحواها ومعناها ومترتباتها)؛ لأنها تريد الكفء، والكفء الذي هو أهل لها نادر جدًا..

* * *

بعد (لا) الأولى، توالى تاريخ متنوع يختلف باختلاف المواقف، والمقاصد، والأهداف، كانت (لا) فيه تبعًا لذلك تأخذ أحوالاً متعددة غير متجانسة.

وإذا كان السجل الحجري المتردي لهذين الحرفين يثير فينا ألوانًا من الرعب الكوني مثل ما حصل للأمم الغابرة التي قالت (لا) للأنبياء والرسل والهدى والحق، فإن السجل الذهبي المبهج لهذه الكلمة في المقابل يبعث على الاغتباط والامتنان، ويشعل مواقف الصدق والانتماء. وخلاصة هذا السجل المثري موقفان لا أقوى ولا أجمل منهما:

الأول: سجّله سيدنا الحبيب الجميل (يوسف بن يعقوب) عليه السلام عندما قال (لا) لامرأة العزيز في مشهد تخرُّ له أعتى إرادة عرفها الإنسان!!

والآخر: سجّله حبيبنا الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين (محمد بن عبدالله) ﷺ عندما عرض عليه عمه (أبو طالب) رغبة قريش في أن يتوجوه ملكًا على أن يتخلى عن دعوته ورسالته العظيمة فقال (لا) بشكل تاريخي كوني لم يسبق له مثيل، ثم سجل قولته الثرية المثرية القوية المزلزلة الساحرة الآسرة:

«يا عم: والذي نفسي بيده لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته» أو كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام.

وعندما نخرج من سياق الأنبياء والمرسلين إلى سياق البشر الآخرين، فلا يمكن بحال من الأحوال ألا نتذكر سيد المجاهدين والصابرين الإمام العظيم الحبر: (أحمد بن حنبل الشيباني) الذي قال (لا) في وجه

---

*إعلامي وشاعر سعودي .

الفتنة الهوجاء، فتنة القول بخلق القرآن. لقد كان هذا الإمام القوي أكبر من الموقف ومن مسؤولية (لا)، وتحمل في سبيل ذلك ما يصعب أن يتحمله بشر!!

* * *

وأجمل (اللاءات) هي تلك التي تحق الحق وتبطل الباطل، وأقواها وأجلها تلك التي تكسر طاعة المخلوق عندما تكون معصية للخالق، أما (لا) التي تنضح بالنبل والأريحية والسمو فهي تلك التي تقف في وجه التخلف وأمام طوفان التردي، وتنحاز إلى الإصلاح والتطوير والرقي.

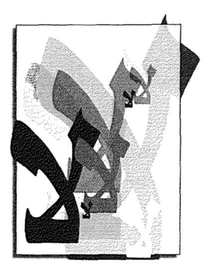
وفي المقابل تسقط (اللاءات) التي ترفض التنوير، والتطوير، وتقيم على التراجع والفقدان والخيبة، نعم هناك (لاءات) متزمتة لا تؤمن بالتحولات، ولا تحتفل بالجديد، ولا تبتهج بالتغيير، وهي بذلك لا تأخذ معنى (لا) الموقف والإضافة والانتماء، وإنما تأخذ شكل الصدأ ولونه ورائحته. وقد عانى تاريخ الإنسان من لاءات الانغلاق والتقوقع، وأهدرت بسبب ذلك زمر كثيرة من قيم الزمان والمكان، وقيمة الإنسان.

وكما ذكرت سابقًا تأتي في مقدمة (اللاءات) المزرية تلك التي اعترضت مهمات الأنبياء وأدوار الرسل، وسبيل المصلحين، والحكماء، والعارفين..

وفي عصرنا هذا نحتفل كثيرًا، ونحتفي باللاءات التي تقف في وجه الطغيان وبغي الأعداء كما يحصل في (فلسطين) الصامدة، وفي (العراق) الصابرة المجاهدة أمام طوفان الاعتداء والاحتلال، وكلنا، وجميعنا، ينبغي أن يتحول إلى (لاءات) شجاعة قوية مجاهدة صادقة صابرة مصابرة أمام جحافل الاعتداء والسلب واغتصاب الأوطان؛ فالدلائل دون استثناء تشير إلى أن (لا) هي اللغة الحقيقية الوحيدة أمام (همج) العصر ومغوله وتتاره الذين لا تردهم على أعقابهم سوى (لا) الاستشهادية..

أما بعد..

فعندما لمحت عبارة («لا» حرفان من ذهب) في بدء هذا المحور، تداعت إلى خاطري جملة من (اللاءات) الخاصة الشخصية التي عشت سياقها وموقفها، غير أني عندما استحضرت بعضًا من (اللاءات) الكبيرة العظمى عبر التاريخ تضاءلتُ (أنا ولاءاتي)، وتملكني حياء مرعب من أن أرتكب حماقة ذكرها في سياق تلك



(اللاءات) الاستثنائية.

وإذا كان تلك (اللاءات) المبهرة الآسرة الملجمة ماسية أو ذهبية - كما عبّر المحور - فإن (لاءاتي) لو ذكرتها لن تعدو أن تكون خشبية أو نحاسية.

لذلك لا أستطيع إلا أن أعتمد القول المأثور:

«رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه».

أسجل هذا الاعتراف وأنا بعد لم أناقش وأفاصل وأتبين حقيقتي وتكويني: هل أنا حقًا في مستوى قول (لا)، أو أنني ما زلت أحلم بامتلاك الموقف الحقيقي الذي يمكنني من قول لا؟

تلك هي المسألة.. والله المستعان..

غير أن الشيء الذي لا أفاصل حوله أني قلتُ ذات تجربة:..!

«... رديء
صفيق
هدوء المعاني
بي الآن ما يحتمى بانحنائي
أرتب فيّ اشتهاء القعود
وألمح نارًا طواها الرماد..
فأشعل ما قد تبقى لصمتي..
وبعد انطفاء الرجاء
يبددني حدس هذي الخلايا..
فأحفظ غلّي..
بترتيلة «وارده»..

إذًا.. (لا) لذكر (اللاءات) الشخصية، و(نعم) لتأمل (اللاءات) التاريخية. ■

عبدالله الزيد



# لا لمن يريد الكيد للعمل الخيري

صالح الوهيبي* - الرياض

**تسألني «المعرفة» عن حالي مع «لا» فأقول: حالي معها في حال الأمة على مرّ التاريخ. أضعف أنا كما ضعفت الأمة، لكني أتمسك بأهداب «لا» متى وجدتُ فيها منجاة.**

لقد عجزت الأمة عن رد العدوان عن بلدان إسلامية كثيرة، لكنها أبت أن تستسلم. وها أنا ذا أتشبث بـ«لا» متى حاول أحد أن يثنيني عن مبدأ أعتقده، وأستمسك بها متى نازعتني النفس إلى تنازلات.

إن «نَعم» شقيقة لها لا يمكن الفصل بينهما، فهي نِعْم الوسيلة إن كانت في مواجهة الحق وقبوله.

وعلى أية حال فإنني أختصر انطباعاتي عن «لا» في سطور فهاكموها:

* * *

«لا» حرفان من ذهب أحيانًا.. وحرفان من نار أحيانًا أخرى.

«لا» أول حرف في الشهادة.. «لا إله إلا الله».

وهي رمز الإباء يوم يقول الإنسان للظلم «لا».

وهي رمز الكرم لدى «الشاعر».. (ما قال «لا» قط إلا في تشهده).

وهي أداة للنفي المستوعب للجنس.. (ذلك الكتاب لا ريب فيه).

* * *

قالها النبي ﷺ يوم دعاه المشركون لمشاركتهم في وثنيتهم، فكانت له العاقبة الحسنة.

وقالها أبو بكر يوم اسودت الدنيا في وجوه القوم من جراء الردة، فكان له النصر المبين.

وقالها العظماء والمصلحون في وجه الطغيان والتقاليد البالية، وقالها المستضعفون فكانت خير سلاح.

* * *

واليوم نقول «لا» للصهاينة في فلسطين وحيثما كانوا.

ويقول العراقيون «لا» لقوى البغي والاحتلال.

ونقول «لا» لمن أراد ببلادنا وأمتنا سوءًا من الأعداء والغلاة.

وتقول الأمة «لا» لكل معتد يمس كرامتها.

وتقول «لا» لكل منحرف يريد أن يجرها معه.

وتقول الجماهير المؤمنة «لا» لكل من يريد التنازل عن بلد أو مبدأ.

* * *

ونقول «لا» لكل من يريد الكيد للعمل الخيري في بلادنا.

و«لا» لكل مشكّك في مؤسساتنا.

و«لا» لناعق مردد لمقولات الخصوم فينا.

* * *

ونرفع «لا» في وجه كل مهزوم يبغي منا التنازل عن ديننا وقيمنا.

و«لا» لكل يائس يرى مستقبل الأمة قاتمًا.

و«لا» لكل من يستهدف أمته بسوء ظانًا أنه يحسن صنعًا.

* * *

قلت «لا» للكسل فوجدتني منطلقًا نشيطًا.

وقلت «لا» للطمع فتحررت من الذل.

وقلت «لا» للشهوات والانحراف فدللت على الهدى والرشاد.

وقلت «لا» لسوء المعاملة فكان لي نصيب من الأدب.

وقلت «لا» للتعصب فانطلقت أجوب آفاق العلم والمعرفة.

* * *

«لا» مهلكة للمرء حين يرفض الحق المبين.

و«لا» عنوان الخذلان لأناس يأبون شرع الله القويم.

و«لا» علامة سوء العاقبة لأناس وقوى تأبى الحق والعدل.

* * *

ضع «لا» في مكانها تصب.

والتزم بأداء حقوقها تجد الراحة.

واترك مساحة للخطأ فأنت غير معصوم.

* * *

لو لم تكن «لا» موجودة لاخترعناها.

ولو منعنا منها علنًا لأكنناها.

ولو فتنا من أجلها لصبرنا عليها.

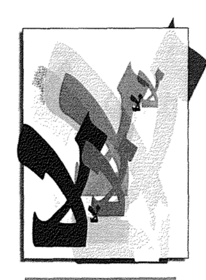
فنعم الأداة، ونعم الحرف هي. ■

---

* الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

صالح الوهيبي

# نعم.. ولكن لا أنصحك بذلك



صالح الطريقي* - الرياض

**أول مرة نشأت علاقة بيني وبين «لا»، كنت طفلاً، وكنت أنطقها بطريقة خاصة جدًا لا يعرف هذه الطريقة سوى الأطفال، هكذا قلتها (ما أبغى) حين فرض عليّ ألوان معينة ارتديها، وكنت أفضل اللون الأزرق لأنه يذكرني بالبحر الذي أعشق شاطئه وطيور النورس به وخصوصًا حين يفرد جناحيه ويسبح في السماء، لكن (ما أبغى) أو كما يحب أن يقولها الكبار (لا) تم قمعها وفرض عليّ ما تريده السلطة الأبوية.**

هذه أول مرة أعي بها علاقتي الخاصة مع (لا).. هل كانت العلاقة قبل هذا؟

لست أدري.. فالذاكرة لا تستطيع أن تعود بي إلا حين كنت في الخامسة تقريبًا.

فيما بعد تعلمت كطفل وبشكل فطري (الابتزاز العاطفي)، فمارسته على السلطة الأبوية، وكنت أنجح حينًا، وأفشل كثيرًا لأمرر رفضي، وكانت أسباب الفشل مرتبطة بمزاجية السلطة، فحين يكون والدي أو والدتي بمزاج جيد تأتي النتائج لـ(ابتزازي العاطفي) إيجابية.

اتسع العالم بالنسبة للطفل الذي كنته، وأضيف كوكبًا جديدًا في وعيي، وأصبحت المدرسة جزءًا من عالمي الصغير، هناك ومع أول اختبار للحرفين المحرمين (لا) اكتشفت أن القمع أمض وأقصى، فالابتزاز العاطفي لا قيمة له، بل يؤدي إلى ضربي أحيانًا.

في ذاك الوقت لم أستطع تفسير الأمور، ولم أنتبه أنني أذكر ذاك المعلم بما كان يحدث له حين كان طفلاً يحاول اختبار (لائه) وابتزازه العاطفي للآخرين، لكن المعلم الطاغية كان يقمعه، فانتقم مني.

اتسع العالم بالنسبة لي فلم أعد ذاك الطفل الذي كنته، وأصبح أكبر وأصبحت أشعر بالمجتمع الذي هو أيضًا مارس قمعه للائي.. حتى على مستوى العمل، كانت السلطة الأبوية تطاردني، وكان مديري يمنع اعتراضي أو رفضي لأسباب بدت ليّ غير منطقية، فتعلمت الاستغلال، أعني استغلال الفرصة المواتية لتحقيق ما أريده أو لتحقيق رغبتي القديمة بأن أكون مستقلاً، لم أنجح كثيرًا لأن مزاج المديرين سيئ دائمًا.

وهكذا كانت علاقتي بـ(لائي).. لم أستعملها كثيرًا، لهذا أصبحت أو استطاع البيت والمجتمع صناعة طاغية ينتظر دوره ليقمع أي (لا) يستطيع قمعها.

الآن وبعد أن اكتشفت كل ما حدث لي، أحاول أن أصلح ما أستطيع إصلاحه، فأغمض عيني كثيرًا، لأكتشف داخلي فأصلح ما أفسده المجتمع، عل العالم يفقد شريرًا واحدًا إلى الأبد.

أيضًا بدأتُ أتعلم وأتعود على ألا أقمع (لا) طفلي إبراهيم، علني أساعده بألا يكون طاغية، لا أنكر أن الأمر صعب بالنسبة ليّ، لأنني أشعر مع كل مرة يستعمل إبراهيم (لاءه)، بأن هذه الـ(لا) تهدد وتزلزل سلطتي في البيت.

هذه هي علاقتي بـ(لا) والتي بدت غير شرعية، وأشبه بالخطيئة نمارسها بالخفاء، لأننا إن أعلنا عنها سنعيد قصة ذاك الرجل الذي استعمل كلمة (لا) مرة واحدة فشعر بخلل في تكوينه، وذهب للطبيب ليكشف عليه، بعد الكشف سأل الطبيب: هل تعتقد أني سأعيش.

فقال له الطبيب: نعم.. ولكن لا أنصحك بذلك. ■

---

*صحفي سعودي.

# قلت «لا» فكرّمني الوزير وخصموا من مرتبي!

عبدالحفيظ محمد أمين* - جدة

**في اجتماع في مجلس الآباء في المدارس التي كنت أعمل بها.. بدأت حديثي بحماس مفرط بعد الاستئذان من رئيس المجلس: (أرفع لكم طلب أبنائكم الطلاب المتفوقين للموافقة على سفرهم إلى الولايات المتحدة لزيارة وكالة ناسا في هيوستن وكاب كانيفرال لمشاهدة ودراسة مكوك الفضاء....) ولم أستطع إكمال الحديث للمقاطعة من قبل رئيس المجلس، والقهقهة والضحك والسخرية من قبل بعض الأعضاء.**

ولم يقف معي في ذلك الموقف إلا الأستاذ حامد عباس وهو يرفع صوته لإسكات الحاضرين...«دعوه يتحدث»...وأكملت ... (أتمنى من المجلس الموقر السماح لي ببدء الاتصالات مع الجهات ذات العلاقة للبدء في المشروع)...رئيس المجلس وكيل عام المدارس آنذاك يوافق على بدء الاتصالات ولمدة أسبوع واحد فقط.

خرجت مفعمًا بالحيوية والنشاط واستطعت التحرّك من خلال بعض أولياء أمور الطلاب، وكان واحدًا من الخطابات التي كتبتها موجّهًا لسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز، أطلب من سموه (منح طلابي المتفوقين تذاكر مجانية لتخفيف الأعباء المالية عنهم).

حضرت الاجتماع الأسبوع التالي وقد كتبت للمجلس ما أنجزته، وإذا بالوجوم يخيم على وجوه، والسكوت على وجوه أخرى وعلامات الخوف على البعض وكأني قد اقترفت جريمة...، أخرجني رئيس المجلس من الاجتماع، وفي اليوم التالي يصلني خطاب معنون باللون الأحمر «عاجل جدًا» يفيد بضرورة حضور المذكور إلى الإدارة العامة للمدارس، حيث دخل علي المدير (رحمه الله) وأنا في الفصل، قاطعًا الدرس، وطالبًا مني التوجه مباشرة إلى الإدارة العامة بعد أخذ توقيعي بالعلم وتحديد وقت استلام الخطاب.

ذهبت إلى الإدارة العامة ورجلاي لا تكادان تحملاني من شدة الخوف، وإذا بالمحقق يطلب مني الإجابة عن الأسئلة، وكتبت بيد مرتعشة، وكان القرار الظالم اليوم التالي خصمًا من مرتبي يومًا واحدًا.

وقفت متأملاً الموقف أحدث نفسي... مالك وللطلاب أعط درسك وخذ مرتبك آخر الشهر..هل أفادك الطلاب بشيء؟ لماذا تسبح ضد التيار وحدك؟

أجبت هواجسي بكلمة لا...لا... لن أترك هذا الهدف، وسأحقق للطلاب ما طلبوه. والحمد لله ذهبت بهم إلى وكالة ناسا في هيوستن وكاب كانيفرال وميريلاند ولوس أنجلوس أربع مرات خلال الأعوام ١٩٩٠-١٩٩٣-١٩٩٧-٢٠٠١م.

الموقف الثاني(١٤١٥هـ )

الباص خارج المدرسة وبه ثلاثون طالبًا متفوقًا من سبع مدارس ثانوية بجدة للذهاب إلى برنامج مهد الذهب السنوي، دخلت مستودع المدرسة على عجل ومعي بعض الطلاب لشحن التلسكوب إلى الباص، فإذا مدير المدرسة يطلب مني البقاء للتدريس، لقد صدمت بهذا الطلب، إذ أبلغته قبل أسبوع كامل بغيابي هذين اليومين بعد تكليفي من قبل إدارة النادي العلمي بجدة للإشراف على البرنامج فوافق المدير على ذلك...ما

* معلم سعودي.

الذي غير رأيه؟

في نهاية الشهر عند توقيعي على مسيّرات الرواتب فإذا بخطاب مرفق «خصم من مرتبي يومين»، كانت ضربة مؤلمة بالنسبة لي،وموجعة في الصميم، أحترق تحت لهيب الشمس في الصحاري القاحلة لأعلّم الطلاب مادة الجيولوجيا على أسس تطبيقية، أبتعد عن زوجتي وأطفالي أربعة أيام فيكون هذا جزائي؟ وسط نظرات المتشمتين رفعت خطاب الخصم وقلت لهم مبتسمًا عبارة واحدة «هذا وسام أعتز به».

اترك هذا العناء..ماذا أفادك الطلاب الذين أخذتهم إلى مهد الذهب؟ هل تسبح ضد التيار وحدك ؟ أجبت هواجسي بكلمة...لا.....لا.. لن أترك هذا الهدف.

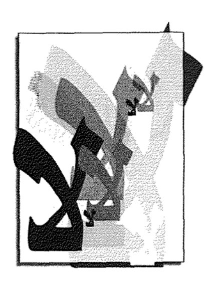
الموقف الثالث(١٤١٨هـ )

تم ترشيحي ضمن المعلمين المميزين من جدة للقاء معالي وزير التربية والتعليم في الرياض، وإذا «أبو أحمد» ينادي بتطبيق وصاياه العشر لنا، وأعجبت بشخصيته القيادية أكثر عندما طالبنا بالعمل من أجل شرف المهنة، وكنت أول من طرح الأسئلة من زملائي المعلمين من مناطق المملكة على معاليه: متى ستعتمد الوزارة على شبكة الإنترنت في التربية والتعليم؟

رجعت إلى جدة وأنا منشرح الصدر، إذ شعرت بأن الإدارة العليا في الوزارة تهتم بنا، وكتبت بحماس مقالتين في جريدة عكاظ ومجلة المعرفة بعنوان«شكرًا أبا أحمد»، ليس هذا فحسب، بل قمت بطباعة وصاياه العشر وتصويرها لـ ٢٥٠ معلمًا من مدينة جدة في حفل أقيم بهذه المناسبة بحضور زملائي المرشحين.

تسلمت في اليوم التالي خطابي شكر وتقدير من معالي الوزير، وصلت إلى إدارة المدرسة مباشرة، وحدثت طلابي في الفصول عن معاليه وعن اهتمام الدكتور خالد العواد بنا، وإذا بالموجه التربوي يطلبني في تحقيق حول مادة التربية الوطنية... لماذا لم تختبر الطلاب تحريريًا؟

لقد أجبته بأن المادة في تجربتها السنوية الأولى وأنا أرى أنها مادة سلوكية وليست نصوصًا للحفظ فقد استطعت، ولله الحمد، تغيير الكثير من المفاهيم الخاطئة عند الطلاب عن حزام الأمان في السيارة والترشيد في استهلاك الماء، وسأرفع تجربتي في هذه المادة إلى الوزارة، لم يقتنع الموجه التربوي، وإذا بخطاب من



إدارة الإشراف التربوي بشمال جدة للحضور فورًا، لقد صبّ المسؤول جامّ غضبه عليّ بأسلوب دكتاتوري لاينمّ عن خلفية قيادية تعليمية ولم أُقدّر احترامًا لمكانتي كمعلم، تم تكريمه من قبل الوزير، ولم يشفع لديه ما قدمته لزملائي المعلمين يوم أمس في الحفل فأحالني إلى التحقيق... إنه موقف لا أنساه عندما أرفقت شهادتي الشكر والتقدير من الوزير في ملف التحقيق لأحتمي بهما.

خرجت من إدارة الإشراف التربوي وأنا أجرّ أذيال الهزيمة النفسية، رفعت رأسي إلى السماء طالبًا من الله الأجر والمثوبة، فكتبت في مجلة المعرفة في باب (رسالة ليست للنشر) مقالة بعنوان: «البيروقراطية في التربية يا معالي الوزير» وقفت أتأمل الموقف مليًا أُحدث نفسي..مالك وللطلاب..هل أفادوك بشيء؟ هل تسبح ضد التيار وحدك؟

أجبت هواجسي لا...لا ..لن أترك هذا الهدف.

إذا فتحتم ملفي في المدارس التي كنت أعمل بها فستعرفونها مباشرة فهي أكبر الملفات..أوراق تحقيق..خطابات لفت نظر...أوراق مساءلات.. وكذلك خطابات شكر وتقدير..مزيج من المتناقضات العجيبة.

إنها ضريبة كل داعية تغيير ينادي بتطبيق الإدارة الإلكتوقراطية محل الإدارة البيروقراطية في التربية والتعليم. ■

عبدالحفيظ محمد امين

# قلت «لا» فأنقذت حياتي

ابراهيم الشمراني * . بيشة

**لسلاسة وموسيقا النطق في هذه الـ ( لا ) إغراء لا تعكسه اللحظة المرتبكة بعدها فيصبح هذان الحرفان قنبلة موقوتة في وجه (نعم) التي كانت تنتظر البوح بها، وينتظر آخر أن تكون بابًا مفتوحًا لتحقيق ما يصبو إليه أو حتى ما تتمناه أنت، لكنك لا تستطيع لأن (لا) ستجعلك أكثر سعادة وإنسانية، وإن كنت بالتأكيد ستريح ـ لو قلت نعم ـ أشياء أخرى يكون في أولها ابتسامة عريضة لنفس أمارة بالسوء!**

الحقيقة أني أستطيع أن أحسب كم مرة قلت (لا) هذه، حتى وإن نسيت بعضها، لكني بالتأكيد لن أتمكن من إحصاء تلك الانحناءات التي رسمتها (نعم) وكأن قول (لا) في محلها سيجعلني أكثر قربًا من النبل والإنسانية وقبل ذلك أكثر بياضًا مع الله.

عندما وصلني مد السؤال هذا عن تلك الـ (لا) الممتدة من التفاتة اللام إلى آخر لين ومد في الألف تذكرت مباشرة مرتين قلتهما فيها، وكانت حدًا فاصلاً في حياتي، إذ إني لو قلت (نعم) حينها لخسرت شيئًا كثيرًا، بل لأقل إني كنت سأخسر ـ ربما ـ دنياي وأخرتي!

إن أصعب (لا) يقولها الإنسان هي تلك التي يصرخ بها في وجه الشيطان في اللحظة التي بدأ الشيطان يحس بقشعريرة فرح تسري في أوصاله، وهو يراك تراوح بين خوفك من الله وبين شهوة (نعم) وما بعدها، لكني جعلته في هاتين المرتين يعود خاسئًا وهو حسير، وإن لم ينسها لي أبدًا، وظل يتربص بي كما يفعل دائمًا ليوقعني في (نعمات) كثيرة، وهي وإن كانت لا ترضيه، لكنها تبرر له إصراره على الانتقام مني في وقفتين عظيمتين وقفتهما أمامه شجاعًا ما زلت أحس بسعادتهما في نفسي وروحي وحياتي كلها!

أما المرة الأولى فهي في آخر سنوات دراستي الجامعية، وقد توسعت في القراءة في علوم كثيرة ثم قرأت في كتب علم المنطق والفلسفة، وشيئًا من كتب الوجوديين ورواياتهم، وانتفضت في عقلي كل الأسئلة التي لم أكن على بينة من إجاباتها، وكان الشيطان حريصًا على تقديم وجبات الأسئلة في كرم وإصرار، ثم يحجب عني أي شعاع ربما ينير لي طريقًا للإجابة!

كانت أمورًا في العقيدة والإيمان بالغيبيات، وبدأت كمن اهتز في روحه إيمانه العميق، و أحسست بتفاهة أن تكون بلا إيمان، وصرت أعاني فراغًا عظيمًا واحتقارًا للحياة!

لكني سرعان ما أحسست بالخطر وأيقنت أنه لن ينجيني من هذه المحنة إلا الله و لم يخذل صلواتي سبحانه، وقد كنت أقوم في آخر الليل أوتر، وفي منتصف تلك الصلوات يأتي إبليس فيصرعني تارة

* معلم سعودي .

وأصـــرعـــه تارة، حـــتى مكنني الله منه واستعدت عافية الروح ولذة الإيمان، وكأني ولدت من جديد، وأشفقت حينها على أولئك الذين ينتصـر عليـهم إبليس، ثم لا يفرون منه إلى رب غـفـور رحـيم، عليم خـبـيـر، سبحانه.

المرة الثانية أو الـ (لا) الثانية كانت في أول سنة من بداية حـياتي الوظيـفيـة معلمًا في إحدى المناطق النائية، وكنت للتو غـادرت ألق المدينة العـاصـمـة وطقـوسـهـا وروعتها وروعة الأصدقاء والحياة فيها!

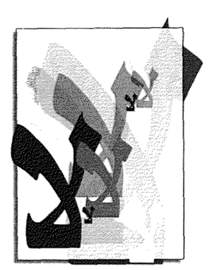
ثم بدأت حـيـاة جـافـة تمامًـا إلا من الأكسـجين، وبعض الزمـلاء، ومـدرسـة لا تعترف إلا بدفتر التحضير وساعة بدء الدوام ووقت نهايته!

بحثت عن الشعر والقراءة والصحف ومـجـتـمـع المثـقـفين الذي كنت وسطه في الرياض، لكني لم أجــد إلا صـــحـــراء شاسعة، وقدرًا صعبًا، وزملاء لا يهتمون ولا يستطيعون أن يفهموا ماذا يعني لشاب مثلي يحمل روح شاعر أن يجد نفسه فجأة نائيًا جدًا!!

أعتقد أن بعضـهم أحس بمدى الربكة التي كنت فيـهـا والألم الذي أعـانيه، وذلك العبوس الذي أحمله طوال أيام الأسبوع!

نشـأت بيني وبين بقية من يشـاركونني سكن ذلك البيت الشعبي المتواضع زمالة قوية، ورغم تفرقنا في الصباح على أعمالنا فإننا كنا نجتمع بعدها كالإخوان والأحبة، ونحـاول أن يكون المسـاء شـيـئًـا مـخـتـلفًـا ننسى به جــفــاف العـــيش ونأي المكان والأهل!

ألـم يقل المثل إن هـنـاك من الحـب مــــا قتل!




حـسنًا لـم يقـتـلني هذا الحب رغـم أنه كـاد يقـتـلني لو أنـي قلت (نعم) لكن الله هداني، وتلك التربية الأسـرية الإسـلامـيـة العميقة والمجتمع الذي عشت فيه جعلوا تلك الـ(لا) التي قلتها لذلك الزميل أكثر قوة وأكبر تعديلاً لمجرى التاريخ!

قال لي وقد أخذني على جنب: أعرف مـعـاناتك وأحس بك وأتمنى أن أسـتطيع مـسـاعـدتك لكـني أريدك أن تحـتـفظ بما سأقوله لك سرًا وسيجعلك اقتراحي من أسعد الناس وستمر عليك السنة سريعًا!

الحقيقة أني فكرت في أشياء كثيرة لكن لم يكن من ضمنها مشروعه المقترح !

رجوته أن يخبرني فقال آخر الأسبوع، ولما أصررت عليه أخذني إلى طرف البيت وأخرج من مخبأ هناك كيسًا أخرج منه بعض الحـبـوب البـيَـضـاء وقـال هذه ستريحك!

لا أذكـر مـاذا قلت له لأني ارتعـبت حينها، ثم حاولت ألا أصدمه، غير أني لم أسـتطع فـانطلق الكلام مني كـالرصـاص وشعرت حـينها بالشيطان يفر من المكان خجلاً لا يتوقع مني مثل هذه الـ (لا) القوية جدًا، لكنها بالتأكيد كانت من أسعد وأقوى اللاءات في حياتي، وما زال في مد الألف فـيـهـا عندمـا أتذكرهـا شـيـئًـا من المتعـة وإحساسي الكبير بشكر الله كلما عرفت أنه هداني سواء السبيل! ■

# لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين!

محمود حسن أبومية ـ الرياض

**ذات يوم طَلَبَتْ مني زوجتي أن أكتب لها كلمة تلقيها على زميلاتها في حلقة تحفيظ القرآن الكريم، وهي أول مرة تطلب مني مثل هذا الطلب، فلم أستطع أن أقول «لا» صريحة، وتعللت بكثرة الشغل، وعلى الفور قَطَعَتْ عَلَيَّ الطريق، ولم تدعني أضيف أعذارًا غير مقنعة، (وجابت من الآخر) فقالت: يعني لو كانت زوجة مدير التعليم - صديقي - هي التي طلبت هذا الطلب ستقول لزوجها أنا مشغول!**

أخ... عَرَفَتْ بنت الحلال نقطة ضعفي وقلة حيلتي، وكسرت عيني، ولكن تظاهرت بأنني لا يهمني مدير تعليم ولا غيره. دخلتُ حجرتي، وأغلقت باب مكتبي، وجريت نحو (الوورد) أكتب من سكات كلمة زوجتي، خرجت بعد ساعة، لأقول تفضلي، هذا هو المقال، تناولته قائلة: هات بالتي هي أحسن. أعترف أنني خضعت للإرهاب الحريمي، واهتزت شخصيتي، ولكني تعزيت بقول حكيم بدوي معاصر: (ترا اللي ما يخاف من حرمته ما هو برجَّال)! هذه حكاية «لا» في عقر منزلي.

**«لا»: حرفان صغيران**

أما حكاية «لا» النجم الضيف في هذا العدد خلال اللغة، فحكاية طويلة أشهرها قول الليث كما يروي ابن منظور في لسان العرب: «لا حرف يُنْفَى به ويُجْحَد به. . . »، والنفي والجحود كثيرًا ما يجعل الناس تنقبض من سماع كلمة «لا»، مع أن النفي والجحود لم يمنعا أن تجيء «لا» في سياق أشرف كلمة، بل إن هذا هو الذي جعل من الجملة التي وردت بها أشرف جملة، وهل يعرف أحد سياقًا أفضل من سياق: «لا إله إلا الله»؟ ! يقول النبي ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» [١].

**«لا»: الجهاد في القمة**

وإذا كانت «لا» كلمة صغيرة مكتوبة من حرفين ومنطوقة من صوتين، فإنها على صغرها صفعة هائلة على قفا الجبابرة، إن الأمة التي تعرف قدر «لا» أمة شجاعة حين تقولها في حق تجاهر به، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بحق إذا علمه، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» [٢].

وإن أمة عرفت يومًا كيف تقول «لا» لخليق بها أن تعود إلى طريق المعرفة، فتُحْسِن قولها من جديد، كما أحسن قولها سعيد بن جبير للحجاج، والعز بن عبدالسلام للمماليك، وسيف الدين قطز لهولاكو، بل قالها قبلهم في بطولة خارقة عبد الله بن حذافة السهمي لملك الروم!

**أعظم من قيلت له: «لا»**

ومن الغريب أن نجد من المسلمين من يقول «لا» لرسول الله ﷺ نفسه! قالتها النساء: عائشة حين قالت لها أمها: «قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابتها: «والله لا أقوم إليه! ولا أَحْمَدُ إلا الله» [٣] وقالتها أم هانئ حين اعتذرت عن خِطْبة النبي لها! وقالت: «يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال» [٤]، بل وقالتها بَرِيْرَة حينما أُعْتِقَتْ، وشفع النبي صلى الله عليه وسلم عندها حتى تعود إلى زوجها فاعتذرت! وقالت: «لا حاجة لي به» [٥].

وقالها صبي يرسله صلى الله عليه وسلم لحاجة فيقول: «والله لا أذهب»! [٦]

ولم يضق صدره صلوات الله وسلامه عليه بهذه الكلمة على جفائها وخشونتها، لقد كان النبي ﷺ بقبوله «لا» يسقط إلى الأبد الطاعة العمياء لرؤوس الطغاة وتسلط البغاة وظلم الجبابرة.

---

*معلم مصري .

**والوفاء يبدأ بـ «لا»**

أعترف أنني أحب «لا» عندما تقال في مواقف الرجولة والوفاء، من هنا فقد تملكني مشهد يزيد بن مسلم الثقفي كاتب الحجاج حين استحضره أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، وقد رآه دميمًا كبير البطن، فازدراه بنظراته وسخر منه ومن سيده الذي كان قد مات، وذلك حين بدره بقوله: «قبح الله رجلاً أشركك في أمانته. . . أترى صاحبك الحجاج يهوي في النار، أم تراه استقر في قعرها؟».

وكان لابد للوفاء أن يستنطق اللسان، فقال مسلم: «لا» وملأ بها فمه، لا يحسب حسابًا للعواقب: «يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك، فإن الحجاج وطّأ لكم المنابر، وأذلّ لكم الجبابرة، وعن يمين الوليد ويسار عبد الملك يجيء الحجاج، فاجعله حيث أحببت»[٧].

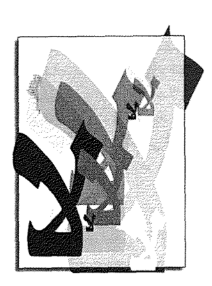
لقد غيب الموت الحجاج، ولكن الوفاء لم يغب، ولم تمنع شهرة الحجاج بالظلم أحد المخلصين من أعوانه أن يلتمس له فضلاً لا يستطيع أن ينكره عليه بنو مروان، فلم يتمكن سليمان من أن يسترسل في السخرية، بل أُخِذ بهذا الوفاء النادر، والتفت إلى من حوله وقال في إعجاب: «قاتله الله، ما أوفاه لصاحبه! إذا اصطنعت الرجال فليصطنع مثل هذا»، وكاد يعيد للرجل مكانته فيضمه إلى رجاله لولا كلمة عمر بن عبد العزيز: «يا أمير المؤمنين لا تُحْيِ ذكر الحجاج»[٨].

**«لا»: تقيل عثرات الكرام**

يعجبني عمرو بن سُعْدى القرظي الذي قال «لا» بملء فيه، وتحدى بني جلدته من يهود بني قريظة، وأبى أن يشاركهم غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لا أغدر بمحمد أبدًا. وقد عَرَف محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه هذا الفضل لعمرو بن سعدى حين حكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله، فقال وهو يستقبل عَمْرًا: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم بات في المسجد النبوي فوق رأسه حارسًا له حتى الصباح[٩].

**«لا»: في وجه إسرائيل**

وننتقل من تاريخ الماضي إلى تاريخ الحاضر، ففي أواخر القرن السابق جاء وفد من إسرائيل يزور مبنى الإذاعة والتلفزيون، كان من المفروض أن يكون إيهاب الأزهري مدير إذاعة الشباب الأسبق ومؤسسها ضمن المستقبلين، لم يتوقع أحد أن يقول الأزهري بملء فيه: لا أضع يدي في يد اليهود، فالرجل لم يُعْرف عنه تعصب ما،



ولكنه كان مصريًا عربيًا فقط.

ذهبت مرة لزيارته في منزله، كان مسلسل رأفت الهجان وقتها حديث الساعة كأشهر عمل فني، سألني: ما رأيك في المسلسل؟ قلت له كما كان يقول الناس: مسلسل ناجح، مبهر، عظيم، كسر الدنيا. . . فقطب جبينه، وهز رأسه، لقد أصيب فيَّ بخيبة أمل، هكذا رأيته. قلت له : ماذا تريد أن أقول؟ فأجابني: هل تذكر الجاسوس الإسرائيلي الذي انتقل من مصر إلى سورية، وكاد يعين وزيرًا للدفاع هناك لولا افتضاح أمره! قلت له: إيلي كوهين؟ قال: نعم إيلي كوهين، هذا هو ما كان يجب علينا أن نعمله، وأضاف: نعمله (شيك) جدًا، أنيق جدًا، ذكي جدًا. . . وكلما قال صفة أضاف إليها جدًا، ثم قال بصوت خاطف غاضب: لأن زمان كان فيه إيلي كوهين واحد، أما اليوم ففيه ألف إيلي كوهين!

ودفع إيهاب الأزهري ثمن قول «لا»: أُبْعِد عن إذاعة الشباب! فبكى بحرقة وهو يغادرها؛ لأنه أُبْعِد عن الوليد الذي جاء إلى الدنيا على يديه، وعن الوسط الذي أحبه، وعن الجيل الذي رباه، وبكى الإذاعي صلاح الدين مصطفى وأبكانا معه، وهو ينشد قصيدته: (كسروا الربابة)، ونشر الموسيقار مدحت عاصم مقالاً في أخبار اليوم بعنوان: (ليس هذا هو التغيير الأفضل). ورغم أنف الجميع أبعد الأزهري؛ لأنه قال: «لا». ونال صاحب هذا المقال من الحب جانب، فأوقف برنامجه (تعال نتحدث العربية) لأنه فقط أحد تلاميذ إيهاب الأزهري.

تقاعد الأزهري ليؤلف: (الإذاعة وبناء

الإنسان)، و(الناس على دين إذاعتهم)، وعددًا آخر من المؤلفات، بث فيها أفكاره الشجاعة، ونظرياته المتجددة في الإعلام، فضلا عن حبه العارم لمصر والعرب واللغة العربية، كما جاءت كتبه لتشن أشرس هجوم على المسلسلات الهابطة، وعلى اليهود الظالمة، وهو هجوم لم يكن قد بدأه أحد قبله.

**التدخين والأدب**

أما الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف النائب الأسبق لرئيس تحرير صحيفة الأخبار المصرية والذي لم يستطع أن يقول «لا» فتحول إلى مدمن للتدخين! فقد حدثني أنه عندما كان أديبًا ناشئًا، زار الدكتور طه حسين: يعرض عليه نتاجه الأدبي، فقدم له الدكتور طه صندوقًا خشبيًا فاخرًا مليئًا بلفائف التبغ، مكتوب عليها بماء الذهب اسم الأديب الكبير، ليتناول منه الزائر لفافة تبغ على سبيل التحية، يقول الأستاذ فهمي: فاعتذرت، وقلت له إنني لا أدخن، فما كان من الدكتور طه إلا أن قال - ربما على سبيل المزح -: وأنا لا أثق بأديب لا يدخن!

وكانت هذه الكلمة كافية لتكون البداية، في رحلة محمد فهمي عبداللطيف الطويلة مع التدخين حتى بلغت ١٢٠ سيجارة يوميًا، لأنه لم يتمسك بقوله: «لا» أمام الدكتور طه حسين [١٠].

**«لا»: لست أنا الكاتب!**

وسألت أستاذي الدكتور أحمد الحوفي رئيس قسم الأدب العربي الأسبق في دار العلوم، عن السر الذي جعله يكتب فصلاً عن الرئيس جمال عبدالناصر في كتابه (البطولة والأبطال) - بعدما خاب ظن جيلي في عبدالناصر - فقلت له: لماذا وضعت جمال عبدالناصر بحذاء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وخالد بن الوليد والمعتصم وصلاح الدين! ثم أَنَّبْتُ نفسي لأنني خشيت أن أكون قد عَرَّضْتُ بأستاذي، واتهمته بطريق غير مباشر بالمَلَق والنفاق، لهذا سَابَقَتْ عينَاي أُذُنَيّ، ونظرت في وجهه لأقرأ ملامحه قبل أن أستمع إلى جوابه، كنت أخشى أن يفتح علي النار، ولكني فوجئت به يبتسم ويقول: أنا لم أكتب حرفًا عن جمال عبدالناصر! فقلت له مندهشًا: ولكن هذا فصل في كتابك يا أستاذي! فأخذ حينئذ يقص الحكاية التالية:

في أواخر الخمسينيات الميلادية طلبني سكرتير مجلس الوزراء، وأخبرني أن كتابي (البطولة والأبطال) تقرر اعتماده من قِبَل وزارة التربية والتعليم؛ ليكون كتابًا دراسيًا على طلاب الثانوية العامة ضمن مقرر اللغة العربية، من أجل ذلك عليك أن تكتب فصلاً عن الرئيس جمال عبدالناصر نضمنه هذا الكتاب. وهنا قلت معتذرًا: لا أستطيع أن أكتب مثل هذا الفصل، وصممت على رأيي. فوجئت به يقول: على العموم الفصل مكتوب وجاهز، ولن تتعب في شيء، ثم فتح درج مكتبه، وأخرج ملزمة مكتوبة عنوانها جمال عبدالناصر! ومن الغريب أن الفصل جاء مشابهًا تمامًا لأسلوبي؛ لأن هذا السكرتير كان زميل دراسة ويعرف كيف أكتب. ثم أضاف الدكتور الحوفي: كان زميلي متوقعًا أن أعتذر عن الكتابة عن الرئيس جمال عبد الناصر: فكتب الفصل مسبقًا قبل حضوري، وأسقط في يدي! فلم يكن من الحكمة حينئذ أن أقول «لا» للمرة الثانية.

لقد شعرت بعدها أن أستاذي كمن تنفس الصعداء، وأحس بنوع من الارتياح الكبير، بل وبدا لي وكأنه كان ينتظر أو يبحث عمن يسأله منذ فترة طويلة: لماذا لم يقل (لا) لفصل يُفْرَض عليه فرضًا، ويوضع كجسم غريب داخل كتاب ألفه! ■

## المراجع


(١) موطأ مالك، الحديث رقم ٤٤٩ .

(٢) النسائي وابن ماجة وأحمد واللفظ للأخير، ورقم الحديث ١٠٧١٦ .

(٣) البخاري، الحديث رقم ٢٤٦٧ .

(٤) صحيح مسلم، الحديث رقم ٤٥٩٠ .

(٥) البخاري، الحديث رقم ٧٨٧٥ .

(٦) سنن أبي داود، الحديث رقم ٤١٤٣ .

(٧) عمر بن عبدالعزيز - الخليفة الزاهد، عبدالعزيز سيد الأهل، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

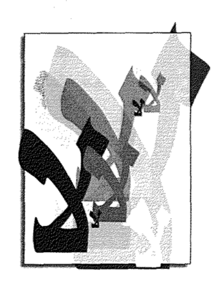
(٨) تذوق النص الدبي، بحث مخطوط للكاتب.

(٩) البداية والنهاية لابن كثير.

(١٠) تسجيلات إذاعة الشباب والرياضة عام ١٩٨٤م برنامج ١٠٠ دقيقة مع الشباب.

* أرقام الأحاديث الواردة مأخوذة عن موسوعة الحديث الشريف (اسطوانة ليزر)، إنتاج: العالمية - صخر.


محمود حسن أبو مية



بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
المملكة العربية السعودية

التاريخ ٢/٢/١٤٢٥

إجابة لطلبكم عن: "لا"

لا أجيب

لا إجابة

لا تجاوب

لا استجابة

لا قبول للاستجواب

لا قبول لقيد الألف كلمة

لا تعودوا لأمثال هذه

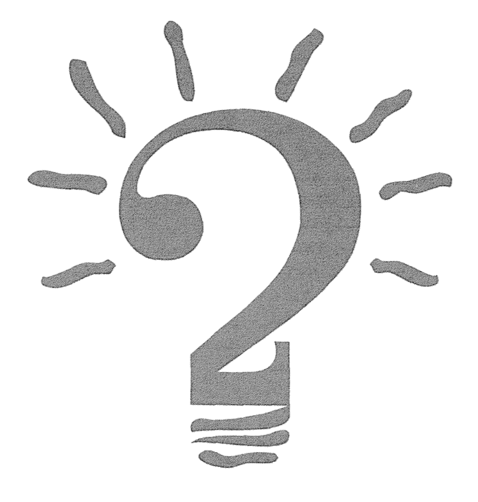
وإن عدتم فالجواب: لا

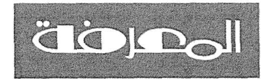
أخوكم

عبدالعزيز الخويطر

وزير دولة سعودي

ومسك الختام:
لا إله إلا الله.






المجلة «الثانية» في العالم العربي

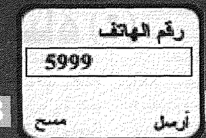
الجوال
ALJAWAL
إمكانات تتعدى الكلمات

# ولأول مرة

الأسهم السعودية
4853
4825
4797
4769
4741
26 28 29 1 2 3

بإمكانك الحصول على أسعار الأسهم السعودية حية مباشرة
عن طريق جوالك من خلال خدمة باب الأسهم

1
7010
أرسل مسح

2



3
س الاتصالات
أخر = 250.470
أعلى = 473.000
أقل = 467.250
كمية = 207137
مسح رجوع

| القطاع | الرمز | القطاع | الرمز | القطاع | الرمز |
|---|---|---|---|---|---|
| الرياض | 1010 | اميانتيت | 2160 | تهامه للاعلان | 4070 |
| الجزيرة | 1020 | اللجين | 2170 | عسير | 4080 |
| استثمار | 1030 | فيبكو | 2180 | طيبة للاستثمار | 4090 |
| السعودي الهولندي | 1040 | سيسكو | 2190 | مكة للانشاء | 4100 |
| السعودي الفرنسي | 1050 | أنابيب | 2200 | مبرد | 4110 |
| السعودي البريطاني | 1060 | نماء | 2210 | الباحة | 4130 |
| العربي الوطني | 1080 | معدنية | 2220 | الصادرات | 4140 |
| سامبا | 1090 | الكيميائيه السعودية | 2230 | التعمير | 4150 |
| الراجحي | 1120 | الزامل للصناعة | 2240 | ثمار | 4160 |
| سابك | 2010 | المجموعة السعودية | 2250 | شمس | 4170 |
| سافكو | 2020 | الاسمنت العربية | 3010 | فتيحي | 4180 |
| المصافي | 2030 | اسمنت اليمامة | 3020 | جرير | 4190 |
| الخزف | 2040 | اسمنت السعودية | 3030 | كهرباء السعودية | 5110 |
| مجموعة صافولا | 2050 | اسمنت القصيم | 3040 | الاتصالات | 7010 |
| التصنيع | 2060 | اسمنت الجنوبية | 3050 | نادك | 6010 |
| الدوائية | 2070 | اسمنت ينبع | 3060 | القصيم الزراعية | 6020 |
| الغاز والتصنيع | 2080 | اسمنت الشرقية | 3080 | حائل الزراعية | 6030 |
| الجبس | 2090 | اسمنت تبوك | 3090 | تبوك الزراعية | 6040 |
| الغذائية | 2100 | الفنادق | 4010 | الأسماك | 6050 |
| الكابلات | 2110 | العقارية | 4020 | الشرقية الزراعية | 6060 |
| المتطورة | 2120 | النقل البحري | 4030 | الجوف الزراعية | 6070 |
| صدق | 2130 | النقل الجماعي | 4040 | بيشة الزراعية | 6080 |
| الاحساء للتنمية | 2140 | خدمات السيارات | 4050 | جازان الزراعية | 6090 |
| زجاج | 2150 | المواشي المكيرش | 4061 | | |

فقط أرسل رمز السهم الخاص بالقطاع في رسالة قصيرة إلى الرقم ٥٩٩٩

أبواب
جوابك في جيبك

www.abwab.com.sa



**محمد بن أحمد الرشيد**
وزير التربية والتعليم

# شيء مما قلته عن تعليم الفتاة (٢)

أود أن أتابع إيراد شيء مما قلته عن تعليم الفتاة الذي نشر الجزء الأول منه في العدد الماضي فأقول:

إني لأقرر ما قرره شرعنا الحنيف في هذا الموضوع، وآخذ به معتزًا وداعيًا إليه.

إن ديننا الإسلامي العظيم يقرر بوضوح أن للمرأة حقوقًا تتساوى فيها مع الرجل.

من ذلك حق الحياة، فقد صان لها حق الحياة كما صانه للرجل، وأنكر على ما كان بعض الجاهليين يفعلونه من وأد البنات، فقال تعالى:﴿ **وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾ (التكوير: ٨-٩)، وقال في وصف من بُشِّرَ بالأنثى منهم: ﴿ **يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ (النحل: ٥٩).

ومن ذلك حق الكسب، فقال تعالى: ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ (النساء: ٧).

ومن ذلك حق الميراث على ما شرعه في كتابه الكريم فقال:﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبًا مفروضًا** ﴾ (النساء:٧).

ومن ذلك حق التعلم، دل على ذلك قوله ﷺ:«طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١]، ومعلوم أن ما يطلب من المسلم يطلب من المسلمة أيضًا ما لم يدل دليل على التخصص.

وفي الصحيح أن عائشة (رضي الله عنها) قالت:«نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٢].

وقد جعل رسول الله ﷺ للنساء يومًا يعلمهن فيه.

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال النساء للنبي ﷺ :«غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك» فوعدهن يومًا لقيهنَّ فيه، فوعظهن. رواه البخاري في كتاب العلم في باب: هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم [٣].

بهذا المعيار تقاس كل أمورنا، ومن هنا أقرر الأمور الآتية:

١- الأماكن المخصصة لتعليم البنات لا يجوز أن تكون أقل - بأي حال من الأحوال - من الأماكن المخصصة للبنين، وخصوصًا في تلك المؤسسات التعليمية التي تعنى بتعليم الفريقين معًا، وإنشاء جامعة مستقلة للبنات، بل جامعات قد يكون عاملاً مساعدًا على التحصيل الجيد للبنات مع تحقق الشروط العلمية، والمقاييس الأكاديمية المعروفة، وتوفير الإمكانات التعليمية والخدمات الكاملة

المتوافرة بسخاء في جامعات البنين.

٢- ضـرورة التـخـفـيف من التـدريس باستخدام شبكات التلفزيون المغلقة حيثما يوجد العدد الكافي من المعلمات المؤهلات - وهناك الكثـيـر من الدروس والمواد التي لا يمكن تغطيتها من خلال الشبكة التلفزيونية المغلقة - وفي كل الأحوال فإنه لا بديل للتفاعل الإنساني المباشر بين الطالبة ومعلمتها.

٣- النهوض بالمستوى التربوي من خلال برامج تعليمية متجددة، ومناهج متطورة، وكتب مدرسية حديثة، ووسائل تعليمية معينة، تصاغ كلها وتعاد صياغتها من وقت لآخر لتكون رائدة وسباقة، لا أن تكون راكدة جامدة، ولا سيما في تلك العلوم المتغيرة، والمعلومات المتبدلة التي ترافق التحول التقني الهائل الذي تشهده المعمورة.

٤- التعليم استثمار وليس خدمة، هكذا يصفه رجال الاقتصاد، وتنظر إليه دول العالم كلها - والقائمون على تخطيطه لا يجوز أن يغفلوا حقيقة أن المراحل العليا منه لا يمكن أن تستوعب دائمًا كل من تخرج من المراحل الدنيا فيه. ولذلك فإنه لا بد من إعادة النظر في برامجه، بحيث يمكن أن يكون خريج كل مرحلة - أو خريجتها - صالحًا للمساهمة في الحياة العملية دون انتظار للانتهاء من مرحلة تعليمية أعلى - وبإلحاح أكثر من خريجات الثانوية. وإذا كان هذا واجبًا في التعليم كله فإنه أوجب في تعليم الفتاة التي تؤهل في مجتمعنا للزواج في سن مبكرة إذا قيست بسن زواج الفتى. وإهمال هذه القضية ينذر بمخاطر لا يحتملها المجتمع، فإن عدة مئات من المتعطلين عن العمل أو عن التعليم في بلادنا مشكلة، وعدة آلاف منهم مأساة، وبضعة من مئات الآلاف نذير خطير وشر مستطير.

٥- وخريجات الجامعة اللاتي لا يستوعبهن سوق العمل المتاح الآن للنساء في بلادنا، ولم تؤهلهن دراستهن لمساهمة في الحياة العملية من المكان الذي يعشن فيه، يمثلن خسارة مادية فادحة لبلادنا التي تحملت المليارات من الريالات لتوفير التعليم لكل فتاة وكل فتى من أبنائها، ويمثلن مشكلة اجتماعية واضحة، وقد تصبح بعد وقت غير طويل مشكلة مستعصية.

ومع العمل المستمر في تطوير البرامج التعليمية للطلاب والطالبات فإنه يجب أن يفكر في برامج تأهيل تكميلية متنوعة للخريجات والخريجين الذين لا يسهمون بأي شكل، أو لا يسهمون بشكل مناسب، في حياتنا العملية. نفعل هذا، وندافع عنه، ونؤكد عليه قبل أن يصبح تدارك هذه المشكلة أمرًا مستحيلاً أو بالغ الصعوبة، وقبل أن تتحول من قضية تثير النقاش والبحث عن الحلول إلى فواجع اجتماعية فردية وجماعية نتيجة الفراغ، والإحباط، وقتل المواهب، وتبديد القدرات والطاقة، مجموعة كلها إلى ترف تعيش فيه بعض من أسر هذه البلاد، وقديمًا قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة!!

لقد أثبتت التجربة الإنسانية وفي كل المجتمعات حاضرًا وماضيًا أن التربية هي مفتاح حل المشكلات التنموية التي يعانيها أي بلد، وقد استلهمتُ من تراثنا الإسلامي الخالد شعارًا أردده في كل المناسبات وهو:

«خلف كل أمة عظيمة تربية عظيمة. وخلف كل أمة متخلفة تربية قاصرة، مخفقة، مهزومة».

وجوهر كل تربية عظيمة معلمون ومربون عظماء، منتمون، مخلصون، صادقون، عالمون.

والمسؤولون عن دفة التربية للبنات في بلادنا عليهم أن يتذكروا أنهم دعامة قوية وأساسية لتحقيق ما نصبو إليه في تربية

الفتاة تربية تنأى بها عن مواطن الزلل، وتجعلها قادرة على تحقيق الرسالة العظيمة لها، ومشاركة في تبوؤ الأمة للمكانة التي اختارها الله لها ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

وليس من شأن المسؤولين أن يستغرقوا في التفاصيل الإدارية التي تلهيهم عن مهمتهم الأولى: التعليم، والتعليم المناسب، والتعليم النافع، ومع إدراك أنه لا قدرة للمتعلم على التعلم دونما محبة له وإدراك لقيمته وأهميته.

وتابعت حديثي عن تعليم الفتاة بكلمة ختامية اقتبستها بتصرف من أحد أساتذة التربية إذ يقول: «التربية إذا أخلص لها الكيان السياسي، وهو في بلادنا مخلص لها، وأخلصت له هي على بصيرة - وهي إذا وجدت أناسًا أكفاء منتظمين، وتنظيمًا إداريًا ترتكز عليه تغذيه وتسنده، وهي إذا أجمع عليها واجتمع لها العمل الوطني المشترك الجاد، وهي إذا استلهمت في نموها الذات الثقافية العربية الإسلامية، وتجسدت قيمها الأصيلة، ووعت احتياجاتها وآمالها بدلاً من الانبهار بنماذج غربية أو شرقية آسيوية، وهي إذا تعاضدت مع وسائل الإعلام من أجل بناء الوطن والمواطن، وهي إذا مدت بصرها واهتمامها إلى القطاع غير المدرسي، كل هذا مع مراجعة مدروسة لإدارتها وبناها ومحتواها وأدواتها وتشريعاتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، وخصوصًا لمواقع العمل في المجتمع، ومع العزم على التحول من صناعة الكلام إلى بناء الإنسان، ومع إعادة النظر في دور المعلم وتكوينه ومركزه المادي والأدبي - إن التربية إذا أصابها ذلك كله وأصابته أمكنها أن تضاعف في قدرتها على التغيير وأن تصحح مسارها، وتعوض ما فات الأمة في عقود سابقة أن تحصله وتحصل عليه».

وأكرر تذكيري لكل المعنيين بأمر له بالغ الأهمية والخطورة، ذلك هو وجوب العناية بشأن القائمين والقائمات على تعليم البنات، عناية تشعرهم وتشعرهن بقدسية العمل الذي عهد به إليهم، وتدعوهم إلى الاعتزاز بأدائه واستشعار عظمته.

إن تراثنا الصحيح، وتقاليدنا الراسخة، وحرصنا الصادق على مستقبل أمتنا وبلادنا، إن ذلك كله كفيل - إذا استُدعي كله استدعاء صحيحًا - بتحقيق آمالنا كلها وطموحنا كله نحو تربية سليمة.

وعلى كل من يعمل في مجال التربية أن يحاول تحقيق نجاحات مهما كانت صغيرة في موقعه الذي هو فيه، فأشد ما تحتاج إليه أمتنا في حقبتها الحالية ليس التصويب إلى النجوم، بل قطع مسافات وإن كانت قصيرة في رحلتنا على الأرض نحو أهدافنا السامية. فالنجاح وحده يدعو إلى النجاح، ولنفتح صدورنا للحوار، فليس أنفذ لحل المشكلات إن وجدت من اجتماع العقول، ولنحاول أن نلتمس في الحاضر عناصر قوة فننميها، ومواطن نجاح فنشيد بها، وأخًا يبذل ذوب النفس فنبارك خطاه ونسانده، وموقعًا يمكن أن ينطلق ويتسارع بخبرة امتلكها فنسرع بالتطوع بها، ففي الأزمات حين وجودها يظهر الخلق الكريم على أنه أنجح المساهمات لانفراجها.

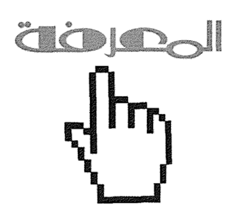
ولا بد من أن يكون تحركنا على علم وتحاورنا على حب، وعملنا على تعاون، ولنثق ثقة اليقين بأن الله الرحيم الرحمن العادل لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

## المراجع


١- حديث صحيح انظر «صحيح الجامع الصغير» برقم ٣١٩٣ و٣٩١٤.

٢- رواه مسلم في صحيحه برقم ٣٣٢ (٦١) ورواه البخاري تعليقًا (قبل الحديث ذي الرقم ١٣٠).

٣- انظر «صحيح البخاري» برقم ١٠١.


المعرفة

## صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية (١-٤)

# «ليسوا سواء»

أحمد علي الدغشي* - صنعاء

* أستاذ أصول التربية الإسلامية المساعد جامعة صنعاء .

**تفرض الأحداث العالمية في الآونة الأخيرة خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة إعادة السؤال التقليدي القديم: كيف ينظر الإسلام إلى مخالفيه؟ وهل لأحداث العنف - وليس الجهاد المشروع - التي تقع هنا وهناك بأيادٍ إسلامية - أو هكذا يتردد في أجهزة الإعلام ووسائله المتعددة - صلة بالفلسفة التربوية التي نشئ عليها الفاعلون؟**

وبعيدًا عن الخوض في مدى قيام صلة حقيقية لتلك الاتهامات بالمسلمين من أي بلد أو فصيل، ومدى الارتباط الفعلي بالفلسفة التربوية من حيث التنشئة والاستقامة والتخصص العلمي، يرى الباحث، أن البحث في أمر كهذا يقتضي البحث أولاً عن الجذور النظرية في الفلسفة التربوية الإسلامية عبر مصدريها الرئيسين: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعما إذا كانت في جملتها وتفاصيل أحكامها تدعو إلى رفض الآخر، وزرع كراهيته في نفوس الناشئة، أم أن ذلك السلوك يرجع إلى أسباب وملابسات أخرى لا علاقة للفلسفة التربوية بها ضرورة؟ بل لربما كانت على العكس من ذلك، إذ إن مخرجات الفلسفة التربوية الإسلامية قد تكون عامل استقرار ومرتكزًا أساسًا من مرتكزات السلام الاجتماعي والعالمي، إذا ما كانت الأوضاع عادية وطبيعية.

**سبب الاختيار:**

من حيث المنطق التربوي والعلمي فلاشك أن للفلسفة التربوية في أي مجتمع من المجتمعات انعكاساتها السلوكية المباشرة وغير المباشرة على مستوى السلوك الفردي والجماعي، سواء أكان ذلك أثناء فترة التأهيل والإعداد أم بعد التخرج والانخراط في ميدان الحياة العملية.

وقد لاحظ الباحث - كغيره - مدى التركيز على المناهج التربوية في العالم الإسلامي لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، وتوجيه جملة من التهم لها تصمها بأنها من وراء صناعة الإرهاب والتطرف، وتختزل المشكلة جميعها في المناهج الدراسية بوصفها المسؤولة الأساس عن هذه المخرجات «المتورطة» في تلك الأحداث... وعلى ذلك طُرح مطلب التطوير والإصلاح للمناهج الحالية المتصلة بالتربية الإسلامية وبعض فروعها، لتواكب متغيرات العصر وزمن العولمة لتحقيق التسامح الديني والقضاء على التعصب والانغلاق الذي تتسم به المناهج الحالية، ولا يتم ذلك إلا بتطهيرها من تلك الأفكار والمفردات، وإحلال تربية السلام وثقافتها في عصر السلام وسيادة النظام العالمي الجديد.

يدرك الباحث أن الحديث عن موضوع كهذا في هذه الأجواء سيدفع طائفة من القراء لاتهامه بالتأثر برد الفعل والمنطق الدفاعي، وتسويغ الحملة الأمريكية على ما تصفه بالإرهاب، وإن كان ذلك قبل الاطلاع على مضمون البحث وما سيخرج به من نتائج وتوصيات، كما أنه من غير المستبعد أن تندفع طائفة أخرى من القراء للاتهام المضاد منذ البداية، بأن في مثل هذا البحث دعوة لمباركة العنف وتسويغًا لمنطقه.

وحين تنطلق الاتهامات جزافًا من طرفين متناقضين فإن ذلك قد يكون شهادة كافية للباحث بالاعتدال، والبحث الموضوعي عن الحقيقة التي قد لا تعجب هذا الطرف أو ذاك.

وصحيح أن نقطة الاعتراض الجديرة بالتوقف هنا هي التي تطرح في صيغة سؤال عن السبب في طرح الموضوع للبحث والنقاش في ظرف كهذا يفرض فيه ذوو الهيمنة والنفوذ تربيتهم وثقافتهم الشاملة على الضعفاء والمستلبين؟ ألا يُخشى أن يُعد ذلك مشايعة - ولو غير مقصودة - في تعزيز ثقافة الهيمنة

للاستعمار الثقافي المعاصر؟

والحق أن هذه الدراسة تنطلق من مسلّمة مركبة مفادها: إن هناك تغولاً يدفعه منطق غطرسة القوة لدول الاستعمار الثقافي الحديث، غير أن ذلك التغول والطغيان لا ينفي وجود ذرائع ممنوحة له أحيانًا من قبل الضحية لسبب أو لآخر.

وإنك حين تحرص على أن تمنح خصمك العنيد مشروعية القضاء عليك مع اعترافك بامتلاكه بعض الحق في دعواه ترتكب خطأين كبيرين متلازمين:

أحدهما: مخالفة توجيهات القرآن الكريم بالإنصاف من الذات، ولزوم العدل مع الآخر مهما كانت الأسباب والدوافع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء ١٣٥). ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨).

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ (المائدة:٢).

**ثانيهما**: الاستمرار في الخطأ وتسويغه وتطبيعه حتى يغدو جزءًا عاديًا من السلوك الفردي والجماعي في أي مجال من مجالات الحياة، وهو ما يتعذر الرجوع عنه بسهولة بعد ذلك. والذريعة الأساس في ذلك أننا لا نريد أن نخضع لتوجيهات الطاغي المستعمر، ونظهر أمامه كما لو كنا قد استسلمنا، وأوكلناه زمام قيادة التغيير في ناشئتنا وتربيتنا عمومًا. ومع أن هذه مكابرة تتنافى مع تعاليم الوحي - كما سبق - وتقود إلى تطبيع السلوك غير السوي؛ فإن المطلوب هو أن تستفيق الذات التربوية بضميرها الجمعي إذا ما تأكد لها حقيقة وجود الخلل للمسارعة في إصلاحه من الداخل، بعيدًا عن تدخل قوى الهيمنة والنفوذ الخارجية ورجع صداها الداخلي. ولا يهم بعد ذلك إن كان سيقال ويقال من هذا الطرف أو ذاك، وسيعرف الخصم مكمن الخلل، وبيت الداء، فلقد كان القرآن ينزل مقومًا للأخطاء والمزالق التي وقع فيها بعض الصحابة، بل وبعض الاجتهادات التي كانت تصدر عن النبي ﷺ فينزل الوحي مصوبًا وموجهًا، على مسمع ومرأى من الأطراف جميعًا: مسلمها وكافرها ومنافقها دون تثريب أو تحفظ.[1]

> وقد لاحظ الباحث ـ كغيره ـ مدى التركيز على المناهج التربوية في العالم الإسلامي لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، وتوجيه جملة من التهم لها تصمها بأنها من وراء صناعة الإرهاب والتطرف

**المصطلحات الإجرائية:**

لغرض هذه الدراسة فإنه يقصد بالمصطلحات التالية ما هو موضح قرين كل منها فيما يلي:

**صورة الآخر:** فهم الباحث لنظرة فلسفة التربية الإسلامية وأحكامها على غير المسلم من أهل الملل والأديان والمعتقدات الأخرى بصورة عامة، وفي مقدمتها اليهودية والنصرانية (أهل الكتاب) وسواء أكانوا أهل ذمة (مواطنين أصليين) أم مستأمنين (قادمين من خارج حدود الدولة الإسلامية)، فإن مصطلح الآخر يتناوله، إلا ما خصه الدليل الشرعي كموضوع الجزية مثلاً الذي ينصرف إلى أهل الذمة دون المستأمنين.

**فلسفة التربية الإسلامية:** فقه النصوص القرآنية والنبوية والأحداث التاريخية المرتبطة بتطبيق تعاليم القرآن والسنة، التي تناولت أحكام غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي - وهو الأغلب - وخارجه. وتمثل هذه النصوص جذور الفلسفة التربوية التي يفترض أن تُشكل مبادئ وأهداف ومحتويات مادة التربية الإسلامية وما في حكمها أو قريب منها كالتربية الاجتماعية مثلاً.

**مشكلة الدراسة وأسئلتها:**

بوسع الباحث أن يصوغ مشكلة دراسته في السؤال الرئيس التالي:

**ما صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية؟**

وينبثق عن السؤال الرئيس السابق الأسئلة الفرعية

التالية:

**السؤال الأول:** ما الأسس والمنطلقات التي تنبثق عنها صورة الآخر في إطار فلسفة التربية الإسلامية؟

**السؤال الثاني:** ما طبيعة النظرة إلى الآخر في ظل فلسفة التربية الإسلامية؟

**السؤال الثالث:** هل شُرع الجهاد القتالي في الإسلام ليوجه ضد دين الآخر أو معتقده أو عرقه أو لونه؟ أم لعدوانه وتهديده بيضة الإسلام ودرء الفتنة وفق فلسفة التربية الإسلامية؟

**السؤال الرابع:** ما مدلول تشريع الجزية على الآخر في فلسفة التربية الإسلامية؟

**أهداف الدراسة: تكمن أهداف هذه الدراسة في:**

**أولاً**: الكشف عن الأسس والمنطلقات التي تنبثق عنها صورة الآخر في إطار فلسفة التربية الإسلامية.

**ثانيًا**: تبيين طبيعة النظرة إلى الآخر في ظل فلسفة التربية الإسلامية.

**ثالثًا**: التعريف بفلسفة الجهاد القتالي في الإسلام من حيث هدفه وأخلاقه وعلاقته بالآخر في ظل فلسفة التربية الإسلامية.

**رابعًا**: التعريف بفلسفة الجزية وعلاقتها بالآخرين في ظل فلسفة التربية الإسلامية.

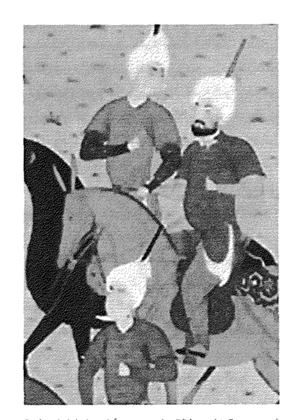
**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الدراسة الحالية في انعكاسها على الواقع التربوي، من حيث تضمين الأفكار والمفاهيم والأحكام التي ستخرج بها الدراسة تجاه الآخر في محتوى المقررات الدراسية، المتصلة بمادة التربية الإسلامية وما في حكمها أو قريب منها عبر مختلف المراحل الدراسية.

**منهج الدراسة وإجراءاتها:**

تتبع هذه الدراسة المنهج الأصولي القائم على الوصف والاستنباط، ويقصد به وصف الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع الدراسة، واستنباط الأفكار والمفهومات والأحكام المتضمنة فيها.

وبالنسبة لإجراءات الدراسة فيشير الباحث ابتداء إلى أن طبيعة هذه الدراسة تقتضي الإفصاح عن أمر يعتقده بعض الباحثين إشكالاً جوهريًا في التعامل مع النصوص القرآنية والنبوية، وذلك هو كثرة القراءات وتنوعها لتفسير هذا النص أو شرح ذاك. والواقع أن هذا دليل عافية وثراء إذا روعيت قواعد المنهج، وآداب الخلاف، وأخلاق المعرفة، إذ يصعب وجود نصوص إلهية



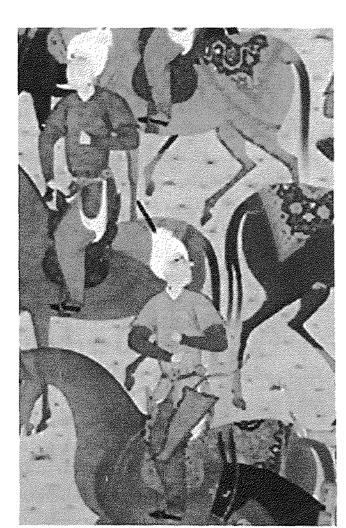
أو بشرية ذات دلالة واحدة دومًا. فإذا كان ثمة نصوص قطعية في ورودها ودلالتها فإن القرآن الكريم نص قطعي في وروده بلا ريب، أما من حيث دلالته فيشترك مع السنة في ذلك، أي أنه يحوي الظني والقطعي معًا، وهذا آية سعته ورحمة الله بأهله. وأيًا ما دخل التأويل على النص بشقيه القرآني والنبوي فإن ذلك لا يعني ضياع الحقيقة بحال، وإلا لضاعت شروحات القوانين بمختلف فروعها، بل لضاعت المدونات في مختلف العلوم والتخصصات الإنسانية والاجتماعية على درجة الخصوص إذ يدخلها التأويل غالبًا، ولكن ثمة رأي غالب أو عام يسمى فقهيًا رأي الجمهور، وهو أقرب إلى الصواب غالبًا، إن لم يكن هو الصواب بعينه. وصدق الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ يقول:« يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين،وتأويل الجاهلين»(٢) .

ثم إن ثمة قواعد مرعية لغوية واصطلاحية تواضع عليها أهل كل فن وعلم لمعرفة متضمناته. وتمتاز هذه القواعد بأكبر قدر من الضبط والدقة لرفع النزاع وتحرير الخلاف غالبًا.

والمقصود أن الآراء والأحكام التي ستخرج

بها هذه الدراسة لن تخرج عن تقرير رأي للجمهور غالبًا، أو تلتزم بأصول الفهم وقانون التأويل وفق اللسان العربي المبين، وما تواضع عليه أهل العلم في مجالي التفسير والفقه من قواعد أو تقرير أحكام تم بحثها وخلُص إلى حكم فيها. وهذا يدفع الشبهة التي قد يقذف بها بعض من لا دراية عنده بحقيقة القواعد المنهجية المرعية عند أهل الاختصاص، فيردد أن الرأي المثبت في هذه الدراسة مدفوع بآراء أخرى قديمة أو حديثة فما الجديد؟ والجديد - في زعم الباحث - هو تقرير الحكم الشرعي وفق المنطق العلمي والسبيل المنهجي الذي يمثل عقدًا أدبيًا يجب مراعاته بين أهل العلم بمختلف تخصصاتهم، حتى لا تضيع الحقيقة في زحمة الآراء الشاذة والتأويلات الضعيفة المتعسفة المتناقضة مع مقاصد الشريعة، ومذهب جمهرة أهل العلم. وفي سبيل تحقيق ذلك فسيقوم الباحث بما يلي:

- جمع أبرز النصوص القرآنية والنبوية وأكثرها دلالة على موضوع الدراسة جمعًا مباشرًا من المصحف الشريف، والمصادر النبوية المعتمدة وفي مقدمتها صحيح البخاري ومسلم، بعيدًا عن الطريقة المعجمية التقليدية.



- العمل على تصنيف تلك النصوص بحسب أسئلة الدراسة وأهدافها.
- الالتزام بتوثيق جميع النصوص وعزوها إلى مصادرها الأصلية، سواء في المصحف الشريف أم في المصادر الحديثية، وذلك كمنهاج عام.
- العمل على تحليل تلك النصوص ومناقشتها وتوجيه المشكل منها في ضوء بقية النصوص الصريحة، إعمالاً للمنهج الكلي في البحث والاستدلال.
- اختتام الدراسة بخلاصة جامعة تشمل جملة من النتائج والتوصيات الهادفة إلى تقديم الصورة النهائية، التي خرج بها الباحث في دراسته عن الآخر في فلسفة التربية الإسلامية، بهدف تضمينها في المناهج والمقررات الدراسية المتصلة بمادة التربية الإسلامية، وما في حكمها أو قريب منها كمادة الاجتماعيات مثلاً.

**الدراسات السابقة:**

بحسب تقصي الباحث وسعيه نحو إجراء مسح شامل للدراسات السابقة لهذا الموضوع «صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية» فلم يعثر على دراسة ذات صلة وثيقة أو قريبة منه على نحو تربوي مقصود وشامل. أي أنه يوجد أدب نظري متعدد المجالات، يتناول أحكام أهل الذمة والمستأمنين وغير المسلمين عمومًا في المجتمع الإسلامي وخارجه، وأنماط العلاقات الدولية في الإسلام ونحو ذلك وفق منحى فقهي خالص. ورغم أن البحث الحالي قد أفاد منها كثيرًا إلى جانب جهده الذاتي في الاعتماد المباشر على النصوص القرآنية والنبوية التي استنبطها بقراءة ذاتية مباشرة فإن ذلك لا يمثل دراسات سابقة نظرًا لطبيعة المجال الذي يميزها عن المجال التربوي على نحو مقصود موجه. ومن هنا فإن الدراسة الحالية وجهت تلك النصوص والأحكام المتضمنة فيها - بحسب تلك المراجع والدراسات - الوجهة التربوية في خلاصة هذه الدراسة، بهدف استخلاص المتضمنات التربوية المباشرة.

ولا يفوت الباحث الإشارة إلى أن ثمة دراسات جزئية تمت في المجال التربوي غير أنها تتناول جانبًا أو بعض جوانب من المقرر الدراسي في مقرر التربية الإسلامية أو أحد فروعه في هذا البلد أو ذاك، غير أن هذا الشكل لا

يلبي هدف الدراسة الحالية، ولا يجيب عن أسئلتها، حيث يتوجه التركيز هنا إلى المصادر التي تستقي منها تلك المقررات محتوياتها في أي من البلدان العربية والإسلامية، وعلى ذلك فيمكن تصنيف مجال الدراسة الحالية بأنه مجال فلسفة التربية الإسلامية.

كما لا يفوت الباحث الإشارة العُجلى إلى مدى اهتمام الآخر بصورة العرب والمسلمين في مقرراته الدراسية، على نحو يستدعي التوقف طويلاً أمام سر هذا الاهتمام للآخر، بجوهر الموضوع من جهته الخاصة بطبيعة الحال في مقابل الغيبوبة التي تغشى الذات تجاه الأمر نفسه.

فللمرء أن يتساءل - مثلاً - عن مغزى التوجيهات الصادرة عن وزارة التربية في فرنسا، المتضمنة في برامج تعليم اللغة الفرنسية في المدارس الثانوية إلى المؤلفين والكتاب، لإعطاء اهتمام كافٍ للنصوص الأجنبية المترجمة مثل قصص ألف ليلة وليلة، والأيام لطه حسين، وكذلك الأدب الناطق بالفرنسية مثل نجمة لكاتب يسين[٣].

وتقول إحدى الباحثات في هذا المجال عقب إيرادها المعلومة السابقة:« تلخص هذه التوجيهات أهداف تعليم الفرنسية في المدارس الثانوية (من الفصل السادس إلى الفصل الثالث) على أنها: اختيار النصوص التي توفر للتلاميذ إمكانية فهم الآخرين، وتمكنهم من التعرف على الحقائق والثقافات البعيدة عنهم»[٤].

كما أن دراسات لا حصر لها تم إجراؤها في الغرب منذ وقت مبكر في ثقافتهم وأديانهم في إطار المجال نفسه، وجميعها تركز على صورة العرب والمسلمين في المناهج والمقررات الأمريكية والغربية في مختلف المراحل، وكذا على صورة الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ الأمريكي والعالمي المدرسية في الثانويات الأمريكية ومنها - على سبيل المثال -:

«صورة العرب في عقول الأمريكيين» لميخائيل سليمان، حيث خصص مؤلفه الفصل السادس من دراسته لصورة العرب عن الشرق الأوسط بتأثير المدارس الثانوية، ليشمل بدوره إشارة إلى جملة دراسات تمت على المقررات والمعلمين والتلاميذ، خلصت في مجملها إلى تقديم صورة سلبية للعربي وشخصيته، حيث اتهام عقيدته بأنها تخنق الإبداع، وتدعو للحرب الدينية، والتعصب، وأن العرب شعب مولع بالحروب. أما المسلمون عمومًا فبربر وبرابرة، وجماعة أثارت الرعب في أوروبا الشرقية ذات يوم، مع خلط بين المسلمين عمومًا وحركتي المسلمين السود والقوة السوداء في الولايات المتحدة. أما الإيجابيات فلا تكاد تذكر بالنظر إلى تلك القائمة من السلبيات[٥].

ويورد إياد القزاز في دراسته عن « صورة الوطن العربي في المدارس الثانوية الأمريكية» كما في دراسات بهذا الشأن. وبعد أن قام الباحث بإيراد ملخصات عن تلك الدراسات [٦] خلص إلى تقرير أن النظرة الشائعة عن العرب في الولايات المتحدة «نظرة سلبية تصفهم بالتخلف والبداوة، وتربطهم بالصحراء والخيمة والعباءة السوداء»(٧)، ثم أوصت الدراسة بتقديم صورة جيدة عن الوطن العربي وقضاياه والتغيرات التي تتم في المجالات التربوية والاجتماعية والاقتصادية[٨].

وإذا كان ذلك مؤشرًا ذا مغزى عميق على مدى اهتمام الآخر بدراسة صورة العربي والمسلم في مقرراته، فإن استمرار غياب أو محدودية نظرة العربي والمسلم إلى الآخر على وجه الحقيقة يمثل إسهامًا في مسلسل التشويه. ولذلك فقد أحسنت بعض المطبوعات التربوية القويمة حين لفتت النظر - عبر ملف متميز- إلى ضرورة إعادة رسم صورة العربي والمسلم في مناهج الآخر الدراسية. ولكن من يُناط به تغيير الصورة السلبية تلك. نحن أم هم؟[٩]

**أسس التعامل مع الآخر:**

تنطلق فلسفة الإسلام في منهجها للتعامل مع الآخر من الأسس التالية:

**أولاً**: التعارف والتعاون بالبر والقسط:

وذلك استجابة لتوجيه القرآن الكريم للبشرية جميعًا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣).

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨).

وينطلق هذا الأساس كذلك من وثيقة المدينة التي تمثل دستورًا لأهلها، وقد كتبها رسول اللهﷺ لسكانها من مهاجرين وأنصار من جهة، ويهود من الجهة الأخرى. وجسدت بذلك صورة التعايش الحضاري والتعاون الاجتماعي في ظل

الدولة الإسلامية وسيادة فلسفتها التربوية.وقد تضمنت تلك الوثيقة حرية العقيدة، والرأي، والنفس، والمال، وحرمة الجوار، ونصرة المظلوم، ومقاومة المعتدي، وأن يكون سكان المدينة يدًا واحدة على من يهاجمها، أو يحارب أهلها.[١١]

**ثانيًا: الدعوة إلى الله:**

ولاشك أن الدعوة إلى الله - تعالى - لا تتم في الأصل إلا بالكلمة الطيبة الحسنة لا بالعنف والغلظة، سواء على مستوى الأفراد والجماعات، أم على مستوى الدول من منطلق عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانيتها: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨). مع مراعاة الأسلوب الحسن: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦). ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة:٨٣).

**ثالثًا: الكرامة الإنسانية:**

إذ تنطلق فلسفة التربية الإسلامية في خطابها مع الآخر على أنه جزء من الذات الأصلية من زاوية الكرامة الإنسانية بلا فرق بين أبناء دين أو لون أو جنس أو عرق: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: ٧٠).

وقال ﷺ فيما يرويه عنه عامر بن ربيعة - رضي الله عنه -: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها حتى تخلفكم أو توضع»[١٢]

وواضح أن هذا حكم عام في جنازة المسلم وغيره، بيد أن ثمة حديثًا آخر خاصًا يؤكد صراحة أن غير المسلم لا يستثنى من هذا العموم، فقد روى جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: «مرت جنازة فقام لها رسول الله ﷺ وقمنا معه فقلنا يا رسول الله إنها يهودية، فقال: إن الموت فزع، فإذا رأيتم جنازة فقوموا» [١٣].

وفسر العلة التكريمية من وراء ذلك القيام في رواية أخرى يرويها ابن أبي ليلى عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف، أنهما كانا بالقادسية فمرت جنازة فقاما لها، فقيل لهما: « إنها من أهل الأرض[١٤]، فقالا: «إن الرسول ﷺ مرت به جنازة فقام لها، فقيل له: إنه يهودي، فقال: أليست نفسًا» [١٥].

و إذا تذكرنا أن سكان القادسية يومذاك كانوا مجوسًا[١٦]، فإن دلالة تناول توجيه السنة النبوية العملية سيتأكد - بلا أدنى ريب - عموميتها لكل إنسان بصرف النظر عن دينه ومعتقده.

وإذا كانت هذه النصوص صريحة في تقرير مبدأ الكرامة الإنسانية بصرف النظر عن الدين، فإن التميز باللون أو الجنس أو العرق لا قيمة له ولا معنى في فلسفة التربية الإسلامية، ما لم يكن مصحوبًا بالاستقامة الشاملة، مصداقًا لتوجيه النبي محمد ﷺ : في خطبته الشهيرة بحجة الوداع:

«يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[١٧].

**رابعًا: الحرية في الاختيار:**

وتنطلق فلسفة التربية الإسلامية في تصورها للآخر من تقرير قاعدة الحق الطبيعي في الحرية وحق الاختيار، وعدم جواز الإكراه على الإيمان بحال: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩).

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون:٦).

إن محاولة جمع الناس على دين واحد كخيار وحيد لا ثاني له يتنافى مع المشيئة الربانية، ويوقع في محظور الإكراه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩).

﴿ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ

ويلفت نظر الباحث في حديث القرآن الكريم عن الآخر التزام الموضوعية بدقة متناهية، حيث يلحظ عدم التعميم، والتشديد على التخصيص بذكر ألفاظ (كثير) أو (منْ) أو (فريق) أو (طائفة) أو نحو ذلك مما يفيد عدم استغراق جميع أفراد جنسهم

مَرْجِعُكُمْ جميعاً فَيُنَبِّئُكُم بما كُنتُمْ فيه تَخْتلفون ﴾ (المائدة:٤٨).

وقم أقسم الله تعالى بمخلوقات عظيمة لتأكيد حقيقة الاختلاف في السعي والكسب ومن ثم المصير:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ. وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّىٰ. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ. فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (الليل: ١-١٠).

ولذلك اتفق علماء الإسلام على أنه لا يجوز إجبار أسير أو كتابي مثلاً على الإسلام، وفي هذا يقول ابن حزم: (ت: ٤٥٦هـ): «واتفقوا أنه من أسر بالغًا منهم فإنه لا يجبر على مفارقة دينه» (١٨).

نعم إن هذه النصوص لا تؤذن بمشروعية للكفر، ولا تهون من قدر اختيار غير طريق الإسلام دينًا، بيد أنها تخبر عن حقائق موضوعية قائمة، وتقرر سننًا جرت بها الإرادة الإلهية الكونية. ولذلك فمع أن الدعوة إلى الله تظل خيار المسلم وديدنه، ولكنه ينبغي أن يدرك في الوقت نفسه الحقائق المتضمنة في هذه الآيات: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف:١٠٣).

﴿ فلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ (فاطر:٨).



﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩).

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٣).

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢).

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (القصص:٥٦).

وإذا تأكد أن ليس غير سبيل الدعوة السلمية الحُرة طريقًا للهداية والإقناع في الأصل، فإن ذلك يعني بقاء سنة الله القاضية بالاختلاف والتنوع في الأديان والملل والمعتقدات كما نفذت سنته سبحانه في اختلاف ألوان خلقه ولغاتهم: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢).

وما ذلك إلا لأن ثمة يومًا يفصل الله فيه بين المختلفين من عباده من مختلف الأديان والملل والمعتقدات:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (الحج: ١٧).

ولذلك فإن الحرية الممنوحة للإنسان هنا تتضمن مسؤولية عن حياته ومصيره ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال:٤٢). ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا. مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء: ١٣-١٥).

**خامسًا: القواسم المشتركة:**

وثمة قواسم مشتركة بين أهل الأديان السماوية ومن يلتحق بهم، يمكن أن تجمع بينهم وفي مقدمة هذه القواسم:

التوحيد الكلي: ورأسه الإيمان الكلي بالله - تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية (١-٤)

يحزنون﴾ (البقرة: ٦٢).

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران: ٦٤).

والمسلمون لم يأتوا بدين جديد كلية، بل هو تجديد لما اندرس من معالم التوحيد في أديان الرسل السابقين، وامتداد جوهري لدعواتهم:

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (الشورى: ١٣).

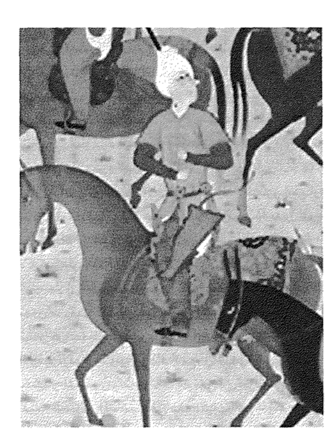
﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (النحل: ١٢٣)

ووجه القرآن خطابه إلى اليهود للالتزام بالملة الإبراهيمية: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون. قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (آل عمران:٩٣-٩٥).

كما وجه خطابه إلى اليهود والنصارى معًا ليتخلصوا من غلوائهم في حصر الحق في أديانهم الخاصة، رغم ما شابها من الانحراف والشرك، داعيًا إلى اعتناق الملة الإبراهيمية الحنيفية السمحة: ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ (البقرة: ١٣٥-١٣٧).

وأمر المسلمين بمخاطبة أهل الكتاب بالحسنى - باستثناء الظلمة منهم - بقواسم الاشتراك بين الجميع: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾(العنكبوت: ٤٦).

**سادسًا: إنصاف الآخر والموضوعية في**



**الحكم عليه:** إن فلسفة التربية الإسلامية إذ تنطلق في دعوتها الآخر للإيمان بدين الإسلام، فإنها لا تجرده من صفات إيجابية كائنة فيه، بل تعترف له بذلك وتخاطبه بما فيه من تلك الصفات: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (الأعراف: ١٥٩). ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ (آل عمران: ١٩٩). ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (آل عمران: ١١٣-١١٥). ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ (العنكبوت:٤٧).

لم يفرق القرآن الكريم بين المؤمن بدين الإسلام وغيره من أهل الأديان، إذا ما اقترف أي منهم عملاً سيئًا، إذ تأبى سنة الله العادلة محاباة المسلم على سواه ما دام الجُرم واحدًا: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ (النساء: ١٢٣).

وحين ذم الله اليهود فليس ذلك لجنسهم وسلالتهم أو

دينهم أو نحو ذلك من الاعتبارات الضيقة المحدودة، إذ سبق أن أثنى عليهم حين كانوا أهلاً لذلك، أو حين ابتلاهم بذلك الفضل فلم يرتقوا إلى مستواه:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة:٤٧). وإنما مرد ذلك لسلوكهم في الكفر بآيات الله، وقتل النبيين بغير الحق، وعصيانهم وعدوانهم ليس أكثر: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة:٦١).

وحين زعم غلاة اليهود والنصارى أن الجنة حكر عليهم وحدهم رد الله عليهم بقوله - جل وعلا -: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ١١١-١١٢).

وأعقب ذلك بأن أبان أن كل زعم يحوي احتكار الحق المطلق ويصم الآخرين بالباطل المحض إن هو إلا شنشنة جهلة المشركين ومن على شاكلتهم، وذلك وحده دليل بطلان دعوى احتكار الجنة إذ اختلافهم تضادي لا لقاء معه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة: ١١٣).

وفي موطن آخر يبين الله - تعالى - أن اللعنة التي حاقت باليهود الذين وصفوا يد الله - سبحانه - بالغلول إنما كانت بسبب مقولتهم تلك، لا لأي اعتبار غير سلوكي: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا... ﴾ (المائدة:٦٤).

ويلفت نظر الباحث في حديث القرآن الكريم عن الآخر التزام الموضوعية بدقة متناهية، حيث يلحظ عدم التعميم،والتشديد على التخصيص بذكر ألفاظ (كثير) أو (مِنْ) أو (فريق) أو (طائفة) أو نحو ذلك مما يفيد عدم استغراق جميع أفراد جنسهم. وهذا التحديد والتخصيص لم يأت عفوًا إذ لو كان الآخر غير ذي دلالة لاكتفى بالتعميم والإطلاق من قبيل القاعدة الأصولية الصحيحة «النادر لا حكم له»، ولكن لما كان لذلك مدلوله كان التأكيد بتلك الألفاظ مسوغًا شرعًا وواقعًا. وعلى سبيل المثال تأمل قوله - سبحانه -: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (البقرة:١٠٩). ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٨٠-٨١). ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:٥٩). ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران:١١٠).

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٥-٦٦).

وتأمل في تخصيص القرآن بلفظ (مِنْ):

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة: ٧٨). ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ (آل عمران: ٧٥). ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٣). ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ... ﴾ (آل عمران:١٩٩).

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٧). ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

التدافع وفق المنطق الإسلامي لا يعني سوى التعدد، والذي يحفظ التوازن للفرقاء المتباينين، كحركة اجتماعية لا تقضي بنفي الآخر أو استئصاله، بل تعمل على تحويل مواقع الفرقاء في إطار التعددية ليس أكثر

(الأعراف:١٥٩).

وكذا التخصيص بـ(فريق): ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ (آل عمران:٢٣). ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ (آل عمران: ١٠٠). ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ (البقرة:٧٥).

﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ (آل عمران: ٧٨). ﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون. ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ (البقرة:١٠٠-١٠١).

وكذا التخصيص بـ(طائفة): ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون... وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ (آل عمران: ٦٩-٧٢).

إن هذه النصوص لتمثل التجسيد الفعلي لتوجيهات قرآنية عديدة تأمر بالعدل مع الآخر حتى مع وجود بُغض أو كراهية له، فلا ينبغي أن يؤثر ذلك في مبدأ العدل إذ هو قيمة مطلقة:

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ (المائدة: ٨). ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ (الأنعام: ١٥٢).

ولقد جسد النبي محمد ﷺ هذا المنهج مع الآخر في سيرته، ومن ذلك:

قوله ﷺ لأصحابه - حين رأى ما يصيبهم من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكان من الله ومن عمه أبي طالب -: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه»[١٩]

لقد قال النبي ﷺ ذلك قبل أن يسلم النجاشي، ناهيك من مدحه لأهل الحبشة حين وصفهم بأهل الصدق، وهم غير مسلمين بطبيعة الحال.

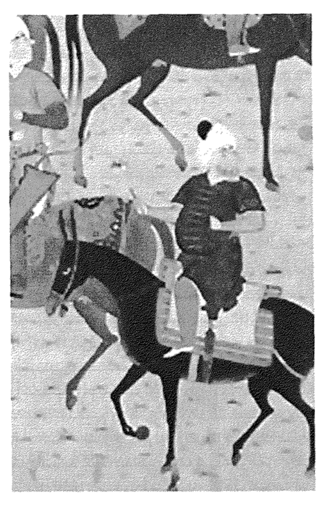
وها هو ذا ﷺ يخاطب ملوك العالم وحكامه بأوصافهم وألقابهم المعروفة عند أممهم وأقوامهم بما فيها من معاني التشريف والعظمة:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى[٢٠].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس كذلك أن رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى، ليدفعه إلى قيصر... [٢١].

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس أيضًا أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال فقرأه (أي هرقل) فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم.... [٢٢].

ويغير النبي ﷺ حُكم الغيْلة، [٢٣] الذي كان شائعًا في البيئة العربية، مستندًا في ذلك إلى فعل الروم وفارس، حيث ثبت أنه لا يضر أولادهم كما تروي ذلك عائشة -



رضي الله عنها - فتقول: حضرت رسول الله ﷺ في أناس وهو يقول: «لقد هممتُ أن أنهى عن الغيْلة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغيْلُون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئًا»[٢٤].

**سابعًا: التعايش لا الصراع:**

ومن الأسس التي تستند إليها فلسفة التربية الإسلامية في نظرتها إلى الآخر: إيمانها بالتعايش الإنساني بين الأديان المختلفة والحضارات المتباينة، وإذا كان الباحث قد أشار إلى هذا المعنى المتعلق بالتعايش من حديثه عن الأساس الأول، حيث التعارف والتعاون، فإنه في هذا المقام يود أن يشير - وإن بتوسُع أكثر - إلى أن فلسفة التربية الإسلامية لا تؤمن بمنطق الصراع الحضاري كحتمية تتبناها وتسعى لتطبيقها وفقًا لإيمانها بها قانونًا بين البشر. ولكن يجب تحرير النزاع حول مسألتين جوهريتين في هذا السياق:

**الأولى:** مسألة التدافع الحضاري كسنة كونية تحكم الوجود، فهذا أمر يقرره القرآن الكريم: ﴿ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ولَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:٢٥١). ﴿ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠).

وهذا المعنى هو الذي عبر عنه علماء الاجتماع بالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأمثل، وذلك بإشارة الآيتين الكريمتين إلى أن ما فطر عليه الناس من مدافعة بعضهم بعضًا عن الحق والمصلحة هو المانع من فساد الأرض. أي أنه سبب بقاء الحق وبقاء الصلاح. وهو ما يدل على أن مظهر التدافع والتنازع من أجل البقاء والدفاع عن الحق يقتضي في مآله بقاء الأمثل وحفظ الأمثل.[٢٥]

**الثانية:** مسألة الصراع كحتمية اجتماعية تنفي وجود (ثابت) في الكون وفق المنطق الهيجلي، ومن بعده الماركسي في الفكر والتاريخ والاجتماع، أو الداروينى في العلوم الطبيعية، والنظريات الحديثة لصموائيل هنتنجتون في صراع الحضارات، وفرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ. وبعيدًا عن أسباب ذلك المنطق وملابساته الأوروبية المسيحية الخالصة، فإن التدافع وفق المنطق الإسلامي لا يعني سوى التعدد، والذي يحفظ التوازن للفرقاء المتباينين، كحركة اجتماعية لا تقتضي بنفي الآخر أو استئصاله، بل تعمل على تحويل مواقع الفرقاء في إطار التعددية ليس أكثر[٢٦].

**ومما يدلل على هذا المعنى ويعضده بقوة ما يلي:**

> الآخر ليس جنسًا واحدًا، وإن كثر فيه السوء أحيانًا في زمن ما أو بيئة ما. ولذلك جاء منطق القرآن يقضي بأنهم «ليسوا سواء» وأن المسلم مأمور بالبر والإقساط إلى المسالمين من غير المسلمين

* إن المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهية في صدر الإسلام وبعده تعايش مع غير المسلمين من أهل الكتاب وعدهم أهل ذمة لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

* إن الإسلام لم يشرع الجهاد وفق قول جمهور الفقهاء - إلا لحماية بيضة الإسلام، ودرء الحرابة، وقمع الفتنة، وليس للقضاء على الكفر. وقد تتبع أحد الباحثين جميع آيات القرآن التي جاءت في «الإذن» بالقتال، و«الأمر» به و«إيجابه» و«الحض التحريضي» عليه، فوجدها جميعها في هذا الإطار لا تتعداه.[٢٧] كما تتبع آخر النصوص القرآنية الواردة في الدلالات السياسية والأيديولوجية للولاء والبراء فخلص إلى أن الولاء والبراء منوطان بحالتي السلم والحرب،إذ الأصل هو التعايش في حال السلم، والاستثناء هو التناحر في حال الحرب[٢٨].

* إن التدقيق في الآيات الكريمة التي سبقت في الأساس السادس، تلك التي حرصت على الدقة والتخصيص، وعدم الوقوع في التعميم والإطلاق، حين جاءت بألفاظ (كثير) و(من) و(فريق) و(طائفة) لتؤكد أن الآخر ليس جنسًا واحدًا، وإن كثر فيه السوء أحيانًا في زمن ما أو بيئة ما، ولذلك جاء منطق القرآن يقضي بأنهم «ليسوا سواء» وأن المسلم مأمور بالبر والإقساط إلى المسالمين من غير المسلمين مصداقًا لقول الله: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨). وقد قال شيخ المفسرين الطبري (ت: ٣١٠هـ) في تفسير الآية: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم

يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم. إن الله - عز وجل - عمّ بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ (الممتحنة: ٨) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن لأهل الحرب ممن بينهم وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينهم وبينه ولا نسب - غير محرم، ولا منهي عنه، إذا لم يكن في دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، وقد بين صحة ما قلناه، في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها [٢٩].

ولذلك فالإنصاف المشار إليه في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يعني أن الله يحب المنصفين، الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرُون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم[٣٠].

أما النهي فموجه نحو أولئك الذين يؤمنون بحتمية الصراع الحضاري،حيث يعتقدون أن لا وجود لهم يتضمن السيادة والهيمنة إلا بالقضاء على المسلمين وحضارتهم، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة:٩).

وتؤكد أحداث السيرة النبوية المعنى العملي لفلسفة التربية الإسلامية الحضارية السلمية، إذ إن نسبة الذين اعتنقوا الإسلام في ظل السلام بعد صلح الحديبية بلغت ستين ضعفًا، مقارنة بمن اعتنق الإسلام قبلها. حيث لم يكن قد بلغ عدد المسلمين إلى صلح الحديبية أكثر من ألف وخمس مئة مسلم خلال تسع عشرة سنة قبل ذلك الحدث، في حين بلغوا بعد الصلح ومُضي ما لا يزيد عن سنة ونصف من يوم الحديبية عشرة آلاف من المسلمين، وما ذلك إلا لأنه قد أتيح للمسلمين عرض دعوتهم، وتوفرت للعرب فرصة التعرف على الإسلام حتى وصل إلى المدينة من لم يكن قادرًا على الوصول إليها قبل ذلك[٣١].

ومما يلاحظ في تاريخ الصراع بين المسلمين والكافرين ظاهرتان هامتان [٣٢]:

**الأولى**: كلما كان المشركون في مركز القوة فإنهم يعلنون الحرب المادية ضد المسلمين، بهدف منع الناس من الدخول في الإسلام، وإجبار من أسلم منهم على مفارقته.

**الثانية**: كلما كان المسلمون في مركز القوة فإنهم يعلنون الحرب المادية ضد الأنظمة الطاغوتية الحاكمة، لتحرير شعوبها المغلوبة على أمرها من هيمنة تلك الأنظمة، لتقرر بنفسها حقها في قبول الإسلام أو رفضه، ولكن بدون ضغط أو إكراه. ولعل الفارق الأساس بين الحالتين هو أنه في الحالة الأولى يتم تطبيق مبدأ الصراع الحضاري بوصفه حتميًا وقطعيًا، أما الحالة الثانية فإنه سعي مشروع لتحرير المقهورين من ربقة الظلم والطغيان الذين يحولون بين الأفراد في تقرير حرياتهم ومصيرهم، دون أن يعني ذلك قتالاً لغير المسلم بدليل أنه سيقرر ما يعتقده الأصلح لنفسه، ولا يكره على سواه أيًا كان قراره واختياره، وتاريخ المسلمين حافل بالتعايش مع الآخر الذي يعيش في كامل حريته في ظل دولة الإسلام وسلطانها. غير أن ما قد يشغب على هذا الاستخلاص هو الفهم الظاهري لمدلولات بعض النصوص القرآنية من مثل فهم بعضهم للآيات التالية، وأنها تفيد حتمية الصراع: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: ١٠٥). ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥). ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠).

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

وتؤكد أحداث السيرة النبوية المعنى العملي لفلسفة التربية الإسلامية الحضارية السلمية . إذ إن نسبة الذين اعتنقوا الإسلام في ظل السلام بعد صلح الحديبية بلغت ستين ضعفًا . مقارنة بمن اعتنق الإسلام قبلها

(النســاء: ٨٩). ﴿ولا يزالون يُقاتلونكُمْ حتَّىٰ يردُّوكُم عن دينكُمْ إن استطاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧).

ويرى البـاحث أن يشـرع في مناقـشـة مـدلول الآيات الثلاث السـابقة من سورة البقرة التي تتحدث عن أهل الكتاب، ثم يرجع إلى الآيتين الأوليين من سورتي البقرة والنساء مع ما في الآية الأولى (البقرة:١٠٥) من إشارة إلى المشركين تفيد أن سنة الله - تعالى - قضت بأن يظل ناموس الخلاف والتدافع - وليس الصراع بمفهومه الهيجلي أو الماركسي أو الدارويني - مستمرًا بحيث تتعدد ديانات الخلق ومللهم، كما تتعدد لغاتهم وأجناسهم وألوانهم، وأنه لا يمكن أن تتحد هذه الديانات، على معنى أن تعلن تخليها عن أديانها كلية لتذوب جميعها في دين الإسلام الخاتم بمفهومه الاصطلاحي. ولكن هل هذا يقتضي الصراع وحتمية الحرب بين أهل الأديان؟ إذًا لماذا شرع الإسلام أحكام أهل الذمة ومن في حكمهم؟ ولماذا نهى عن قتل النساء والصبيان والعباد والزراع وكل من لم يحمل السلاح ضد المسلمين رغم أنهم كفار جميعًا؟ ولماذا جاء كثير من الآيات القرآنية مستثنية بعضهم من السوء، كما مرت بنا الآيات قبلاً؟ بل إن القرآن - وهو يصف المعادين ميز بالجملة بين المخالفين من أهل الديانتين: اليهودية والنصرانية وكذا المشركين حيث قال - تعالى -: ﴿لتجدنَّ أشدَّ النَّاس عداوةً لِّلَّذين آمنُوا اليهُود والَّذين أشركُوا ولتجدنَّ أقربهُم مَّودَّةً لِّلَّذين آمنُوا الَّذين قالُوا إنَّا نصارىٰ ذلك بأنَّ منهُمْ قسِّيسين ورُهْبانًا وأنَّهُمْ لا يسْتكْبرُون﴾ (المائدة: ٨٢).



وليس دقيقًا ما ذهب إليه أحد المفسرين المعاصرين[٣٣] حين بالغ في التشنيع على مخالفيه في تفسير هذه الآية على ظاهرها، فراح يؤكد أن النصارى الأقرب مودة للذين آمنوا هم فئة محدودة من الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ فغدوا مسلمين خالصين ولذلك كان ثناء الآية! مستدلاً بالآية التي تليها وهي قوله سبحانه ﴿وإذا سمعُوا ما أُنزل إلى الرَّسُول ترىٰ أعْيُنهُمْ تفيضُ من الدَّمْع ممَّا عرفُوا من الْحقّ يقُولُون ربَّنا آمنَّا فاكْتُبْنا مع الشَّاهدين﴾ (المائدة:٨٣).

والواقع أن الآية إنما تتحدث عن حجم عداوتين ميزت بينهما بصيغتي مفاضلة هما: «أشد» و«أقرب». ولا يعقل بأي مقياس بأن تتحول طائفة من أهل دين ما إلى دين آخر - هو الإسلام - ليصبحوا مسلمين خالصين بحسب ما ذهب إليه المفسر المشار إليه آنفًا، ثم ما برح الوصف بـ«أقرب» قائمًا ملازمًا. فهذا اللفظ إنما يشعر صراحة ببقائهم على دينهم، بيد أن عدالتهم وإنصافهم حين استمعوا إلى المنصفين من علمائهم دفعت بهم للاعتراف برسالة محمد ﷺ وأنها امتداد لدعوة عيسى - عليه الصلاة والسلام -. وهذا لا يقتضي منهم بالضرورة إعلان تخليهم عن النصرانية واعتناقهم الإسلام، فلا يزال دأب المنصفين أن يتأثروا بما عند غيرهم من الحق وإن لم يتابعوه كلية أو نهائيًا أحيانًا، ولذلك جرت مقولة: «والحق ما شهدت به الأعداء». ومن هنا كان عام الحُزن هو العام الذي توفي فيه أبو طالب بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ رغم عدم ثبوت إسلامه بالسند الصحيح. وكان وصف النبي ﷺ للنجاشيُ ملك الحبشة بأنه ملك عادل لا يظلم عنده أحد، وذلك قبل أن يسلم. ولذلك لا غرابة أن يوصف بعض النصارى بـ«الأقرب مودة للذين آمنوا» مع بقائهم على دينهم ومعتقدهم، ولنتذكر بأن الآية لم تعمم الحكم ولكن قالت: «ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون».

ومن جانب آخر كيف يقال إن هذا الوصف

خاص بفريق محدود آمن بالإسلام من النصارى، ثم لا يوصف الفريق الآخر الذي آمن بالإسلام من اليهود من أمثال عبدالله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما أيًا ما اختلفت النسبة بين الفريقين؟ فالحديث هنا في معرض فئة محدودة أسلمت ولم تعد معتنقة لدينها أو هكذا قيل!

والسؤال إذًا: هل المسألة انطباعية لا معيار فيها ولا ضابط، أم أنه التأثر البليغ بفترات الصراع التاريخي والمعاصر بين المسلمين والصليبيين، ذلك الصراع الذي ترك بصماته واضحة على نفوس وأفئدة فقهاء ومفسرين ومؤرخين ـ مع الأسف ـ؟!

وفي سياق التعليق على تلك الآيات الثلاث آنفة الذكر من سورة البقرة يود الباحث الإيماء إلى أن عدم إيمان أهل الكتاب أو سواهم بدين الإسلام، أو عدم حمل ود لحصول خير ينال المسلمين من ربهم، أو أن عدم رضاهم التام عن المسلمين حتى يتبع المسلمون ملتهم، ذلك كله لا يعني ضرورة الصراع الحضاري وحتميته، فإذا كان ثمة أديان متعددة فمن السنن الجارية أن يقع ـ ضمن ما يقع ـ قدر من الاختلاف والتنازع والتدافع، لكنه ليس الصراع المادي الهيجلي أو الماركسي أو الدارويني بالضرورة، وعدم الرضا مثلاً لا يعني أن نتيجته الحتمية هي الحرب فلا يزال الأب الحنون أو المعلم المخلص أو الأخ الأكبر أو الصديق الوفي غير راض أي منهم عمن استُرعي شأنه حتى يتابعه في توجيهاته ونصحه ومسلكه، لكن عدم تحقق ذلك لا يعني ضرورة الانتقال من الحنان أو الإخلاص أو الوفاء إلى عكس هذه المعاني!

وملحظ آخر في هذه الآيات التي قد يشعر ظاهرها بالاستغراق والعموم، حيث جاء ذكر «أهل الكتاب والمشركون واليهود والنصارى» بدون تقييد بصيغة من صيغ التبعيض كما في الآيات التي مرت بنا فيما سبق، فهل يعني ذلك خروجًا عن تلك القاعدة هنا؟

الحق أن منْ يُنعم النظر في أسلوب القرآن الكريم فسيخلص إلى أنه يخاطب «البعض» ثم يعود بعد ذلك ليخاطبه بصيغة «الكل» من غير أن يعني بذلك استغراق «الكل» حقيقة. وعلى



سبيل المثال فإن قوله ـ تعالى ـ في هذه الآية: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: (١٢٠) من هذا القبيل، إذ إن متابعة الآية من بداية السياق في الآية (١٠٠) من السورة نفسها وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم... ﴾ يؤكد هذا المعنى.ثم نجد القرآن تارة أخرى يخاطب «الكل» وهو لا يقصد سوى «البعض» ومن هذا القبيل قوله ـ تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٩). ولو تابع الباحث القراءة بدون فاصل أو توقف لألفى الآية التي تليها تخصص فريقًا من أهل الكتاب هم المعنيون بالإطلاق السابق: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إن تُطيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠).

ومن المقطوع به أن قوله تعالى في مثل هذه الآيات: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

أو قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ١١٣). أو قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ...﴾ (المائدة: ٦٤). هذه الآيات وما في معناها لا تدل على أن جميع أفراد اليهود أو النصارى قد قالوا ﴿لن يدخل الجنة......﴾الآية أو ﴿ليست النصارى.......﴾ الآية أو ﴿يد الله...﴾ الآية. كيف وقد ذُكر بعضهم في معرض الثناء كما تقدم. فهذا إذًا من المجاز العقلي بداهة، ويحمل المعنى على ما قاله كبراؤهم وغلاتهم أو نحو ذلك. فهذا أسلوب بلاغي عربي مألوف لا إشكال فيه، وهو كذكر عموم اليهود أو النصارى في الآيات الثلاث التي نحن بصدد الحديث عنها، على حين أن المقصود ليس سوى بعضهم حملاً لهذه الآيات على الآيات الكثيرة الأخرى المخصصة أو المقيدة أو المبينة. ومن ذا الذي فهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ...﴾ (آل عمران: ١٧٣) أن جميع الناس قد قالوا لهم ذلك. فالناس الذين قالوا إنما هو أعرابي من خزاعة [٣٤] أو نعيم ابن مسعود. أو إنهم ركب عبد القيس أو المنافقون. وقد أطلق عليهم لفظ الناس لكونهم من جنسهم[٣٥]. أما الناس الذين جمعوا لهم فهم أبو سفيان بن حرب [٣٦]. وهذا شبيه بقول النبي محمدﷺ فيما يرويه عنه ابن عمر- رضي الله عنهما -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله......»[٣٧].

الحديث. فقد حُمل لفظ « الناس» في الحديث على المشركين من غير أهل الكتاب لعموم الأدلة التي تميز بين عدم مقاتلة أهل الذمة أو مؤدي الجزية والمعاهدين، وبين المشركين وغيرهم[٣٨]. وهكذا ينبغي حمل الألفاظ العامة في حق أهل الكتاب أو اليهود أو النصارى أو سواهم.

هذا عن الآيات الثلاث في سورة البقرة أما الآيتان الأخريان من سورتي البقرة والنساء وهما قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧). وقوله - سبحانه - ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾ (النساء:٨٩). فالأمر لا يستأهل أكثر من إعمال نظر كلي مباشر في الآيتين، وفق قراءة سياق من بداية الآيتين وستتبين خصوصيتهما بفئتين من الناس هما: المشركون والمنافقون في ذلك الحين، بحيث تنطبقان على كل من حمل صفات تينك الفئتين في أي عصر ومصر، ولكن دون أن تستغرق جميع غير المسلمين، لأنهما وردتا في سياق خاص فلا يُحملان على غير من وردتا في حقهما. فآية سورة البقرة خاصة بكفار قريش وحدهم، وذلك حين حرصوا على إرجاع من أسلم منهم وفارق دين آبائه من بني قومهم إلى دين قريش وملتهم، باذلين في سبيل ذلك ما وسعهم. اقرأ الآية من البداية حيث تقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧).

أما الآية من سورة النساء فقراءتها من بداياتها وفق قراءة السياق ستبين أن الحديث خاص بالمنافقين الذين تخلفوا في غزوة أحد حتى صار المسلمون فئتين: فئة ترى قتلهم، وفئة لا ترى ذلك، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا. وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٨-٨٩).

وصفوة القول في أمر الصراع الحضاري بالنسبة للإسلام وفق خطاب القرآن الكريم يتجلى في مستويين:[٣٩]

**المستوى الأول:** خطاب القرآن عن نظرته إلى الآخر من منطلق الاعتراف الكامل بذاتيته، وكينونته المستقلة، وحقه في إقامة الحضارة التي يتمحض اختياره المطلق في إقامتها، شريطة عدم تعديها لحدودها، أو تجاوزها إلى حقوق الآخر وحدوده.

**المستوى الآخر:** خطاب القرآن الإخباري عن الآخر في حرصه على إغواء المسلمين بشتى الوسائل ومختلف الأساليب، وإصراره على ذلك، ولكن هذا مقيد بفريق من الكافرين، أو حتى بأغلبيتهم في زمن النبي ﷺ دون أن يعني ذلك استغراقًا لكل المخالفين بالضرورة في كل زمان ومكان. ودون أن يعني ذلك موقفًا ترتضيه فلسفة التربية الإسلامية كذلك.

## الهوامش

(١) راجع ذلك في: أحمد محمد الدغشي، الإسلاميون وأزمة الانتماء، ورقة عمل مقدمة لندوة الأصوليات الدينية وحوار الحضارات المنعقدة في صنعاء في الفترة من ١٢-١٦ حزيران / يونيو ٢٠٠٢م، مجلة الموقف، العدد (٢٨)، صنعاء: المركز العام للدراسات والبحوث الإصدار، ص٥٦- ٥٧.

(٢) الحديث قال عنه ابن الوزير: «هو حديث مشهور صححه ابن عبد البر وأحمد بن حنبل»، وحكم عليه ابن الوزير بعد ذلك بالصحة أو الحسن على الأقل، راجع: محمد بن إبراهيم الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ط الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج ١ ص٣٠٨ - ٣١٢.

(٣) راجع: مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ١٩٩٥م ط الأولى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩.

(٥) ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين (ترجمة عطا عبدالوهاب)، ١٩٨٧م، ط الأولى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص٩٧- ١١٠.

(٦) إياد القزاز، صورة الوطن العربي في المدارس الثانوية الأمريكية، ١٩٨١م، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٦)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص٢٣-٣٨.

(٧) المرجع السابق، ص٣٧.

(٨) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٩) راجع: مجموعة من الكتاب والباحثين، صورة العرب في مناهجهم الدراسية: من يغيرها: نحن أم هم؟ ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير ٢٠٠٣م، مجلة المعرفة، العدد (٩٣)، الرياض، وزارة المعارف، ص٨-٩٩.

(١٠) راجع الأساسين الأولين في: فيصل مولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط الثانية، بيروت: دار الرشاد الإسلامية، ص٩-١٧.

(١١) راجع نص الوثيقة في ابن هشام، السيرة النبوية (تحقيق وضبط: مصطفى السقاء ورفاقه)، د.ت، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٢ ص١٤٧-١٥٠. ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط الرابعة، بيروت: دار النفائس، ص٥٩-٦٢.

(١٢) مسلم، صحيح مسلم (بشرح النووي)، (كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة)، د.ت، د.ط، القاهرة، المطبعة الأميرية ومكتبتها، ج ٧ ص٢٦.

(١٣) المرجع السابق، ج ٧ ص٢٨.

(١٤) أي جنازة كافر من أهل تلك الأرض، انظر النووي، شرح صحيح مسلم، المرجع السابق ج ٧ ص٢٩-٣٠.

(١٥) صحيح مسلم، المرجع السابق، ج ٧، ص٢٩.

(١٦) محمد عمارة، الإسلام والآخر: من يعترف بمن، ومن ينكر من؟ ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ط الثالثة، القاهرة وغيرها: مكتبة الشروق الدولية، ص٧٣.

(١٧) أخرجه أحمد، انظر أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، د.ت، د.ط، القاهرة: دار الحديث. وقال الساعاتي في تخرج هذا الحديث عن الهيثمي: « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » ج ١٢ ص٢٢٦-٢٢٧، رقم الحديث ٤٢٧.

(١٨) ابن حزم، مراتب الإجماع ومعه نقد مراتب الإجماع لابن تيمية ومحاسن الإسلام للبخاري،

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ط الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ص١٢٠.
(١٩) ابن هشام، مرجع سابق، ج ١ ص٣٤٤.
(٢٠) البخاري، صحيح البخاري، (بشرح ابن حجر العسقلاني)، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبدالباقي وإشراف: عبدالعزيز بن باز، (كتاب الجهاد (٥٦) باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه...(١٠١))، د.ت، د. ط، بيروت: دار الفكر، ج ٦ ص١٠٨، حديث ٢٩٣٩.
(٢١) المرجع السابق، (كتاب الجهاد (٥٦)، باب دعاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الناس إلى الإسلام والنبوة.... (١٠٢))، ج ٦ ص١٠٩، حديث ٢٩٤٠.
(٢٢) مسلم، مرجع سابق، (كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -) ج ١٢ ص١٠٧.
(٢٣) الغيلة تعني: رضاع الطفل من أمه الحامل، أو مجامعة الرجل امرأته وهي حامل. انظر: النووي، مرجع سابق، ج ١٠ ص١٦.
(٢٤) مسلم، مرجع سابق، (كتاب النكاح، باب جواز الغيلة)،ج ١٠ ص١٦-١٧.
(٢٥) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، د.ط، بيروت: دار المعرفة، ج ٢ ص٤٩٧، انظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ١٩٨٤م، د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ج ٢ ص٥٠٠، وسيد قطب، في ظلال القرآن، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الشرعية السادسة عشرة، القاهرة وبيروت: دار الشروق، المجلد الأول، ج ٢ ص٢٧٠- ٢٧١.
(٢٦) محمد عمارة، إسلامية المعرفة، د.ت، د.ط، القاهرة: دار الشرق الأوسط، ص٦٣- ٦٥، والغزو الفكري وهم أم حقيقة؟، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ط الثانية، القاهرة وبيروت: دار الشروق ص١٢١- ١٢٥.
(٢٧) محمد عمارة، الإسلام والآخر، مرجع سابق، ص٥٦.
(٢٨) عبدالرحمن حللي، الدلالات السياسية والأيديولوجية للولاء والبراء في القرآن الكريم، ٧ شوال، ١٤١٧هـ - ٢٤/ ٢/ ١٩٩٧م، صحيفة المستقلة، العدد (١٤٦)، لندن: دار المستقلة للنشر.
(٢٩) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ط الثانية مصر: شركة ومطبعة الحلبي وأولاده، ج ٢٨ ص٦٦.
(٣٠) المرجع السابق، ج ٢٨ ص٦٦.
(٣١) فيصل مولوي، مرجع سابق، ص١٩-٢٠.
(٣٢) المرجع السابق، ص٢٠-٢١.
(٣٣) سيد قطب، مرجع سابق، المجلد الأول، ج ٧ ص٩٦٢- ٩٦٧.
(٣٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، د.ط، بيروت: دار الفكر، ج١ ص٤٣١.
(٣٥) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، د.ط، بيروت: دار الفكر، ج ١ ص٤٠٠.
(٣٦) المرجع السابق، ج ١ ص٤٠٠، ٤٠١.
(٣٧) البخاري، مرجع سابق،(كتاب الإيمان (٢)، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة...(١٧))، ج١ ص٧٥، حديث ٢٥.
(٣٨) راجع التفصيل في: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١ ص٧٧.
(٣٩) أحمد محمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ط الأولى، عمان ودمشق: المعهد العالي للفكر الإسلامي ودار الفكر.

شركات البرمجة الحاسوبية الهندية نموذج في نقل التقنية وتوطينها

# هل نمتلك «خطة» لإيجاد مجتمع «المعرفة»؟

سعد علي الحاج بكري - الرياض

**ليست** المعرفة أو مجتمع المعرفة إبداعًا جديدًا يخص هذا العصر فقط، دون غيره من العصور السابقة، بل إن المعرفة قديمة قدم الإنسان، كما أن مجتمع المعرفة يعود في جذوره إلى أول مجتمع بناه الإنسان. فالإنسان بالتكوين الذي منحه الله إياه قادر على ملاحظة «الحقائق»، والحقائق معارف، وهو مفطور على تكوين «الأفكار والنظريات وأساليب العمل»، والأفكار والنظريات وأساليب العمل «معارف»، وهو متمكّن من تلقي الحقائق والأفكار والأساليب، واستخدامها واستخلاص «النتائج والقرارات والتوجهات» والعمل على تنفيذها والاستفادة منها، والنتائج والقرارات والتوجهات أيضًا معارف. وقد تراكمت معارف الإنسان على مدى العصور، وراحت الحضارات تنقل عن سابقاتها، وتضيف إليها المزيد، حتى جاءت العصور الحديثة لتقدم قفزة معرفية كبيرة ليس فقط في «زيادة» المعارف كمًا، أو في «تطويرها» نوعًا، بل في «طرق» التعامل معها، من خلال التقنيات الرقمية التي تسمح بتخزينها والتعامل معها بسهولة، وتتيح نقلها ونشرها على نطاق واسع بسرعة وفاعلية.



وقد أدت القفزة المعرفية التي نشهدها اليوم إلى بروز معطيات جديدة للمجتمعات الإنسانية، لم تعرفها المجتمعات السابقة. وهكذا برز تعبير«مجتمع المعرفة» بحلة جديدة حاملاً هذه المعطيات في صفاته، ومتطلعًا أيضًا إلى تعزيز الإمكانات المعرفية، والعمل على الاستفادة منها في تطوير المجتمعات الإنسانية. ولعل من أبرز أمثلة الاهتمام بمجتمع المعرفة ما يقوم به الاتحاد الأوربي في هذا المجال[1]، ففي مؤتمر القمة الأوربي الذي عُقد في لشبونة عام ٢٠٠٠م، اتخذت قرارات لدعم التوجه نحو بناء هذا المجتمع وتطويره والاستفادة من معطياته[2]. وعلى المستوى العربي فإن من أبرز أمثلة هذا الاهتمام التقرير الثاني للتنمية الإنسانية العربية الذي صدر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، والذي حمل شعار «نحو إقامة مجتمع

المعرفة»[٣].

**التعريف بمجتمع المعرفة**

إذا حاولنا وضع تصور منطقي بسيط لتسلسل «دورة المعرفة» فإننا نجد أن لهذه الدورة ثلاث محطات رئيسة، تبدأ من محطة «توليد المعرفة»، حيث تنطلق المعرفة من التفاعل بين الحقائق والمعارف المتوفرة من جهة، وبين عقل الإنسان وقدرته على التفكير والإبداع من جهة أخرى. ولاشك أن العطاء المعرفي لهذا التفاعل محكوم بالبيئة المحيطة به. فالبحث العلمي، الذي يُعتبر من الأمثلة الهامة لهذا التفاعل، يحتاج إلى بيئة علمية مناسبة كي يُعطي العطاء المعرفي المأمول. وينطبق هذا أيضًا على نواحي الإبداع المعرفي المختلفة الأخرى.

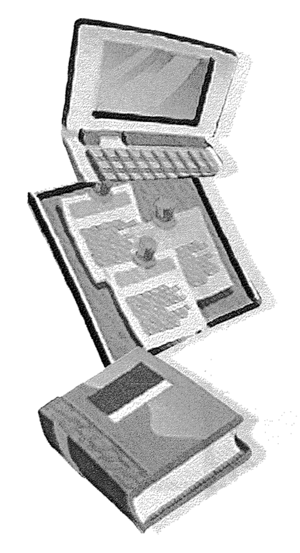
أما المحطة الثانية، في دورة المعرفة، فهي محطة «نشر المعرفة» المتوفرة. وكما يحتاج جسم الإنسان إلى الغذاء بمختلف أصنافه، فإن عقل الإنسان يحتاج إلى المعرفة بشتى أنواعها. وعلى ذلك فإن ضرورة اكتساب المعرفة بالنسبة للإنسان تماثل ضرورة الحصول على الغذاء، بل إن الحصول على الغذاء بات مرتبطًا باكتساب المعرفة واستخدامها في المهن المختلفة، والاستفادة منها في تأمين الدخل، من أجل الحصول على المتطلبات.

وهنا نأتي إلى المحطة الثالثة من محطات دورة المعرفة، ألا وهي محطة «استخدام المعرفة». فبقدر استخدام المعرفة في تنظيم الأعمال وتسخير الوسائل، وحل المشكلات تكون كفاءة الأعمال ويكون مردودها وفوائدها المرجوة. فقوة المعرفة تأتي من توظيفها بكفاءة في شؤون الحياة، فبدون هذا التوظيف تبقى المعرفة شكلاً جميلاً تنقصه الروح، التي تبث به الحياة.

وتغذي محطات دورة المعرفة بعضها بعضًا، فنشر المعرفة، وكذلك استخدامها، يُؤديان إلى ظهور مصادر جديدة لتوليدها. وتوليد المعرفة إضافة يُطلب نشرها والاستفادة منها. كما أن توظيف المعرفة والاستفادة منها على نطاق واسع، لا يتم دون نشرها، وجعلها متاحة للجميع.

ولا شك أن للبيئة (التي تعمل دورة المعرفة في إطارها)، تأثيرًا كبيرًا على حيوية دورة المعرفة في توليدها ونشرها وتوظيفها. وتختلف معطيات هذه البيئة باختلاف الزمان والمكان. ولعل من أهم ميزات بيئة هذا العصر ما وصلت التقنية الحديثة إليه من تقدم بشكل عام، وما وصلت إليه تقنيات المعلومات من تقدم وسعة انتشار بشكل خاص. وهناك بالطبع، بالإضافة إلى التقنية، معطيات أخرى للبيئة، ترتبط بالمكان وبعوامل أخرى.

وتقدم التقنية الحديثة بشتى أشكالها، قاعدة انطلاق متقدمة للتطوير المعرفي تتضمن أساليب ووسائل جديدة، لم تكن معروفة من قبل، لتوليد المعرفة ونشرها وتوظيفها. وتعطي تقنيات المعلومات وسائط متجددة وغير مسبوقة لتخزين المعلومات وتنظيمها مهما كان حجمها، ولمعالجتها ونقلها



بسرعات كبيرة، مهما تباعدت المسافات. ومن خلال ذلك تُقدم تقنيات المعلومات وسائل جديدة، يمكن من خلال توظيفها بالشكل المناسب المساهمة في دعم البحث العلمي وتوليد المعارف، وتعزيز التعليم والتدريب ونشر المعارف، وتوسيع دائرة الإعلام وتوصيل المعلومات، وزيادة الكفاءة الإدارية لمختلف المؤسسات والأعمال في شتى المجالات. ولنا في هذا الإطار أمثلة كثيرة تشمل أنظمة نشر وتبادل المعلومات عبر الإنترنت، وأنظمة التعليم إلكترونيًا، إضافة إلى أنظمة التجارة الإلكترونية، والحكومة الإلكترونية وغيرها.

إن مجتمع المعرفة في هذا العصر هو المجتمع الذي يهتم بدورة المعرفة ويوفر البيئة المناسبة لتفعيلها وتنشيطها وزيادة عطائها، بما في ذلك البيئة التقنية الحديثة بشكلها العام، وبيئة تقنيات المعلومات على وجه الخصوص، بما يساهم في تطوير إمكانات الإنسان، وتعزيز التنمية، والسعي نحو بناء حياة كريمة للجميع. وعلى الرغم من أن هناك مؤشرات وإحصائيات كثيرة ترتبط بالمعارف والتقنية يجري استخدامها في الدراسات المختلفة، خصوصًا تلك التي تتبناها الدول أو المؤسسات الدولية، فإنه لا يوجد بعد اتفاق على تعريف موحد، ومعتمد دوليًا، لمجتمع المعرفة (يحدد مدى اقتراب مجتمع من المجتمعات من كونه مجتمعًا معرفيًا أو ابتعاده عن ذلك) ناهيك من مقاييس ومؤشرات معتمدة لهذا المجتمع[٤]. ولعل ما طرحه هذا المقال فيما سبق محاولة من محاولات طرح الموضوع، نأمل أن تقترن مستقبلاً بالمقاييس والمؤشرات المناسبة.

**المعرفة وجوانبها العلمية والتقنية**

لعل أشهر تعبير عن طيف المعارف هو التقسيم العشري للمعرفة الذي قدمه «ميلفيل ديوي» عام ١٨٧٣م. وقد استُخدم هذا التقسيم في تنظيم المكتبات، ولا تزال معظم مكتبات العالم تعتمد هذا التقسيم. ويجري دوريًا، كل أربع سنوات، وضع إضافات فرعية لهذا التقسيم تبعًا لتطور المعارف، دون الإخلال بالأقسام الرئيسة العشرة التي اقترحها ديوي.

وتشمل أقسام المعرفة العشرة: المعارف العامة التي باتت تشمل علوم الحاسوب؛ والفلسفة وعلم النفس؛ والعلوم الدينية؛ والعلوم الاجتماعية بما في ذلك العلوم الاقتصادية؛ واللغات الإنسانية؛ والعلوم الطبيعية والرياضيات؛ والعلوم التطبيقية، بما في ذلك العلوم الهندسية المختلفة والإلكترونيات؛ والفنون بشتى أشكالها؛ والآداب والبلاغة؛ والجغرافيا والتاريخ. وبالطبع لا يتصف أي قسم من هذه الأقسام بالاستقلالية الكاملة، بل هناك تداخلات بين هذه الأقسام، لأن الفكر الإنساني لا يعترف بالحدود، بل يمد نظره في جميع الاتجاهات. لكن هذا التقسيم يسمح بتنظيم المعارف ويصنفها تبعًا لاقترابها من أقسامه الرئيسة العشرة وتفرعاتها الكثيرة.

ويُنظر إلى معارف العلوم المختلفة، المرتبطة بالتطبيقات التقنية، على أنها تنقسم إلى قسمين: قسم يهتم بمعرفة «لماذا»، وقسم آخر يُركّز على معرفة «كيف». ويُقصد بمعرفة لماذا «العلوم الأساسية» التي تشمل الأسس والاكتشافات والنظريات العلمية، بينما يُقصد بمعرفة كيف «العلوم التطبيقية» التي تستفيد من العلوم الأساسية في تصنيع منتجات تقنية، أو تقديم خدمات تقنية مفيدة. وفي سبيل توليد كل من معرفة لماذا؟ ومعرفة كيف؟، تهتم الدول والمؤسسات التقنية بالبحوث في كل من العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية. وإذا كانت العلوم التطبيقية تستند إلى العلوم الأساسية، فإن البحوث في المجالات التطبيقية، كثيرًا ما تقدم معارف في

■ إنتاج البرامج وأنظمة المعلومات الحاسوبية، يعتمد أساسًا على العمالة المؤهلة بالمعارف والمهارات الرقمية، ولا يتطلب مواد خام، أو رؤوس أموال مرتفعة. وهناك تجارب دولية هامة في هذا المجال ■

العلوم الأساسية. وعلى ذلك، فإن العلاقة بين الاثنتين علاقة تفاعلية تؤثر كل منهما بالأخرى وتتأثر بها.

وليس منظور «كيف؟ ولماذا؟»، هو المنظور الوحيد إلى العلوم المرتبطة بالتطبيقات التقنية، بل إن هناك وجهات نظر في تقسيم معارف هذه العلوم. ومن ذلك على سبيل المثال وجهة النظر التي تربط المعارف بالإنسان والإمكانات المتوفرة، وتقسّمها من خلال ذلك إلى ثلاثة أقسام: «المعارف» و«المهارات» و«القدرات». ولعل هذه الأقسام تمثل الشروط الأساسية لجعل المعرفة، بأشكالها النظرية والتطبيقية، وسيلة للعمل والإنتاج والتنمية[٥].

**اقتصاد المعرفة والاقتصاد الرقمي**

في إطار الإنتاج والتنمية، يبرز في مجال مجتمع المعرفة تعبيران هامان، باتا متداولين على نطاق واسع، هما تعبير (اقتصاد المعرفة) وتعبير (الاقتصاد الرقمي) إذا أردنا أن نعرّف «اقتصاد المعرفة»، فالبديهي أن نقول إنه «الاقتصاد الذي يبنيه مجتمع المعرفة». في مجتمع المعرفة هذا، كما رأينا سابقًا، تلقى دورة توليد المعرفة ونشرها واستخدامها اهتمامًا خاصًا يُنشّط عطاءها من خلال بيئة مناسبة، تحتل التقنيات الحديثة بشكلها العام، وتقنيات المعلومات على وجه الخصوص، مكانة مركزية فيها. ويساهم ذلك في تطوير إمكانات الإنسان، وتعزيز التنمية، وتأمين حياة كريمة للجميع. وعلى ذلك فإن المعرفة هي محور اقتصاد المعرفة الذي يتضمن ما يلي:

* الاهتمام بالبحث العلمي والإبداع والابتكار بما يُساعد على توليد المعارف المفيدة في شتى المجالات.

* العمل على نشر المعارف من خلال التعليم والتدريب والإعلام من أجل بناء الإنسان الذي يتمتع بالمعارف والمهارات والقدرات التي تمكنه من العمل بفاعلية واقتدار، وتدخل في هذا الإطار مسألتا محو الأمية المعلوماتية، والتأهيل الرقمي المعلوماتي.

* التركيز على ضرورة استخدام المعارف والمهارات والقدرات على أفضل وجه ممكن بما يدعم عطاء المجتمع ويعزز تطوره.

* توفير بيئة تفاعلية مناسبة تحث الإنسان على المساهمة فيما سبق، وتُظهر إمكاناته، وتشجعه على العطاء، وتبرز في هذا المجال ميزة التنوع الإنساني في المواهب والقدرات التي تشمل نواحي علمية تطويرية، وأخرى مهنية تنفيذية، وثالثة اقتصادية وإدارية، وغير ذلك.

* تأمين بنية تقنية مناسبة لا يقتصر اهتمامها على الخدمات الأساسية للمجتمع فقط، بل على الرعاية اللازمة لتحفيز العمل المعرفي، والإنجاز المادي الذي يستند إليه، كما هو الحال فيما يُعرف «بحاضنات التقنية».

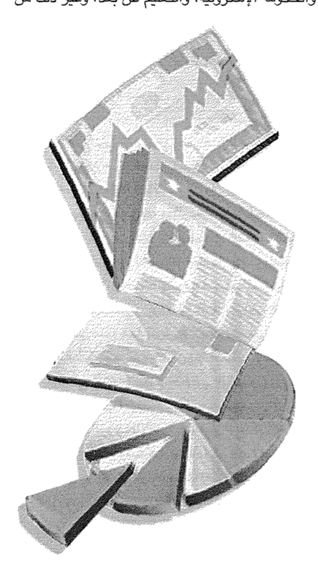
* التركيز، في إطار البنية التقنية سابقة الذكر، على بنية التقنية الرقمية المعلوماتية، بما في ذلك تقنيات الاتصالات والحاسوب والإنترنت.

وإذا أردنا، بعد ما سبق، أن نعرّف «الاقتصاد الرقمي»، فإننا نقول إن هذا الاقتصاد هو ذلك الجزء من اقتصاد المعرفة الذي يختص بكل ما يتعلق بتقنيات المعلومات، التي تُعرف أيضًا بالتقنيات الرقمية. وعلى ذلك فإن تعبير «اقتصاد المعرفة» يستوعب في مضمونه تعبير «الاقتصاد الرقمي»، بمعنى أن اقتصاد المعرفة يتمتع بمدى أوسع. ومع ذلك فإن «اقتصاد المعرفة» بمفهومه المعاصر لا يتحقق دون التقنيات الرقمية، أي دون الاقتصاد الرقمي. فهذا الاقتصاد يمثل قاعدة رئيسة لاقتصاد المعرفة

**انتقال المعرفة العلمية والتقنية، وانتشارها على مستوى العالم، يحمل معطيات جديدة للدول الطامحة إلى التقدم تستطيع الاستفادة منها ودعم التنمية ومنافسة الدول المتقدمة.**

الحديث.

ينطلق الاقتصاد الرقمي من معطيات التقنيات الرقمية. ويشمل ذلك المعطيات المرتبطة باستخدام التقنيات الرقمية، إضافة إلى المعطيات المتعلقة بإنتاجها. في إطار الاستخدام، تنتشر التقنيات الرقمية في شتى مجالات الإنتاج والخدمات، ويعطي استخدامها بالأسلوب المناسب أداءً أفضل، يُحقق مردودًا اقتصاديًا أعلى، يصب عائده في إنجازات الاقتصاد الرقمي. ويشمل الأداء الأفضل عوامل متعددة ترتبط: بسرعة الإنجاز، وخفض النفقات، وتحسين الجودة، وتغيير أساليب العمل نحو الأفضل، إضافة إلى تطوير عوامل أمن الأعمال وسريتها. ومن الأمثلة الهامة لاستخدام التقنيات الرقمية، التي تنتشر حاليًا في شتى أنحاء العالم: التجارة الإلكترونية، والحكومة الإلكترونية، والتعليم عن بُعد، وغير ذلك من التطبيقات.



وفي مجال إنتاج التقنيات الرقمية، لا شك أن التوسع في استخدام هذه التقنيات، والتحديث الذي تلقاه باستمرار، يؤديان إلى جعل سوق هذه التقنيات سوقًا جذابة لتحسين دخل المنتجين. وعلى مستوى الدول فإن الإنتاج «ولو الجزئي منه»، للتقنيات الرقمية يقلل الاستيراد، ويفتح أبوابًا محتملة للتصدير، ويؤمن عمالة للمؤهلين، وتجدر هنا ملاحظة أن إنتاج البرامج وأنظمة المعلومات الحاسوبية، يعتمد أساسًا على العمالة المؤهلة بالمعارف والمهارات الرقمية، ولا يتطلب مواد خام، أو رؤوس أموال مرتفعة. وهناك تجارب دولية هامة في هذا المجال.

**العولمة المعرفية وآثارها**

لم تكن المعرفة في يوم من الأيام قابلة للحجز في مكان من الأماكن في بقعة محدودة من الأرض، بل كانت دائمًا تحمل صفة الانتشار. وحتى إذا تم حجز المعرفة المولدة لفترة ما، لأسباب أمنية أو اقتصادية، كان يأتي اليوم الذي تتحرر فيه من هذا الحجز لتنطلق إلى عقول الناس في أماكن أخرى من العالم. صحيح أن الحصاد الأول للمعرفة المولدة يجنيه في البداية من ولّدها اكتشافًا أو ابتكارًا، لكن ذلك لا يستمر لأن المعرفة تنتشر، ليتناسب حصادها بعد ذلك مع الأقدر على استخدامها الاستخدام الصحيح، والاستفادة منها بشكل أفضل، ومردود أعلى.

ولنا في تاريخ الحضارات أمثلة على ما سبق، فقد كانت الحضارات الأحدث تأخذ من معارف الحضارات الأقدم لتستفيد منها، وتضيف إليها، لتبني بذلك تميزها المعرفي. فليس ما نراه من حولنا من آثار من سبقونا، إلا نتاج تراكم معارف الحضارات السابقة. ولم تكن الحضارات تنقل من معارف الحضارات السابقة فقط، بل كانت تتبادل المعارف مع الحضارات المعاصرة لها، وكان ذلك يأخذ أشكالاً مختلفة بينها التجارة

وتبادل السلع إلى جانب الأفكار والمهارات، وبينها الغزوات والحروب ترافقها أيضًا الأفكار والمهارات.

وقد ساهم التقدم العلمي والتقني في العصور الحديثة بتسهيل نقل المعارف وتبادلها بين الأمم. فقد كان لوسائل النقل ووسائل الاتصالات دور هام في هذا المجال. وفي الوقت الحاضر تساهم شبكات ووسائل الاتصالات والوسائط الحاسوبية والإنترنت، ليس في نقل المعلومات ونشر المعارف فقط، بل في الغزو الثقافي أيضًا، حيث يستطيع الطرف الأقوى نقل ثقافته إلى الأطراف الأضعف بفاعلية أكبر.

ما يهمنا مما سبق، هو انتشار المعارف المفيدة للتقدم العلمي والتقني، على مستوى العالم، ومعطياته الاقتصادية، وليس الغزو الثقافي، الذي يحتاج إلى طرح مختلف، ومعالجة أخرى في كتابات أخرى للمتخصصين في المجالات المرتبطة به. فالمعارف العلمية والتقنية قابلة للنقل والتوطين الذي يفسح المجال أمام احتمالات الإبداع والإضافة. وقد يأتي مثل هذا النقل مدعّمًا من قبل الطرفين المنقول منه والمنقول إليه، وذلك عندما يكون لكل طرف مصلحة في ذلك.

في إطار ما سبق حققت شركات البرامج الحاسوبية الهندية إنجازات متميزة في اتفاقيات بينها وبين شركات مماثلة أمريكية[٦]. فقد وجدت الشركات الأمريكية فرصة لدى الشركات الهندية لإنتاج برامجها الحاسوبية بتكاليف أقل، مع الاحتفاظ بالجودة المطلوبة. ووجدت الشركات الهندية بالمقابل فرصة لتلقي التقنية والعمل على إنتاجها والاستفادة من ذلك في زيادة دخلها. وقد تحققت مصلحة الطرفين بسبب وجود إمكانات بشرية مؤهلة معرفيًا في الهند تكافئ الإمكانات البشرية الأمريكية، وتتميز في ذات الوقت بأن أجورها لا تتجاوز حوالي ربع أجور الإمكانات الأمريكية!

أدى ما سبق إلى زيادة أرباح الشركات الأمريكية، ولكن في الوقت نفسه إلى انخفاض فرص العمل أمام المؤهلين الأمريكيين. وقد أقلق ذلك الاقتصاديين الأمريكيين، وأثار حوارًا ساخنًا بينهم. فعلى سبيل المثال، وضع الاقتصادي الشهير «جاك ولش» المدير السابق لشركة «جنرال إلكتريك»، هذا الأمر في إطار المنافسة المشروعة أمام المستهلك[٧]، بينما حذر مساعد وزير الخزانة الأمريكي السابق «بول روبرتس» من هذا الوضع وخطورته على العمالة الأمريكية [٨]، خصوصًا أن ما تنتجه الشركات الأمريكية في الهند لا يباع فقط في الهند ودول العالم الأخرى، بل داخل أمريكا أيضًا.

ولا يبدو التوجه الأمريكي نحو الهند في مجال البرمجيات الحاسوبية محدودًا بهذه الدولة، أو بذلك المجال، بل إن هناك توجهات أمريكية وأوروبية ويابانية نحو كثير من الدول الآسيوية وبينها الصين في مجالات أخرى كثيرة. ولعل السؤال الذي يخشاه اقتصاديو الدول المتقدمة هو «هل يظل ارتباط الشركات الآسيوية الصاعدة بالشركات الأجنبية بعد

أن يكتمل نقل التقنية وتوطينها فيها، إن لم يكن هناك مصالح جديدة تربطها بها؟» ففك الارتباط هنا يعني ليس فقط فقدان العمالة، بل فقدان الأرباح أيضًا.

وهكذا نجد أن انتقال المعرفة العلمية والتقنية، وانتشارها على مستوى العالم، يحمل معطيات جديدة للدول الطامحة إلى التقدم تستطيع الاستفادة منها ودعم التنمية ومنافسة الدول المتقدمة. وعلى ذلك فإن تعميق الاهتمام بالمعرفة العلمية والتقنية بات متطلبًا رئيسًا للمتطلعين إلى مستقبل أفضل.

### نظرة إلى المستقبل

في هذا المجال تبرز ضرورة الدعوة إلى وضع خطة استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة العلمية والتقنية الذي يهتم بدورة هذه المعرفة، ويوفر البيئة المناسبة لتفعيلها وتنشيطها وزيادة عطائها، بما في ذلك تأمين البيئة التقنية الحديثة بشكلها العام، وبيئة تقنيات المعلومات على وجه الخصوص. ففي ذلك تطوير لإمكانات الإنسان، وبناء لاقتصاد المعرفة، وتعزيز للتنمية، وتطوير للمجتمع. ولاشك أن ذلك ليس بالأمر السهل، بل هو أمر صعب، وربما شاق أيضًا، لكنه ممكن، بل وضروري أيضًا.

المسألة المطروحة هي تفعيل دورة إنتاج ونشر واستخدام المعرفة العلمية والتقنية من خلال بيئة مناسبة. ولاشك أن محور هذه الدورة هو الإنسان كمصدر للعطاء من جهة، وكمقصد للاستفادة من جهة أخرى. في هذا الإطار علينا أن نفهم أولاً الوضع الراهن الذي يحيط بنا. ثم علينا أن نحدد غاياتنا الاستراتيجية، وعلينا بعد ذلك أن نحول هذه الغايات إلى أهداف تفصيلية متدرجة قابلة للتنفيذ. وعلينا أن نضع المشروعات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف، وأن نحدد المهمات وأساليب التنفيذ، إضافة إلى فرق العمل التي ستضطلع بهذا التنفيذ. ولا بد أن يتم ذلك بعقلية مرنة وتعاونية تستجيب للمتغيرات من ناحية، وبمناهج وأساليب إدارية سليمة، وخطوات محددة ومجدولة زمنيًا من ناحية أخرى. ولنا في تجارب الدول، وما خطته من خطوات سابقة، أمثلة نفهم منها نقاط القوة ومصادر الضعف في مسيرتها، كي تتمتع مسيرتنا بالكفاءة والنجاح المنشود، والتوفيق من عند الله عز وجل. ■

## المراجع


1- http:europa.eu.int/comm./employment_social/knowledge_society/index_en.htm

٢- سعد الحاج بكري، المعلوماتية والمستقبل، مؤسسة اليمامة، كتاب الرياض ١١٣، أيار (مايو)، ٢٠٠٣م.

٣- تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢م: نحو إقامة مجتمع المعرفة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي، المكتب الإقليمي للدول العربية، ISBN: 92-1-626000-9

4- Bakry SH. Toward the development of a standard e-readiness assessment policy. International Journal of Network Management 2003; 13(2): 129-137.

5-Pyzdek T. The Six Sigma Handbook; McGraw-Hill: New York, 2003.

6-Business Week special report: Software: will outsourcing hurt America's supremacy, European Edition, March 1, 2004, pp. 52-62.

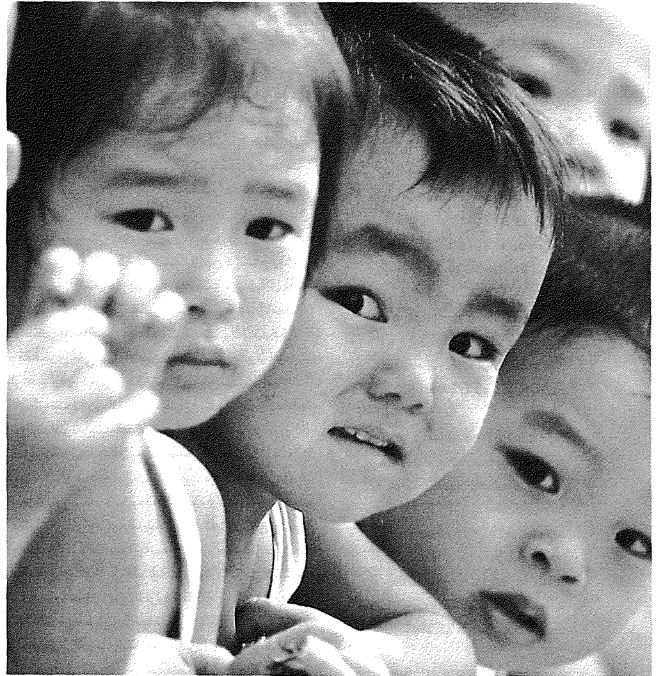
7-People Conversations: Life after GE? An interview with Jack Welch. Business Week, March 8, 2004, pp. 60-62.

8-Roberts PC. "The harsh truth about outsourcing: It's not a mutually beneficial trade practice- it's outright labor arbitrage. Business Week, March 22, 2004, p.67.

### المشروع التعليمي يجب أن يكون الجزء الأساس في مشروع الأمة الحضاري

# مرة أخرى.. كيف نجحت اليابان؟

مجاهد مأمون ديرانية . جدة



**في كتاب «البحث عن الامتياز» (الذي بيع منه أكثر من ثلاثة ملايين نسخة) يتحدث المؤلفان توم بيترز (أحد أشهر مؤلفي الإدارة في العصر الحاضر) وروبرت ووترمان عن واحدة من أهم العقبات التي تعوق المنظمات عن النجاح والتطور. ولتوضيح الفكرة قاما بتعقب التطور الذي طرأ على الفكر الإداري التطبيقي، وخلصا إلى التركيز على الاستنتاج الذي توصل إليه كارل ويك من جامعة كورنيل في الولايات المتحدة. يقول ويك: «إن التنظيمات تتعلم وتتطور ببطء شديد، وهي غالبًا ما تكون ضحية سيطرة مجموعة من الممارسات الداخلية فقدت قيمتها العملية. وهنا نجد الافتراضات الاستراتيجية المهمة مدفونة عميقًا في تفاصيل خاصة بالنظم الإدارية ضاع الهدف منها بمضي الوقت».**

ما الذي يعنيه هذا؟ إنه - في الواقع - ليس إلا وصفًا دقيقًا لمشكلة تحول الوسائل والآليات (التي يفترض قياس قيمتها بقدر ما يتحقق عنها من نتائج وفوائد) إلى غايات ومقاصد مستقلة بذاتها عن النتائج والفوائد، وهكذا يفقد النظام مرونته ويتحول إلى طور الجمود الذي يكرّس الواقع مستمدًا شرعيته وقيمته من التقادم ومرور الزمن.

وهذا الداء هو لب مشكلة أنظمة التعليم في بلادنا المتأخرة التي فقدت القدرة على مسايرة التطور المعاصر، وتراجع موقعها إلى المؤخرة بين أمم الأرض، وانحسر دورها إلى محاولة التقليد واجترار إبداع وإنتاج الآخرين. فكيف كان ذلك؟

لنلق نظرة فاحصة على مشروع التعليم القومي في بلادنا، ما الذي يقدمه للأمة؟ أفواجًا من خريجي المدارس الثانوية الذين تبلور الحلم لدى الأكثرية الساحقة منهم في مجموع عال يتيح لهم الدخول إلى الكليات ذات الاعتبار (الطب أو الهندسة مثلاً)، ثم ما يلبث أن يتخرجوا في الجامعات ليلجوا عالم الحياة الصاخب، حيث الهم الأول والأخير هو الدخل الأفضل والمعيشة الأحسن. فأي رسالة حمل هؤلاء؟ وأي خير قدموه للأمة؟

المفروض أن تقدم أنظمة التعليم ومناهجه حلولاً لمشكلات الأمة، ولعل مناهجنا كانت كذلك حين أنشئت أول مرة (ولعلها كانت اقتباسًا من الآخرين وتقليدًا لهم لا غير، لست أدري!) ولكن الأمر الجلي الذي لا يكاد يحتاج إلى برهان أن أي صلة لهذه الأنظمة والمناهج بمشكلات الأمة وعللها قد انقطع منذ زمن بعيد. لم يحدث ذلك فقط على مستوى المضمون (المحتوى المعرفي للمناهج التعليمية)، بل أيضًا، وبشكل أكثر خطورة، على الأسلوب الذي تقدم به هذه المناهج، وهكذا انحسرت وظيفة التعليم بأسرها إلى نوع من محو الأمية المنظم، حيث يخرج الطالب من مسيرة اثني عشر عامًا في المدارس بقدرة (قد تكون محدودة أحيانًا) على فك الخط وقدر من المعلومات المختلفة (في الطبيعيات والرياضيات والأدب والجغرافيا والتاريخ وعلوم الدين) ولو فرغت لجاءت في مجلد من القطع المتوسط أو اثنين في أكثر الحالات تفاؤلاً. ولنا الآن أن نتساءل: أيستحق القدر الذي يخرج به طلابنا من العلم والمعرفة كل هذا الجهد الهائل الذي يبذل والنفقات التي تصرف، أو هل يتناسب هذا العدد مع هذا الاستثمار؟ وما الذي فعله التعليم ليعالج تخلف الأمة ومشكلاتها المستشرية من فقر ومرض وضعف وتشتت وتشرذم؟ وحتى لو افترضنا أن دور التعليم مقتصر على التعليم بمفهومه المجرد، فهل نجح نظامنا التعليمي في تحقيق هذه الغاية؟ انظروا إلى هذه الإحصاءات التي نشرت في الدليل السنوي الأمريكي World Almanac منذ بضع

سنين الشكل (١) إن الأمة في أزمة لا يشك في وجودها عاقل، والبداية الصحيحة للعلاج لا تكون إلا بتحديد العلة، أفرأيتم طبيبًا يصف للمريض دواء بغير تشخيص الداء؟ بعض الناس يزعم أن العلة في قلة الموارد الطبيعية وانعدام الثروات الكامنة، وآخرون يتهمون الصهيونية والاستعمار. لو كان هذا صحيحًا لكان حريًا بنا أن يصيبنا العجز ونقعد عن العمل لأننا لا طاقة لنا بهذه الملمات. أما حين ندرك أن العلة، أساسًا، كامنة في الإنسان فإن الحل يغدو ممكنًا (ولو لم يكن ميسورًا) وهو يصبح عندئذ من أخص مهام جهاز التعليم، كيف ذلك؟

في كتابه القيم «أسرار الإدارة اليابانية» حاول الدكتور حسين حمادي أن يجيب عن السؤال المهم: «ما الذي فعله إنسان اليابان لتخطي خسارة الحرب؟ وكيف وضع نفسه على الطريق لكي يجعل من اليابان واحدة من أكبر ثلاث قوى اقتصادية في عالمنا المعاصر؟» فيقول إن هذا الإنسان لم يغب عن باله أن أكثر من مئة مليون من الناس يجب أن يعيشوا في رقعة من الأرض لا تتجاوز مساحتها ٣٨٠ ألف كيلو متر مربع تغطي الجبال البركانية نحو ٨٥٪ منها، هذا مع غياب شبه كامل لأي نوع من الثروات والموارد الطبيعية. قبل ذلك، ومنذ تولي الإمبراطور ميجي مقاليد الحكم بمساعدة رجال الساموراي عام ١٨٦٧م، كان التصور أن حل المشكلة القومية لليابان هو التحديث، بأن تصبح اليابان دولة عصرية قوية تدخل في المجال الصناعي بكل قوة، ولا بد لها من فتح الأسواق الخارجية بالقوة، والحل يكمن في التوسع الأفقي على حساب الجيران، حيث القوة العسكرية هي المفتاح لتحقيق هذا التوسع. وهكذا انتصر الجيش الياباني في حربه مع الصين عام ١٨٩٥م، ثم انتصر على روسيا عام ١٩٠٥م، فعلى كوريا عام ١٩١٠م، ثم دخلت اليابان الحرب العالمية الأولى ثم الثانية لتستولي على الهند الصينية والفلبين والملايو وسنغافورة وبورما وتايلاند. ولكن هذا كله لم يوصل إلا إلى الاستسلام غير المشروط عام ١٩٤٥م، والذي كان البديل الطبيعي له هو الانتحار القومي لليابان بأسرها. من هنا انتهى إنسان اليابان، كما يقول الدكتور حمادي في كتابه الشيق، إلى البحث عن طريق آخر وقرار جديد، وكان أساس هذا القرار الجديد أن الحل يقع داخل حدود اليابان، وأنه مرتبط بالإنسان الياباني وبالعقل الياباني. ومن هنا جاء دور النظام التعليمي في اليابان لكي يأخذ القرار القومي ويصبه بكل قوة في عقل إنسان اليابان الجديد، ومنذ بداية مرحلته الأساسية في التعليم الابتدائي، وعلى حد تعبير أحد المحللين والمراقبين اليابانيين فإن النغمة الأساسية التي تم التركيز عليها لتلاميذ المرحلة الأساسية في كل مدارس اليابان بعد الحرب العالمية الثانية كانت: «كيف تستطيع اليابان أن تعيش؟ على الرغم من انعدام الموارد يظل علينا أن نطعم أكثر من مئة مليون من البشر يعيشون على قطعة أرض صغيرة أغلبها جبال وعشرة بالمئة منها فقط قابلة للحرث!!». الحل الوحيد لهذه المشكلة، كان يقال للتلاميذ ولا يزال يقال لهم حتى اليوم، «أن نستورد المادة الخام ثم نضيف لها قيمة ونصدرها، وبهذا نكسب الثروة اللازمة لشراء الطعام من الخارج. يجب

الشكل (١)

| البلد | النسبة المئوية للأمية | الصحف الموزعة يوميًا لكل ١٠٠٠ شخص |
|---|---|---|
| الأردن | ٢٩ | ٦٨ |
| سوريا | ٢٢ | ١٢ |
| مصر | ٥٦ | ٨٨ |
| السعودية | ٥٠ | ٤٩ |
| أمريكا | ١ | ٢٢٥ |
| اليابان | ١ | ٥٦٩ |

* للإحاطة: هذه الإحصاءات قديمة، ولا شك أن الأرقام - خصوصاً فيما يتعلق بالأمية - قد تغيرت الآن.

أن نفعل ذلك أو نتلاشى».
ومن ثم انتهى إنسان اليابان بعد الحرب العالمية الثانية إلى أن القرار القومي يكون بالتوسع الرأسي من خلال إنسان اليابان وعقل إنسان اليابان، وليس بالتوسع الأفقي باستخدام السلاح الياباني.

وأخيرًا، يخلص الدكتور حمادي إلى القول: «ولا مجال لتكرار الكثير مما استقر عليه البحث من ارتباط نظام التعليم وتأثيره في قيم واتجاهات وسلوك الأفراد، خصوصًا تلك القيم التي يتم التركيز عليها منذ المراحل المبكرة من العمر بذكاء، لأن قضية التعليم ليست بالضرورة قضية مناهج وامتحانات». وكان التركيز في النهاية على الناشئة دون عبارات بلاغية أو حفظ مناهج لمعرفة من ينجح ومن يرسب، ويفسر المراقبون أن حالة «إدمان العمل» التي يلاحظونها على إنسان اليابان المعاصر تعود في جزء كبير منها إلى تأثير التربية التي ركز عليها نظام التعليم منذ الصغر. فقد وفرت هذه الجرعة المؤثرة شحنة مستديمة عند اليابانيين إلى الدرجة التي تجعلهم يخشون من عدم العمل، فهم يدركون تمام الإدراك أن توقفهم عن العمل يعني أن بلدهم سيتوقف عن الوجود!

وأخلص إلى أنه لا بد للأمة من مشروع حضاري واضح المعالم والغايات تتفق عليه الصفوة المثقفة والعقول الواعية مع الأجهزة الرسمية في الدولة، لأن مثل هذا المشروع سيكون بغير قيمة إذا انطلق من غير أحلام الأمة أو انبثق عن جهة غريبة عنها.

ولا بد من أن يصبح المشروع التعليمي جزءًا عضويًا من المشروع الحضاري للأمة، بحيث تتمثل في مفرداته روح هذا المشروع ويكون محققًا له وموصلاً إليه.

ولكي يحقق مشروعنا التعليمي الحالي الشرط السابق فلا بد من مراجعة شاملة وتصحيح أساسي في المضمون والأسلوب؛ فأما في المضمون فتجدر مراجعة كل الجزئيات لتعاد صياغتها بما يخدم التوجه الجديد، وأما في الأسلوب فلا بد من نبذ الأساليب التلقينية التي تعطل ملكة التفكير وتشل القدرة على الإبداع. لا ينبغي أن يكون المطلوب من الدارسين استظهار معلومات لا يلبثون أن ينسوا أكثرها عن قريب، بل تنمية حاسة التعلم، وتطوير القدرة على البحث، وتعليم التفكير، وتنمية الإبداع والابتكار.

أما تركيز التعليم على تقديم المعلومات بمعزل عن تربية القيم فسوف يقود إلى إجهاض المشروع برمته وتفريغه من محتواه ليصبح شبحًا بغير روح. ولعل هذا التأكيد لا يكون غريبًا على المؤسسة التي آثرت أن يكون اسمها وزارة التربية والتعليم ولم يقتصر على التعليم فقط.

إن «المؤسسة التعليمية» هي أضخم تشكيل في جسم الأمة، فهي تضم (حين نأخذ بالحسبان القوة البشرية المنخرطة فيها من مدرسين وإداريين وفنيين وطلاب) نحو ثلث سكان الدولة، أما حجم الإنفاق على هذا القطاع فيكاد يصل إلى ربع موارد الدولة، فإذا عجزت هذه المؤسسة الجبارة عن أن يكون لها في مشروع الأمة النهضوي الحضاري أعظم الدور وأبلغ الأثر فحري بالأمة أن تنسى هذا المشروع وتقنع ببقائها في الذيل من ترتيب أمم الأرض! ■

تاريخ العلاقات بين الغرب والمسلمين لم يكن مقتصراً على فصول «الصراع العسكري» :

# كيف نتعامل مع القلق «الغربي» من الإسلام؟


أحمد الراوي *. باريس


* رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا .

**إن أولى خطوات التعامل مع المخاوف الرائجة ومكامن القلق الملحوظة في المجتمعات الغربية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، إنما تتمثل في التشخيص الصحيح والتوصيف الدقيق لهذه المشكلة. ولا شك أن هذا يفرض علينا أن نتتبع جذور هذه الحالة من المخاوف أو القلق. ومن المؤكد أننا نستنتج أن القوالب النمطية السلبية التي طبعت صورة الإسلام في أذهان الغربيين إنما نشأت من خلال الجهل بالإسلام أساسًا، وعبر سوء الفهم له، بقدر ما أفرزتها الظروف الاستثنائية والمراحل التاريخية التي برزت فيها الحروب والمواجهات الضارية، وإن كانت لم تفتقر إلى التواصل الحضاري السلمي، كما غذتها محاولات بعض المتحاملين على الإسلام في مختلف مواقع التأثير، لتشويه صورته وإثارة المخاوف منه والتحريض عليه.**

وعندما نطرح السؤال الشائك: لماذا هذا الخوف من الإسلام وهذا القلق منه؟ فإننا لا بد أن نستشعر أن الدين الحنيف الذي فيه رحمة للعالمين، وهدى ونور للبشرية، لم يفهم حق الفهم، ولم تتضح معالمه في أذهان المتوجسين منه خيفة من بين عامة الناس في الغرب. ومن هنا تبدأ معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام. فالمعالجة تنطلق بعرض الإسلام على حقيقته الناصعة، وتجلية ما علق بالأذهان حوله من شبهات وأباطيل ومزاعم مفتراة أو ظنون متوهمة.

ولأن الناس عادة ما يميلون إلى التعرف على الإسلام من خلال سلوكيات المسلمين وأحوال العالم الإسلامي، بما يشوبها من قصور وأخطاء وتجاوزات، فإن المسعى يتطلب في الوقت ذاته جهدًا مكثفًا لإشعار الإنسان المسلم، وبخاصة الذي يعيش في الغرب، بمسؤوليته في تقديم النموذج المشرق الذي يقدم خير انطباع عن المسلمين ودينهم، مع دعوة الجمهور الغربي في الوقت ذاته للتعرف على الإسلام من مصادره الأصلية مباشرة.

*** خلفيات تاريخية للقلق الرائج في الغرب من الإسلام**

إن الصورة الذهنية المتوارثة في المجتمعات الغربية منذ قرون تبدو حافلة بالمزاعم الباطلة التي تربط الإسلام بالسيف والنار والعدوان والأباطيل العقائدية. ويبدو أن عدم وجود وسائل اتصال جماهيري في العصر الوسيط كالتي نعرفها اليوم، مطبوعة ومسموعة ومرئية وفضائية وشبكية، ساعد على استقرار المزاعم الباطلة كأحكام مسبقة غير قابلة للنقاش. وما زالت هذه الصورة الذهنية تطل برأسها بصور جديدة بكل أسف، حتى في عصر ما يسمى بالقرية الكونية.

وعندما نتطرق إلى العلاقة بين الإسلام والغرب، في الماضي والحاضر، فإننا قد نلحظ أن أحد العوامل الجوهرية التي حكمت هذه العلاقة، وألقت بظلال قاتمة عليها، هو أن الإسلام كان قد برز في عيون النخبة المتنفذة

في أوروبا النصرانية بوصفه دينًا نابضًا، يحمل معه إشعاعًا قادرًا على اجتذاب الأمم وبلوغ الآفاق، ويمتاز بقدرته على تشكيل إيقاع الحياة ونظمها بما يفيض به من قيم وتشريعات تصلح لأن تهتدي بها نظم الحياة.

وإذا كانت هذه الخصائص التي امتاز بها الدين الإسلامي الحنيف تفسر إعراض المتنفذين في قريش عنه، ومحاربتهم له، فإنها قد تكشف لنا عن سبب جوهري، يبرز من بين الأسباب الكامنة وراء قلق المتنفذين في أوروبا خلال العصر الوسيط من هذا الدين الحنيف. فالعقيدة السمحة، وبما يلحق بها من قيم وتشريعات، بدت لأصحاب السلطة والنفوذ في القارة العجوز متعارضة مع كثير مما كان سائدًا في أوروبا آنذاك من عقائد ومفاهيم، ومن قيم وتشريعات، فالتصقت في رؤوسهم بالتهديد والمخاوف. وإذا كانت الكنائس المنشقة والفرق النصرانية المخالفة قد حوربت أو

الثابت أن وضع المسلمين في البلدان الغربية لا يزال دون ما يرتضيه لهم الإسلام بكثير . وهناك مشكلات تطفو على السطح . كالروح الانعزالية لدى بعض المسلمين عن المجتمعات التي يعيشون بين أكنافها ، وضمور القيم الإنسانية والحضارية في تصورات المسلمين ، وغلبة العادات والتقاليد أحيانًا بما يشوبها من سلبيات . زيادة على صور التطرف وأنماط التشدد التي تحظى باهتمام إعلامي كبير رغم هامشيتها في واقع المسلمين

سحقت في أوروبا آنذاك، فكان من المنطقي ألا تكون النظرة إلى الإسلام استثناء من القاعدة السائدة التي كانت تضيق ذرعًا بالمخالفين في الانتماء العقائدي.

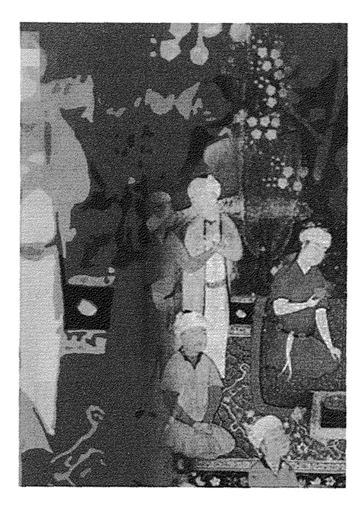
ولكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد، فقد بلغ التحامل في بعض المراحل حد التشهير بالدين الإسلامي والتشنيع على المسلمين، مثلما كان عليه الحال إبان الحملات الصليبية، عندما كانت تعبئة الرأي العام ضد الإسلام ومعتنقيه بشكل حافل بالجور والتحامل مقدمة لحشد الجيوش للحرب الضارية في سواحل الشام.

ومن المؤسف أن هذه المرحلة بالذات، قد استقرت في الذاكرة الجمعية للأمم الغربية بشكل يصعب الفكاك من مضاعفاته بشكل كامل، خصوصًا أن حقبة الحملات الصليبية كانت بالنسبة لكثير من شعوب أوروبا بمثابة الاتصال الأول مع المسلمين، ولكنه كان اتصال النخب الأوروبية المقاتلة تحت ظلال السيوف وفوق برك من الدماء، بكل أسف، واتصال الجماهير الأوروبية القابعة في قارتها من خلال الدعاية المضادة للمسلمين، والتي لم تكن لتصمد أمام الحقائق والوقائع والبراهين.. لقد كانت دعاية سياسية ودينية بمقاييس عصور الظلام.

وإذا ما قفزنا من صفحات التاريخ المثقل بالأوزار سنجد عقلية "التهديد الإسلامي" التي سادت في أوروبا في القرون السالفة تطل برأسها مجددًا، بقوالب متطورة من الناحية الشكلية وحسب، وبمضمون يبدو متصلاً مع الماضي بشكل أو بآخر. وعندما نتصفح كتاب صموئيل هنتنغتون، الموسوم بـ«صدام الحضارات» مثلاً، سنجد أن روح الأطروحة التي أثارت كل هذا الجدل قد تتلخص فيما يلي: الإسلام وعالمه يمثل تهديدًا للغرب وقيمه.

ولكن هنتنغتون لم يكن وحده في ما ذهب إليه، بل ربما وجد رواجًا لأطروحته بعد الحادي عشر من سبتمبر، فالسبب المفهوم لهذا الرواج والتفهم لفكرة "صدام الحضارات" هو استحضار لعقدة القلق ذاتها.. القلق من الإسلام.

وإذا كنا قد عدنا إلى الماضي بأتراحه، فإن لنا أن نلقي بنظرة على تجارب أخرى، مثل المجابهة الممتدة بين الدولة العثمانية وأوروبا، والتي بلغت أسوار فيينا سنة ١٦٨٣م. فلقد عرفت أوروبا صراعات بينية كثيرة



سالت فيها الكثير من الدماء، واستيقظت فيها الكثير من العداوات، ولكن المواجهة مع العثمانيين عبر قرون كانت ذات طابع خاص، فالمسلمون كانوا بالنسبة للقارة الأوروبية وكأنهم قادمون من عالم آخر، لقد ظهروا منتمين إلى نسق مختلف بوضوح عن النسيج الأوروبي.

وإذا كانت قرون الاحتكاك بين العثمانيين وممالك أوروبا لم تخل من الاتصال الحضاري بين عالمين، بشكل يمكن للخبراء أن يرصدوا آثاره المتنوعة ويتتبعونها اليوم، فإن ما استقر في الذاكرة الجمعية لكثير من الشعوب الأوروبية من انطباعات كان كما هو متوقع أحكامًا تغذي قناعات حقبة الحملات الصليبية بشأن الإسلام والمسلمين وعالمهم. ولكن فارقًا جوهريًا بدا مهمًا في هذه المرحلة، إذ إن اختراع الألماني يوهانس غوتنبرغ للمطبعة في أواسط القرن الخامس عشر قد أدخل وعاء جديدًا لتبادل المعلومات والانطباعات إلى المعادلة، إنه الكتاب. وهكذا كان للكتاب والأدباء والرواد فرصهم في تشكيل الرأي العام، بعد أن احتكرت ذلك السلطات الملكية والأوساط الكنسية.

لقد عرفت الحركة العلمية والأدبية في أوروبا مع عصر النهضة أعمالاً وإسهامات جليلة ربما كان من شأنها أن تزيح المخاوف التقليدية المتوارثة من الإسلام، وتمسح جانبًا كبيرًا من الانطباعات الخاطئة التي نبتت في عصور الظلام عن المسلمين وعالمهم. يكفينا هنا أن نذكر أديبًا وشاعرًا رائدًا مثل يوهان فولفغانغ غوته، الذي عكس تطلع أجيال ناشئة في عصور التنوير في الانعتاق من إسار الأحكام الجامدة وأغلالها، والانطلاق في آفاق الانفتاح على الأمم والحضارات، وكم كان غوته معجبًا بالإسلام، وقد أتيحت له ولعدد من أقرانه فرصة قراءة القرآن الكريم، وهي فرصة لم تتح لأسلافهم على كل حال.

وكانت أعمال بعض الأدباء والرحالة الأوروبيين، شاهدة على رغبة جامحة في التواصل الحضاري مع العالم الإسلامي، كما كان لبعض المستشرقين محاولات هنا وهناك في التعرف المنصف على المسلمين ودينهم، بدون حواجز.

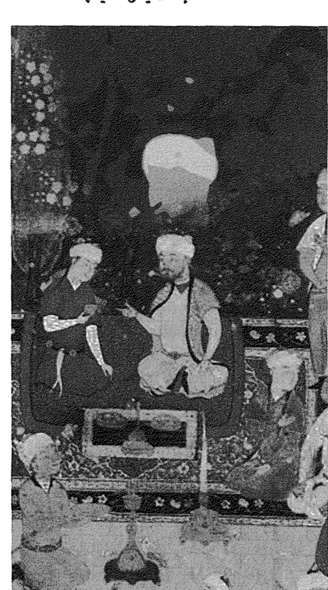
ولكن مما يؤسف له، أن الحركة العلمية والأدبية في أوروبا لم تتحرر بالكامل من أغلال الماضي وانطباعاته نحو الإسلام، فبرزت المخاوف ذاتها بقوالب جديدة، كما وجد التحامل والتعصب في الاستشراق ميدانًا خصبًا للعبث والتشويه.

وما فاقم من الأزمة، نزعات التفوق العرقي التي راجت في أوروبا والغرب في القرون الأخيرة، والعهد الاستعماري الذي كان إيذانًا بأكبر عملية نهب عرفتها البشرية في تاريخها، ولعل أحد الوجوه الكريهة لذلك العهد، أنه تعامل مع أمم موغلة في الحضارة، وشعوب تحمل تراثًا ثقافيًا زاخرًا، بوصفها مساحات للتوسع والسيطرة والنفوذ، قبل أي شيء آخر. والحقيقة أن هذه النزعات الكريهة قد بددت فرصًا ذهبية للاتصال الإنساني، والتعارف البشري، وغذى العداوات وأيقظ الأحقاد في الجانبين، العالمين الغربي والإسلامي.

ولا يجدر بنا أن نتجاهل أن أجيالاً متلاحقة في البلدان الإسلامية، لم تدرك من الغربيين سوى طلائع المستعمرين، فلم تعرف من الإنسان الغربي غير نمط المستعمر المحتل،

الناهب للثروات، القامع للحريات، والمشجع للمفسدين. لقد تركت أوزار الاستعمار (البغي) آثارًا عميقة وجراحًا غائرة لدى قطاع كبير من المسلمين نحو الغرب، فكانت النظرة العدائية لديهم، والتي كان من شأنها أن عززت الانطباعات المسبقة في أوروبا نحو الإسلام وأهله، بوصفهم تهديدًا ماحقًا. وقد بلغت هذه العلاقة المتداخلة مبلغًا خطيرًا مع تفاقم الظاهرة الاحتلالية الاستيطانية في فلسطين العربية المسلمة، وهو ما جعل قطاعًا واسعًا من المراقبين ينظرون إلى قضية فلسطين بوصفها أزمة لا تنحصر مضاعفاتها في تلك الرقعة الصغيرة من الأرض، بل تمس محاور حساسة وأكثر اتساعًا.

*** الحالة الإسلامية وتداعياتها**



إن الحالة الإسلامية الراهنة تمثل بكل أسف عاملاً هامًا يبعث بدوره على الكثير من المخاوف في نفوس الغربيين من الإسلام والمسلمين. فمن جانب هناك صور التطرف التي تثير الفزع في المجتمعات المسلمة والغربية على السواء. ويساهم التطرف بشكل كبير في تشويه صورة الإسلام، رغم أن الدين الحنيف منه براء.

وإلى جانب ذلك يمكننا أن نلاحظ أن غياب النموذج الإسلامي اللائق والجدير بالثقة له مضاعفاته. إذ لا يرى الغربيون في واقع المسلمين على كافة المستويات ما يزيل مخاوفهم من الإسلام أو عدم ارتياحهم نحوه، ولا تزال الكثير من الجهود الحثيثة في الجانب الإسلامي للتغلب على هذه الحالة المؤسفة بعيدة عن وعي الرأي العام في البلدان الغربية بها.

ولعل ما يعتري الخطاب الإسلامي السائد من عثرات وقصور، يتحمل قسطًا من المسؤولية عن تثبيت المخاوف المتأصلة في الغرب من المسلمين وعالمهم.

إن واقع العالم الإسلامي ينضح بالضعف والتخلف والتفكك بكل أسف، ويعج بالصراعات الدامية وبالفقر والجوع والمرض وتبديد الثروات وتعثر مسيرة التنمية فيه. ولذا فإن العالم الإسلامي مطالب بإيجاد حلول لمعضلاته الكبرى التي تبدو كقروح تشوه صورة المسلمين في العالم. فالاستقرار والأمن لا بد من أن يتحققا للشعوب المسلمة، كما أن لها أن تنعم بالحرية المكفولة لها، وحقوق الإنسان غير القابلة للتصرف، وسيادة القانون، واحترام التعددية. وغني عن القول أن الأمة الإسلامية لن يكون بوسعها أن تقوم بمهمتها الحضارية المنشودة في هذا العالم وهي تفتقر إلى احتياجاتها الأساسية في الاستقرار والأمن والحرية والحقوق والعيش الكريم.

ثم لا نستطيع أن نعفي واقع الأقليات المسلمة في البلدان الغربية من جانب المسؤولية عن الصورة غير اللائقة التي رسمت لديننا الحنيف في هذه البلدان. ونحن هنا إذ لا نغفل الكثير من الجهود المباركة التي بذلت، وإذ لا نتجاهل الانطباعات الحسنة التي قد لا تكون ظاهرة أحيانًا التي خلفها المسلمون في الغرب، أو بعضهم على أقل تقدير، عن سمو أخلاقهم ودفء علاقاتهم والتعايش الودي مع غيرهم، وعن شخصيتهم المؤمنة بالله الواحد الأحد، فإننا رغم كل ذلك ندرك جوانب القصور والثغرات التي ما زالت ماثلة في واقع

المسلمين في الغرب، وهو ما ترك انطباعات سلبية تعود علينا، كما تعود على ديننا الإسلامي الكريم بغير وجه حق.

فالثابت أن وضع المسلمين في البلدان الغربية لا يزال دون ما يرتضيه لهم الإسلام بكثير. وهناك مشكلات تطفو على السطح، كالروح الانعزالية لدى بعض المسلمين عن المجتمعات التي يعيشون بين أكنافها، وضمور القيم الإنسانية والحضارية في تصورات المسلمين، وغلبة العادات والتقاليد أحيانًا بما يشوبها من سلبيات، زيادة على صور التطرف وأنماط التشدد التي تحظى باهتمام إعلامي كبير رغم هامشيتها في واقع المسلمين.

*** الميدان الإعلامي بين الواقع والمرتجى**

إذا كان لاختراع المطبعة أهميته، فإن لعصر وسائل الإعلام الجماهيري فعاليته، في التأثير على النظرة السلبية للإسلام في الغرب. فمن جانب، كان للظاهرة التي يطلق عليها الإعلاميون "القرية الكونية" آثارها في تعزيز التواصل الإنساني، وتوفير أرضية رحبة للتعارف البشري، ولكن الأمر لم يكن في جانبه الآخر كفيلاً بتجاوز تعقيدات الماضي.

فالبشرية أصبحت قادرة بالفعل على مشاهدة ما يدور في الجانب الآخر من البسيطة، ولكن القدرة على المشاهدة لم تكن لتعني القدرة على فهم خلفيات المشهد أو تفسيره. كان هناك الكثير من الخلفيات التي غابت، وما زالت تغيب عن وعي الجماهير. إن الواقعة الواحدة قد تحمل أكثر من تأويل ومعنى، بحسب كل بيئة وطبقًا لملابسات كل واقعة، وهذا ما جعل وسائل الإعلام تخفق في تعزيز التفاهم المأمول.

وما هو أشد وطأة، أن الأداء الإعلامي في الغرب كان في كثير من الحالات مخيبًا للآمال، ومضمارًا للتحامل والتشويه، كما كان يفعل في القرون الماضية بعض الرحالة الذين ينقلون لأقوامهم معلومات غير دقيقة عن مشاهداتهم حول العالم.

إن الصناعة الإعلامية متهمة بحسب كثير من الخبراء، بعدم الاكتراث بالدقة والموضوعية في العرض، بل وممارسة التشويه بقصد أو بدون قصد. والنتيجة أن الصحيفة والإذاعة والتلفزة والسينما، لم تفلح في القفز على الانطباعات المسبقة السلبية، والأحكام الجائرة المستقلة في العقل الجمعي، بل سقطت في مستنقعها، وعززت الصور الذهنية البائسة في الغرب، كالنظرة القلقة إلى الإسلام.

> إن واحدة من المهام الجليلة التي ينبغي أن تسعى المؤسسات الإسلامية في الغرب باتجاهها، تتمثل في الإقرار بمعايير أخلاقية مشتركة للمجتمعات التي تعمل في نطاقها، وإزالة العراقيل التي تحول دون النهوض الروحي والسمو الأخلاقي لأفراد هذه المجتمعات

ولهذا فإننا لا نبالغ إذا ما حذرنا من خطورة التغطية المنحازة أو المسيئة أو غير الدقيقة في وسائل الإعلام لما يتعلق بالشأن الإسلامي من جوانبه المختلفة. وهذه ظاهرة معروفة وتؤكدها الكثير من الدراسات العلمية التي أجريت في الغرب والشرق على الكثير من الحالات. وهذا وإن كان عاملاً خارجيًا كما هو ظاهر، إلا أن المسلمين في عمومهم لم يقوموا بما فيه الكفاية لتعديل هذه الموازين، علاوة على أن الواقع المرير للعالم الإسلامي هو بحد ذاته عامل مشجع على ممارسة التشويه.

ولا ريب أن عهدًا طويلاً من إهمال المسلمين في الغرب لوسائل الإعلام وأهميتها قد انقضى، ومن نافلة القول أن عليهم اليوم أن يسارعوا إلى الحضور اللائق بهم في المضمار الإعلامي، وأن يعملوا على نقل الصورة الصحيحة عنهم للرأي العام، وأن يسعوا لعرض دينهم دونما تشويه أو تحيز.

*** التواصل والحوار.. لا الصراع والصدام**

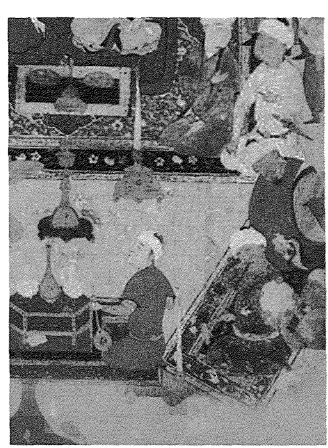
لا ريب في أن التواصل الحضاري أصبح مهمة أكثر إلحاحًا في الوقت الراهن. فبينما تتصاعد أصوات المبشرين بالصراع بين الحضارات والصدام بين الثقافات والعراك بين الأمم، يكون على المسلمين والمؤسسات الإسلامية أن تكثف جهودها في التعاون مع

كافة الأوساط والتجمعات والمؤسسات الداعية للحوار والتفاهم والقفز على مشاعر العداء والخصومة.

ومن الواجبات الملقاة على عاتق كافة الأطراف المعنية في هذه المرحلة بالذات، توسيع الحوار الثقافي والحضاري بين المسلمين وأصحاب الأديان والعقائد والأفكار الأخرى، والعمل على التفاعل معها وصولاً إلى توطيد السلام الاجتماعي.

وإذا كان الكثير قد قيل عن أهمية الحوار وضرورته في عالمنا اليوم، فإن لنا أن نعيد إلى الأذهان ما أكده لنا القرآن الكريم وما نستلهمه من السنة المطهرة منذ أربعة عشر قرنًا، من أهمية الحوار وضرورة اعتماده أسلوبًا في العرض والتعاطي مع الآخرين، وذلك مع جملة من الضوابط والإرشادات كتحري الحكمة والموعظة الحسنة.

ولا ريب في أن الحاجة إلى اعتماد منهجية الحوار باتت أكثر إلحاحًا من ذي قبل، مادام العالم بات يتداول مصطلحات مقلقة كـ«صدام الحضارات» أو «صراع الثقافات».



إن خيار المسلمين ينبغي أن يكون واضحًا، باتجاه الحوار وتنقية الأجواء، وعلينا أن نقف دومًا مع التواصل الحضاري الذي يقود إلى ما فيه النفع بإذن الله، وتلافي الصدام الذي يهلك الحرث والنسل.

إن واحدة من المهام الجليلة التي ينبغي أن تسعى المؤسسات الإسلامية في الغرب باتجاهها، تتمثل في الإقرار بمعايير أخلاقية مشتركة للمجتمعات التي تعمل في نطاقها، وإزالة العراقيل التي تحول دون النهوض الروحي والسمو الأخلاقي لأفراد هذه المجتمعات. فالرسالة الإسلامية السامية إنما جاءت لتحرير البشر من العبودية لغير الله الواحد الأحد، ولإتمام مكارم الأخلاق، ولتذكير الإنسان بمسؤولية العمارة الصالحة للأرض، ومراعاة أمانة الاستخلاف فيها. وما أحوج مسلمي الغرب إلى المبادرة إلى تعزيز الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والقيمية في مجتمعاتهم الغربية، والوصول إلى "كلمة سواء" فيما يخص الشؤون الكبرى والقضايا المصيرية في المجتمع الواحد التي تنعكس آثارها على جميع فئاته، متحلين في ذلك المسعى الحميد بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

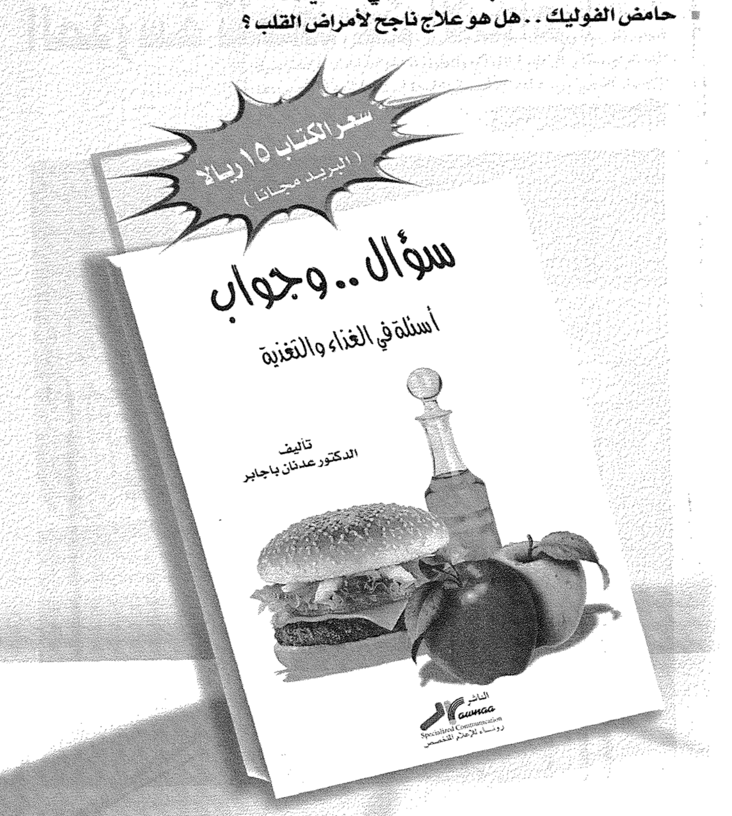
ومن خلال هذا التصور، نتطلع إلى تطوير الكثير من الجهود، كنشر الأعمال الفكرية، وعقد المؤتمرات والندوات، وتنظيم الزيارات والجولات، وما إلى ذلك.

*** إبراز الجوانب المشرقة من التاريخ المشترك**

وإذا كنا نسعى للتصدي للمخاوف الرائجة في الغرب من الإسلام، فإن علينا بكل تأكيد أن نشجع جهود المؤرخين والباحثين الذين يقومون بإبراز الحقيقة القائلة إن تاريخ العلاقات بين أمم أوروبا والمسلمين لم يكن مقتصرًا على فصول الصراع والاحتكاك العسكري. إذ ينبغي أن يستشعر الطرفان اليوم أكثر من أي وقت مضى أن التاريخ شاهد أيضًا على التواصل الحضاري الإيجابي بينهما في ميادين العلوم والثقافة والتجارة والصناعة وغيرها.

كما أن علينا جميعًا أن ندرك أن الصراع في ما مضى لا يبرر الصراع مستقبلاً، وخير شاهد على هذا هو الأمم الأوروبية، التي عاشت في صراعات داخلية متلاحقة عبر قرون طويلة تتكامل فيما بينهما وتصنع مشروع وحدتها القائم على التعايش السلمي والتعاون الداخلي.

- الهمبرجر . . وسرطان الثدي !
- مبالغات ومغالطات . . مريم نور !!!
- ريجيم الساعة الخامسة . . ؟!
- الأرز واللحم . . التجميد هو الأنسب . . .
- الرصاص . . سموم في كل مكان . . .
- التمر والعسل . . هل يسببان مرض السكري ؟
- المشروبات الغازية هل تسبب تشوهات الأجنة ؟
- مياه صحية . . مياه عادية !! ما الفرق ؟
- الفواكه وتليف الكبد . . ما هي الحقيقة ؟
- حامض الفوليك . . هل هو علاج ناجح لأمراض القلب ؟




للحصول على الكتاب ، يرجى الاتصال بـ روناء للإعلان والتسويق
الرياض هاتف : ٤٧٢٧٧٩٢ - ٤٧٢٧٨٥٨ - فاكس : ٤٧٢٧٨١٨ جدة هاتف : ٦٤٢٦٧٧٨ - ٦٤٢٧٨٨٩ فاكس : ٦٤٢٨٧٠٠

### لأنه يظهر في سلوك المغايرة لا المسايرة :

# المدرسة تنهى عن الابداع !

خالد خليل الشيخلي - الإمارات

**أكدت أبحاث حديثة أن الاستعدادات المبدعة يمكن تكوينها وتطويرها عبر التعليم (المدرسة والأسرة) وبمساعدة بعض العوامل الوراثية. وباشتراك كلتا المؤسستين معًا يمكن تنمية الإبداع، والمطلوب الا يتم اللقاء مصادفة أو يترك للاجتهاد الفردي. ويمكن اعتبار المدرسة والأسرة أفضل الميادين لتخصيب هذه القابليات.**

سؤالنا عن الإبداع هل هو صناعة بشرية أو هبة إلهية لا يأتي بها العلم ولا تكتسب بالتربية؟ هذه في الحقيقة هي المعضلة التي نحاول أن نوضح أبعادها.. فإذا كان الإبداع ـ كما يدعي البعض ـ هبة وحدسًا لا يملك صاحبه تفسيرًا واضحًا له، فإنه لا يعدو أن يكون اختيارًا سماويًا، يصطفي الله به من يشاء من عباده، فماذا نملك إذاً سوى أن نشاهد ما يبدع ونعجب به ونعجب مما يؤدى، شاعرين بتميزه عنا وتفوقه؟

أما إذا كان الإبداع ـ كما يقول البعض ـ موقفًا لا يأتي فجأة لكنه محصلة عمل وجهد وتفكير واجتهاد مخالف لما هو مألوف وسباحة ضد التيار، فالنظرة تختلف والقضية تتسع أطرافها حتى يصبح للاكتساب ولعملية التربية دور فعال فيها.

وبالتالي نسأل: هل الإبداع عملية يمكن اكتسابها وتعلمها؟ وهل هي ظاهرة قابلة للنسخ والتكرار، ومن ثم تخرج من ثوبها الفردي لتصبح إطارًا اجتماعيًا يمكنه تفريغ الإبداع وتكراره؟

ظاهرة الإبداع شغلت رجال الفكر الاجتماعي واهتمت بها علوم عديدة، لكنها جميعًا حاولت رؤية ما يقع ورسم ملامحه وفق خريطتها ورؤيتها وتفسيرها، وهنالك العديد من هذه التفسيرات يمكن أن نمر عليها لبيان مدى ما تتسم من اتفاق أو اختلاف.

نجد أولاً: تفسيرًا سيكولوجيًا للإبداع حاولت به مدارس علم النفس المتعددة المنطلقات والنظريات أن تصف الإبداع كفعل إنساني، لكنها في عموميتها وضعت الإبداع كظاهرة في سياج شفاف يمكن رؤيته والتعرف عليه من بعيد لكن دون أن نستطيع لمسه وتحديد عوامله الداخلية والخارجية، ولا عناصره المكونة، فالتفسير السيكولوجي لم يستطع سوى وضع علامات زائد (+) بين نماذج الإبداع الفردية التي يدرسها حسب مدارسه، لكنه لا يستطيع الحصول على ناتج الجمع المفيد.

ثانيًا: التفسير السوسيولوجي للظاهرة الإبداعية التي حاولت الارتطام مباشرة بمعنى اجتماعي للظاهرة، لكن السبل كانت متباعدة فجاءت التفسيرات متضادة، لأن علم الاجتماع يرتبط دائمًا بخطوط تغذية راجعة من محطات أيديولوجية تتحكم في قوة ونوع الطاقة التي يستخدمها في الكشف عن ظواهره. لكن المفيد من تفسيرات علم الاجتماع للإبداع كظاهرة، أنه تناولها بشكل أقل قداسة وشفافية ومن ثم جعل إمكانية تناولها وتناقلها اجتماعيًا أمرًا أكثر إمكانية.

ثالثًا: تفسيرًا أنثروبولوجيًا لظاهرة الإبداع، لكن الفئات السياسية وبخاصة الاستعمارية اختلطت كما هو معروف بهذا العلم، كما لم تختلط بعلم آخر. ومن ثم فرقت تفسيرات علماء الانثروبولوجيا بين الأجناس والأعراف في قدرتها الإبداعية، دون تقديم

مبررات وشروط مقنعة.

رابعًا: من الفلسفة محاولات لتقديم الإبداع وتفسيره وفق مذاهب شتى رشقت كل منها جانبًا دون الآخر، و جاء كل منها رائعًا لكنه بقي كنموذج يمكن وضعه في فترينات زجاجية للتمتع بمشاهدته أو تقليده، لكن لا يمكن استخدامه وتشكيله في الواقع كما هو.

وبمعنى ذلك أن الجميع حاول تحقيق الحلم الذي يراوده، لكن لم يستطع إلا وصف ما يراه و يعتقده أنه الحقيقة!

نجد أننا طوال هذه المسيرة، أن الفعل التربوي لم يشارك في تقديم تفسير للإبداع يمكن أن يصير إسهامًا كتفسير بيولوجي للإبداع.



### علاقة الإبداع بالتربية والتنشئة الاجتماعية للفرد:

أمر أكدته بحوث علمية من تخصصات مختلفة. خلصت إلى عدة حقائق منها:

- أنه ليس بالضرورة الربط بين الإبداع والذكاء، فليس ثمة تطابق بالضرورة بينهما، يؤكد ذلك ماكينون (D.W.Mackinon) في مقابلة له في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية «بأن الشخص المبدع كثيرًا ما يتمتع بدرجة عالية من الذكاء، ولكن العلاقة ليست مطردة في كل الأحوال. وكل ما يمكن قوله في هذا الصدد أنه لابد من توفر درجة معينة من الذكاء لكي يكون الشخص مبدعًا. بل إن مستوى الذكاء المطلوب للإبداع يختلف من مجال لآخر. بحيث إنه قد يكون منخفضًا في بعض الأحيان لدرجة تثير الدهشة».
- أنه من الخطأ أن نقصر وجود الإبداع على مجتمعات بعينها دون الأخرى، فالإبداع ظاهرة عامة كلية يمكن أن نجدها في مجتمع إنساني، وفي أي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي والثقافي. وإذا كان بعض علماء الأنثروبولوجيا قد تعمدوا خلط الأوراق لتكون سمات الإبداع مقتصرة على سلالات دون غيرها، فإن الحقيقة قد أثبتت أن الكثير من الأعمال الفنية والتراثية في مناطق وقبائل مختلفة عديدة سواء من إفريقيا أو أمريكا، كانت أعمالاً إبداعية ومبتكرة.
- من الخطأ قصر الإبداع على سن معينة أو مرحلة عمرية معينة، أو نوع معين، فالتقدم في السن ليس عائقًا للإبداع، والكثير من سير المبدعين من العلماء والمبتكرين تؤكد هذه الحقيقة في مجالات كثيرة سواء كانت فنية أم علمية.
- أن الإبداع عملية في حقيقتها أقرب إلى الحوار المتبادل بين الأوضاع الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع والتكوين النفسي والوجداني للفرد المبدع، وهذا ما يعطي دلالة على وجود تأثير للمجتمع وما يسوده من نظم ومناخ ثقافي واجتماعي وتربوي على المبدع.

وتدل الحقائق السابقة وتؤكد أن الإبداع ظاهرة يمكن دراستها وفهم عواملها وأسبابها، كما أن المبدع إنسان كغيره من البشر وإن اختلف عنهم في جانب معين، لكنه كي يثبت هذا الاختلاف ويحوله إلى تميز حقيقي لابد له من أمرين:

* الجهد الفردي والمثابرة الشخصية المتواصلة في العمل والتفكير والاهتمام بأمور معينة يجعلها أساسًا لجهده وحياته.

* التقبل الاجتماعي لأفكاره وتشجيعه عليها أو على الأقل عدم مقاومتها أو كبتها.

هناك بعض البحوث الكثيرة في مجال علم النفس تشير إلى الاهتمام بالإبداع كظاهرة يمكن نقلها بل و يمكن التدريب عليها .منها دراسات مالتزمان (I- Maltzman) في أمريكا، والذي اهتم في بحوثه بالتدريب على قدرة الأصالة بوصفها إحدى قدرات الإبداع. وتقوم تلك المحاولات على أساس حث الشخص ودفعه لإعطاء استجابات متكررة ومتنوعة على أمنية واحدة. وقد بنى مالتزمان ورفاقه في كاليفورنيا بحوثهم على أساس نظرية سكنر السلوكية وخصوصًا ما يعرف عن «نبوغ التعليم بطريق التنشيط الانتقائي أو الانتخابي». وقد أثبتت هذه البحوث أن الأصالة يمكن تعليمها مثلها في ذلك مثل أي شكل سلوكي آخر.

وتشير دراسات كثيرة إلى أهمية الوسط المربي للمبدع وتنشئته بشكل يساعده على الإبداع والتميز، خصوصًا أن «هذا النمط من التنشئة إنما يدفع الفرد إلى المزيد من التفاعل مع إمكاناته الإبداعية، ومزيد من الاحتكام إلى منظوره الخاص، بمعنى آخر بمزيد من التوجه بما ترى ملاءمته لمعايير الذات..».

إذًا، حقيقة الأمر أن الإبداع وإن كان عملاً فرديًا في ظاهره لكنه في جوهره عملية مجتمعة للثقافة والتربية، خصوصًا إذا نظرنا إلى أن كلاً من عمليتي التربية والثقافة ترتكزان على أساسين مهمين في الفرد، أحدهما داخلي والآخر ظاهري، والأساس الأول يتكون من القوى الكامنة في الفرد وفي نسيج الطبيعة الإنسانية، وهي مجموعة القوى التي تشكل ما يطلق عليه عادة اسم «الطبيعة الإنسانية» والتي يقول عنها الفلاسفة والتربويون إنها تميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، لكن هذه الطبيعة يتسلمها الإنسان منذ ولادته كقدرة كامنة فيه، فهو يولد مزودًا بالاستعداد لها، لكنه كي يصبح مالكًا لها بالفعل يحتاج ذلك إلى تجهيز وإعداد.

فالإنسان بطبيعته عاقل واجتماعي، وسياسي وديني وأخلاقي، لكن ذلك كله قوى تنمو فيه خلال

**الشخص المبدع كثيرًا ما يتمتع بدرجة عالية من الذكاء ، ولكن العلاقة ليست مطردة في كل الأحوال . وكل ما يمكن قوله في هذا الصدد أنه لابد من توفر درجة معينة من الذكاء لكي يكون الشخص مبدعًا**

عملية التنشئة والتربية داخل إطار مجتمعي وثقافي معين، والمدرسة لها الإسهام الأكبر في التحول.

أما الأساس الثاني وهو الجو الاجتماعي المحيط بالفرد من أهم العناصر التي تساعد في نمو الإنسان ككائن إنساني. لذلك يمكن أن نؤكد أن التربية يمكنها أن تسهم في تشكيل وإبراز القدرات الإبداعية. لكن أي تربية؟ فكل المجتمعات تربي وكل البيئات تربي لكن الإبداع لا ينتج عنها جميعًا. إنه يظهر هنا أو هناك دون توقف أو توقع!

لذلك فمن المهم أن تضع شروطًا للتربية التي من شأنها أن تنمي الإبداع، وهي:

* أن تعمل على تنمية القوى العقلية الكامنة للفرد كجزء مهم للشخصية المبدعة.

* أن تعمل على تنمية الشخصية الأخلاقية.

* أن تعمل على تنمية الشعور بالمسؤولية.

* أن تعمل على تنمية المبادرة والمعرفة.

* أن تعمل على تنمية حب الحقيقة والمعرفة.

* أن تعمل على تنمية الصبر والمجاهدة والاستمرار في العمل.

* أن تعمل على تنمية القدرة على الإنجاز وعلى المجاوزة.

وهنا يكمن دور المعلم المباشر في تنمية الإبداع الشخصي الوحيد الذي يبدأ في بث هذه القيم داخل الفرد، وهو قادر على أن يوليها الرعاية.

لذلك فالمسؤولية مباشرة للمعلم تفوق باقي عناصر العملية التعليمية رغم أهميتها وضرورتها في تنمية الإبداع، ذلك لأن العنصر الإنساني في الأمر كله له دور مهم لا يمكن إغفاله دون خسائر محققة.

**مجموعة المقومات أو الشروط اللازمة لحفز وتكوين الشخصية المبدعة:**

وهناك تساؤل هو: هل من مقومات تربوية تنمي وتحفز التفكير الإبداعي؟

عندما نسأل عن مقومات تربوية تنمي الإبداع نعني تحديدًا دور كل من المدرسة والأسرة. وبداية ينبغي أن نسلم بأن المدرسة ليس لديها إطار مرجعي واضح وفعال وهذا الأمر يتضح من العديد من أقطارنا العربية من خلال ما يلي:

إن موضوع الإبداع ليس واردًا في المنهج لا مباشرة ولا غير مباشرة، بل تشير بعض الحوادث إلى أن مجرد كلمة« الإبداع» وما شابهها من مفاهيم وقضايا ليس لها وجود داخل المناهج المدرسية ولا ننشغل بها عمليًا في وضع المناهج الروتينية التي تقوم عادة وفق مجموعة شروط توضع مركزيًا ثم يتم تقييم المؤلفات التي تنشر مركزيًا أيضًا ووفق مدى تطابقها مع جملة الشروط الموضوعة، ومن ثم تصبح عملية الصب في قوالب مسألة قابلة للتابع من وضع المنهج إلى تطبيقه.

إن المنهج المدرسي مشغول بقضية الزمن والامتحانات والنتيجة، ولذلك يصعب وضع ترتيبات أو أنشطة إضافية تسهم في تنمية الإبداع.

إن المعلمين يعملون في ظل صعوبات (كثافة عالية، فصول غير مجهزة، إدارة متعسفة، أجور منخفضة...) مما يجعل من الصعب عليهم كشف التلاميذ المبدعين أو متابعة البعض منهم وتشجيعهم.

إن المناخ المدرسي العام المرهق والمحمل بالمنهاج والمقررات الملزمة للمعلم والتلاميذ والإدارة، والعلاقات المتوترة التي تحكم معظم علاقات العنصر البشري داخل العملية التعليمية، تجعل من الصعب كشف الإبداع وتنمية بعض جوانبه لدى التلاميذ.

إن الإبداع يظهر في سلوك المغايرة لا المسايرة وهو نمط من السلوك تنهى عنه المدرسة وتقاومه وتحاول الحد منه لدى من يتميز به خشية شيوعه، والمدرسة مشغولة بالنظام وتسير وفق المفاهيم المتفق عليها (المقررة) أكثر من توجيه السلوك المغاير!

إن الإبداع يبزغ فجأة في مجالات معينة بعد فترات «كمون وتريث» لدى المبدع وهو ما يحتاج إلى متابعة ومعايشة، وهذا غير متوفر في مدرسة تعمل عدة فترات فلا يبقى المعلم مع المتعلم إلا لساعات معدودة يمضي بعدها كل منهما من طريق مختلفة.

وبالنسبة لدور الأسرة في تنمية الإبداع وحفزه فإن الأمر يقتضي منها مواجهة لعدد من المشكلات التي تجعل من الصعوبة قيامها بهذا الدور في عملية التربية التي نقوم بها لأبنائها.

الأسرة العربية تسودها عملية التربية البطركية والتي تقوم على تسلط الكبير (وبخاصة الذكر) بالنسبة للصغار.

إن الظروف الاقتصادية المتناقصة داخل المجتمع (غنى فاحش في دول معينة، وفقر قاتل في دول أخرى) يحد من الإبداع المتميزة نتيجة للظروف التي يعيشها الطفل فهو في الأسرة الغنية يجد كل شي سهل المنال وبشكل لا يجعل أي شي مثير لقدرته وعقله، وهو في الأسرة بالدول الفقيرة يعاني أمراض سوء التغذية

المناخ المدرسي العام المرهق والمحمل بالمنهاج والمقررات الملزمة للمعلم والتلاميذ والإدارة ، والعلاقات المتوترة التي تحكم معظم علاقات العنصر البشري داخل العملية التعليمية ، تجعل من الصعب كشف الإبداع وتنمية بعض جوانبه لدى التلاميذ



والقهر الذي يمارس داخل الأسرة وخارجها مما يقتل فيه الإبداع.

إن انشغال الكبار عن الصغار (أب، أم، أخ، أخت) في الأسرة العربية بسبب الضيق الاقتصادي والانشغال بجلب الرزق، يجعل تجربة الصغار، مقتصرة على ما يتم اكتسابه من الرفاق (قليلي الخبرة) أو أجهزة الإعلام (وهي غير جادة في أغلب الأحوال)، أو على المدرسة وهي كما وصف حالها سابقًا الأمر يجعل القدرة على تنمية الإبداع (إن وجد) أمرًا يتم بالصدفة.

وأخيرًا، فما العوامل أو المقومات التربوية التي تجعل كلاً من الأسرة، والمدرسة تقوم بدورها في تنمية الإبداع والتفكير الإبداعي؟

لقد أكدت بحوث حديثة أن الاستعدادات المبدعة يمكن تكوينها وتطويرها، وتشارك في ذلك عمليات التعليم (المدرسة، الأسرة)، وكذلك بعض العوامل الوراثية. واشتراك كلتا المؤسستين معًا يشكل فقط انطلاقة مهمة لتنمية الإبداع. والمطلوب إلا يتم ذلك اللقاء صدفة أو يترك للاجتهاد الفردي لكن يمكن تحديده للمدرسة والأسرة ويعتمد على بحوث علمية سابقة في هذا المجال ويمكن لنا وضعها فيما يلي:

**المقومات التربوية التي تسهم بها المدرسة والأسرة في تنمية الإبداع:**

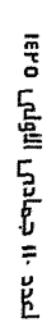
- وضع أسس التفكير المستقل للطفل.
- تشجيع طرق البحث والاستقصاء لدى الأطفال.
- اللعب الذي يثير التفكير الإبداعي.
- تنمية النشاط البحثي للطالب للاكتشاف وكسب المعلومة بنفسه والتعرف إلى حياة المبدعين.

هذا بالإضافة إلى مجموعة المقومات النفسية اللازمة لحفز التفكير الإبداعي، حيث تتم تنمية الإبداع من خلال مقومات تقسيم إيجابية في الوسط البيئي الذي ينشأ فيه الطفل. لذلك فإن أبرز الشروط والمقومات التي يجب أن تتوافر في تلك البيئة هي:

الاحترام والتقدير لأسئلة الطفل وأفكاره وتقدير استجاباته الأصلية والمبتكرة للمواقف، وتقديم المعونة لحل المشكلات وتوجيه النشاط، وإعطاء الوقت الكافي للتفكير والخيال، وتنمية مهارات الاتصال، و صنع الألعاب الخاصة بالابتكار، وتدريب المربين والمعلمين على كشف المهارات والقدرات المبدعة وخلق بيئة تنافسية منضبطة داخل المدرسة، وتهيئة المناخ المدرسي والأسري الذي يكون قائمًا على تشجيع الإبداع وتحمل المسؤولية والتعاون وقبول الآخر فكرًا ورأيًا.

كذلك فإن رصد الجوائز للمبدعين في جميع الأنشطة من شأنه أن يكون حافزًا للأطفال على الإبداع تلو الإبداع.





## حقوق الأطفال وتربيتهم في المجتمعات الغربية . .

# يعلمونه أن: الصراخ لا يجدي

أسامة أمين - ألمانيا

**كان الأطفال حتى مطلع القرن التاسع عشر لا يتمتعون في أوروبا بحقوق تزيد على الدواب، ولم يكن من حقهم الاستفادة من القوانين بأكثر مما تستفيد منها الأبقار أو الجياد أو الخنازير. وغالبًا ما كان الآباء يرون فيهم جزءًا من ممتلكاتهم، يفعلون بهم ما يشاؤون، ولا يستطيع أحد أن يتدخل في ذلك. ولكن التغير بدأ خطوة وراء خطوة، وأصبحت هيمنة الآباء غير مطلقة، وأصبحت هناك قوانين توفر لهم الحماية من استغلال الكبار لهم.**

ولعل من أكثر الجمل بساطة، وبلاغة في الوقت نفسه حول هذا الأمر، ما قاله يانوس كورتسكاك في عبارته الشهيرة: «الطفل لا يصبح بمرور الوقت إنسانًا، بل هو إنسان من البداية». والغريب في الأمر أن هذه العبارة، مازالت تعكس حتى اليوم الفكر السائد في بعض المجتمعات، التي غالبًا لا ترى في الطفل كائنًا فردًا مستقلاً، بل يجري النظر إليه غالبًا باعتباره، تابعًا لشخص كبير.

ولا ينعكس هذا التصور الجاحد في مفاهيم المجتمع وحده، بل نجده متفشيًا في القوانين أيضًا، وهو الأمر الذي ينبغي ألا يثير العجب، لأن واضعي القوانين من السياسيين، يحتاجون إلى أصوات الناخبين، ومادام الصغار لا يملكون بطاقة انتخابية فليس لهم (لوبي) يمثل مصالحهم بصورة فاعلة، وبالرغم من حرص كل سياسي على أن يداعب طفلاً، أو يحمل رضيعًا عن أمه، أمام كاميرات التلفزيون، ومصوري الصحف، فإنه لا يخطر بباله، عند التصويت على مشروع قانون ما، مراعاة مدى توفر احتياجات الأطفال مع عدمه.

أفنعجب بعد ذلك أن نجد طرقًا وميادين وكباري، تخفف عن سائقي السيارات الزحام الذي يمكن أن يتعرضوا له، لكننا لن نجد من يحرص على تخصيص مساحات للحدائق والملاعب، يجد فيها الأطفال متنفسًا للعب والشعور بالسعادة والفرح، عندما يتخلصون من الأماكن المغلقة داخل البيوت.

### حقوق الأطفال بين الإعلانات والاتفاقيات

كل ذلك دفع الجمعية العامة للأمم المتحدة لإقرار (إعلان حقوق الطفل)، وذلك في عام ١٩٥٩م، والذي بقي مجرد إعلان غير ملزم للدول. ولذلك جرى التوصل في عام ١٩٨٩م إلى (إتفاقية حقوق الطفل)، والتي بدأ العمل بها من ٢ سبتمبر ١٩٩٠م، وأصبح العمل بها ملزمًا للدول الموقعة على الاتفاقية.

وتتضمن الاتفاقية المذكورة، العديد من الحقوق للطفل، منها:

- حق الطفل الأصيل في الحياة.
- حق الطفل في الحصول على اسم منذ ولادته.
- حق الطفل في اكتساب جنسية.
- حق الطفل في معرفة والديه، وتلقي رعايتهما، وما يقتضيه ذلك من عمل الدول على جمع شمل الأسرة.

- حق الطفل في تكوين آرائه الخاصة، والتعبير عن تلك الآراء في المسائل التي تمسه.
- حق الطفل في الحصول على المعلومات، ونقلها بالكتابة أو بالرسم، أو بأي صورة أخرى مناسبة.
- حق الطفل في حرية التفكير والوجدان والدين.
- حق الطفل في عدم المساس بشرفه أو بسمعته.
- حق الطفل في إعلام مناسب لسنه وعقله.
- حق الطفل في السلامة البدنية والعقلية والنفسية.
- حق الطفل في السلامة من الاستغلال الجنسي له.
- حق الطفل المعوّق في حياة كريمة، في ظروف تكفل له كرامته، وتعزز اعتماده على النفس.
- حق الطفل في أفضل مستوى من الرعاية الصحية.
- حق الطفل في التعليم المجاني.
- حق الطفل في الراحة ووقت الفراغ، ومزاولة الألعاب.
- حق الطفل في الحماية من الاستغلال الاقتصادي، بتشغيله في أحد الأعمال الربحية.
- حق الطفل في عدم التجنيد.

> أهم ما يتعلمه الطفل في صغره، هو أن البكاء والصراخ لا يجديان مطلقًا، ومهما طالت مدة الصراخ، ومهما ارتفع الصوت، لا يأبه له أحد، وإلا اعتاد هذا الأسلوب في ابتزاز الأهل

**تطبيق حقوق الطفل في الحياة اليومية**

من يأت إلى الغرب لأول مرة، ويدقق البصر فيما يراه، فستلفت نظره ظاهرة عجيبة، هي أن الأطفال هنا لا يصرخون كأطفالنا! طوال الوقت، ففي المتجر لا ترى الطفل يضرب أمه، ويركل ويصرخ بتشنج، لأنها لا تريد شراء الحلوى له، من ثم لا ترى الصفعات تهوي على وجهه بمناسبة وبدون مناسبة. السبب في ذلك أن الأمهات والآباء هنا، يعتبرون هذا الكائن الذي لا يزيد طوله على نصف متر إنسانًا كاملاً، يناقشونه في كل شيء، ويستمعون إليه باهتمام بالغ، ويتبادلون معه الحجج، حتى يقنع أحدهما برأي الآخر.

**في مترو الأنفاق**

رأيت طفلاً لا يتعدى الخامسة من عمره يجلس في مترو الأنفاق، وبجانبه أمه، وقبل أن يتحرك المترو من المحطة يقول الطفل لأمه اسم المحطة التالية، وفي كل مرة يقول اسمًا خاطئًا، فتصحح له الأم اسم المحطة بهدوء، وتبدأ في استعراض المبررات لقدوم المحطة التي ذكرت اسمها، وليست التي ذكرها الطفل، ويطول النقاش حتى تأتي المحطة التالية. واستمر الحال على ذلك مدة ثماني محطات، وهما في حوار مستمر، أصابني بالصداع، ولكنني تعلمت في النهاية أن الطفل قد تعلم الكثير جدًا، ليس أهمها أسماء محطات المترو.

تعلم الطفل أن من حوله يصغون إليه، ويحرصون على فهم آرائه، وعليه أن يقول كلامًا جادًا، ومقنعًا، فكر فيه كثيرًا قبل أن ينطق به. تعلم أن يستمع إذا تحدثت الأم، وألا يقاطعها، لأنها ستعطيه فرصة كافية للكلام، تعلم ألا يرفع صوته مادام كلامه يصل بالصوت المنخفض أيضًا، تعلم أن الأفكار تصل باللسان، ولذلك لا داعي للجوء إلى اليد أوالرجل، للتعبير عن أي مشاعر تخالجه. تعلم أنه إنسان له مكانته التي يحترمها الكبار.

**في محل الملابس**

لا يخطر على بال الكثيرين في الغرب أن يشتروا للطفل هدية عبارة عن ملابس يرتديها، لأن الملابس

يعتبرونها شيئًا يعبر عن شخصية كل فرد، ومادام الطفل له حق التمتع بالفردية فلا يجوز أن تفرض عليه، ما لا يتفق مع تفرده هذا. ولذلك ففي أقسام ملابس الأطفال ربما تجد أماكن للعب الأطفال، ولكن ليس الهدف منها أن تترك الطفل يلعب، لتعود بعد الانتهاء من شراء ملابسه بمفردك، بل للتفتيش عن الملابس التي ستعرضها عليه، في إطار المبلغ الذي لا تريد أن تتجاوزه، ثم تعود إليه ليختار، ويلبس هذه الملابس للتجربة، والنظر في المرآة، وعندها وبعد أن يصدر منه الحكم بالموافقة أو بالرفض، يمكنك فقط الشراء. بل إن هناك كثيرين من الآباء والأمهات ممن لا يتورعون عن ترك الأطفال من البداية لينتقوا ما يريدون دون تدخل منهم.

## في الروضة

يلتحق الكثير من الأطفال بالروضة في سن الثالثة بسبب عمل الوالدين، ويبدأ الطفل منذ نعومة أظفاره،



في تعلم كيفية التعامل مع مختلف الشخصيات، كيف يرد على الطفل العدواني، وكيف يكسب ود الآخرين، وكيف يتنازل عن لعبة تعجبه ليقدمها لآخر انتظره حتى ينتهي من اللعب بها من تلقاء نفسه، ودون شجار أو سباب.

يخصص لكل طفل مكان مستقل في الروضة يضع فيه أعماله الفنية، التي يتعلم من خلالها يومًا بعد يوم، كيفية التعبير عن نفسه. ويخصص مكان ثان للجاكت الذي يرتديه في الخارج فقط، بسبب برودة الجو.

وهناك لا تهتم المربيات بأن يكتسب الطفل الكثير من المعلومات في الروضة، بل يتعلم كيفية التعلم، كيف يستمع إلى المعلمة دون أن يشغل نفسه باللعب، وكيف يحافظ على دفاتره، وكيف يمسك القلم، وكيفية التلوين في دقة، وقبل ذلك كله، يتعلم أن يقول لا أو نعم، بعد أن يفكر، ويجد في نفسه ميلاً لأمر ما، أو يجد في عقله مبررات ترفض ذلك.

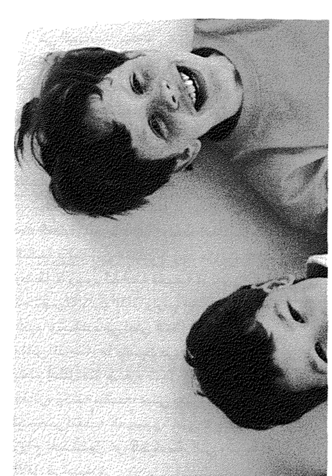
## في البيت

يحتل الطفل في البيت الغربي مكانة لا تقل عن الأب أو الأم، فرأيه موضع ترحيب واحترام، له أن يشارك في اختيار المنزل، والأثاث، وتصبح غرفته مملكة خاصة به، له أن يفعل فيها ما يشاء، بشرط مراعاة بعض الأساسيات التي يحددها الأهل.

ولكن حب الأهل للطفل لا يصل أبدًا إلى حد التدليل المفرط، فإذا لم يبدأ الطفل جملته الطلبية بكلمة (من فضلك)لا يجد من يرد عليه، وطبعًا لا وجود لخادمة فلبينية أو سيرلانكية تحضر له كوب الماء، وترتب له فراشه بعد النوم، وتساعده في لبس الحذاء، وتفتش له عن دفاتر المدرسة، ما يتسبب في فساد طباعه، بل يتعلم الطفل منذ صغره تحمل المسؤولية، يرتب دفاتره وكتبه بنفسه، حتى يعثر عليها، يقوم ليحضر لنفسه العصير، حتى لا يبحث في زواج المستقبل عن الخادمة، التي وفرها له الأهل في صغره.

ظاهرة ركض الأم وراء الطفل بطبق الأكل، لحشوه بالطعام لا وجود لها، بل من المستحيل أن يأكل الطفل وهو يلعب، فللطعام آداب لابد من اتباعها، ولا يقوم الطفل حتى ينتهي الآخرون. كما يتعلم الطفل منذ شهوره الأولى أن ينام بمفرده، له فراشه المستقل في غرفته، ولا يكون الانتقال للنوم مع الأهل، إلا في حالة المرض، والحاجة إلى الرعاية.

لكن أهم ما يتعلمه الطفل في صغره، هو أن البكاء والصراخ لا يجديان مطلقًا، ومهما طالت مدة الصراخ، ومهما ارتفع الصوت، لا يأبه له أحد، وإلا اعتاد هذا الأسلوب في ابتزاز الأهل، كما لا يتدخل أحد الوالدين بأسلوب مخالف لأسلوب الآخر، فإذا رأى الوالد مثلاً حرمان الطفل من نزهة، بسبب تصرف خاطئ ارتكبه، لا يطلب الآخر الصفح عنه. ولا يسعى الجد أو الجدة للضغط على الوالدين لإلغاء عقوبة ما، طلبًا في الحصول على حب الطفل، لأنهما يعرفان عواقب ذلك.



## بين الإفراط والتفريط

وعلى ما في مراعاة مصلحة الطفل من إيجابيات عديدة، فإن هناك تصرفات وقوانين، يرى الكثيرون أنها مفرطة في مصلحة الطفل، على حساب كل من حوله. فإذا قال الطفل في الروضة إن والديه يضربانه، وثبت ذلك من خلال تقرير طبي، فإن الأمر قد يصل إلى حد نزع الحضانة من الأهل، وتولي دوائر رعاية الأطفال والشباب الإشراف على ذلك.

وإذا تعرفت الابنة المسلمة على شاب غربي، وأقامت علاقة معه، فلا يحق للأب أن يمنعها من مقابلته، وإلا تعرض للملاحقة القانونية. ويكفي أن يتهم الطفل شخصًا بالغًا بأنه قام باستغلاله جنسيًا، لتدمير سمعة الشخص البالغ، وتقديمه للمحاكمة، بناء على رسومات للطفل، جرى تفسيرها على أنها تشير إلى حدوث مثل هذا السلوك الشائن.

ومن هذه المبالغات أن طفلاً في الروضة قام بالاعتداء الجنسي على أكثر من طفلة، وفي كل مرة كان أهل الطفلة يكتشفون ذلك، تفرض عليهم الروضة عدم تحذير الآخرين، ولا الحديث عن هذا الأمر خارج الروضة، حفاظًا على خصوصية الطفل، وسمعته، باعتباره غير مسؤول عن تصرفاته.

## والخلاصة

أن الطفل إنسان منذ ولادته، ينبغي ألا يؤدي ضعف قدراته البدنية والعقلية، إلى هضم حقوقه، بل لا بد من معاملته باحترام، وإشعاره بفرديته، وبحقه في التعبير عن رأيه، وتوفير أفضل الظروف الصحية والاجتماعية والتعليمية، حتى ينشأ جيل جديد واثق بنفسه، قادر على التفكير المستقل، والإبداع دون كبت لقدراته، وحط من مكانته، على طريقة (إذا تكلم الكبار، سكت الصغار)، أو (ادخل عند أمك).

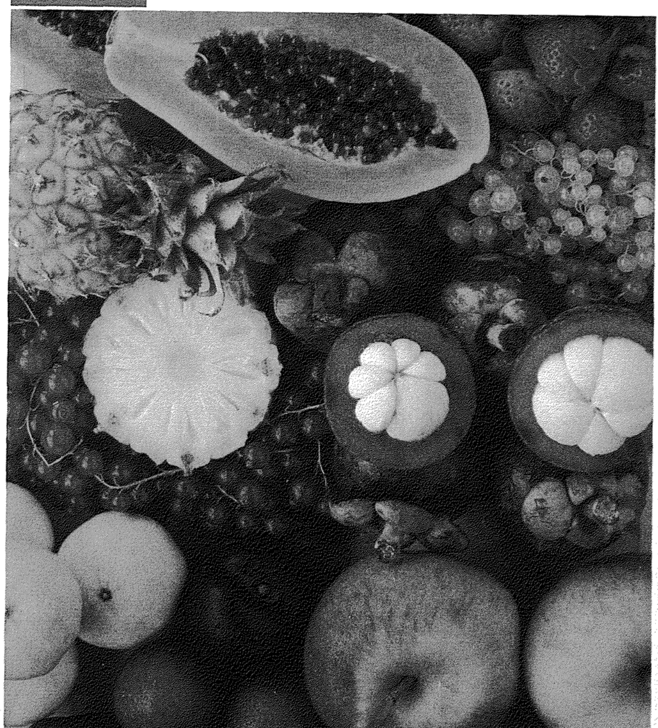
وفي المقابل لا يجوز أن نصبح أسرى للطفل العنيد، الذي نتحمل نحن مسؤولية سوء تربيته، ولا أن نعطيه من الحقوق، ما يجعل كل من حوله أسرى لمزاجه، وأهوائه.

يمكن أن نجد في المواثيق الدولية ما نستفيد منه في وضع تصور لمستقبل أفضل، ويمكن أن نكتسب من المهارات التي جرى تجربتها في الغرب ما نعزز به تجاربنا. ■

أصحاب « الكروش » أكثر احتمالاً لأن يكونو «أغبياء»! :

# غذاء أفضل.. لذكاء أفضل

دلال عبدالله . الرياض



**«أنت ما تأكل» هذا ما أثبتته الأبحاث العلمية الأخيرة على المخ كعضو نام، يتأثر بالعناصر الغذائية سلبًا أو إيجابًا، ويكون بذلك الغذاء عاملاً مهمًا ومؤثرًا على وظائف المخ، ما بين الانفعالات، والإحساس بالألم، وتنشيط الذاكرة والوقاية من الأمراض التي تصيب الدماغ مثل: الزهايمر والسكتة الدماغية وغيرهما.**

وبما أننا في عصر المعرفة والمعلومة والإبداع فقد حل الدماغ مكان قوة العضلات التي كانت مسيطرة في العصور السابقة، فأصبحت الأبحاث والتجارب على المخ أكثر جدية للبحث عن المكملات الغذائية التي ترفع من أدائه وكفاءته، والوقاية من تدهور وظائفه، وهو ما أدى إلى ظهور علم جديد اسمه (علم الأعصاب المتعلق بالتغذية) Nutritional Neuroscience

لذلك حين تقرر مواكبة هذا القرن، وتحقيق النجاحات في مختلف جوانب حياتك، فإنك تحتاج إلى الاهتمام بغذائك ونوعيته لتعزيز قدرات عقلك الذهنية، وضبط المهارات العصبية العضلية، والاستفادة من طاقات المخ.

### كيف يتأثر المخ بالعناصر الغذائية؟

يتم ذلك عن طريق النواقل العصبية (ساعي البريد) التي تؤثر في أداء المخ بحسب العناصر الغذائية الموجودة في الطعام والمكملات الغذائية (الرسالة المتلقاة) يكون التأثير معتمداً على نوع النواقل التي يصنّعها جسمك، وتؤثر في النشاط الذهني والسلوك الدماغي لك فتحدد بذلك تفكيرك وذكاءك ونوعية سلوكك، فالمخ هو مخزن الذاكرة والإبداع والذكاء، وقد تم اكتشاف خمسين ناقلاً إلى الآن. نذكر منها على سبيل المثال:

**التريبتوفان:** وهو حمض أميني يحصل عليه الجسم من البروتين، ويقوم على إنتاج كميات من «السيروتونين» التي تسبب الخمول، والتقليل من الإحساس بالألم، وتحسين المزاج، وأيضًا تقوية الذاكرة.

**التيروسين:** الذي يصنع «الدوبامين» المسؤول عن التوافق الحركي، والتحكم في الدورة الدماغية، وهو حمض بروتيني.

**الكولين:** الذي يصنع «الأسيتل كولين» المهم للحفاظ على الذاكرة، والداعم للقدرات الاستجابية.

بالإضافة إلى الأحماض الأمينية، فالمخ يحتاج إلى الفيتامينات والمعادن، والأحماض الدهنية غير المشبعة، وكذلك يحتاج لكيْ يعمل بكفاءة إلى الاحتفاظ بمستوى السكر، حيث إن التأرجح في مستواه يؤثر في وظائفه، فعلى الرغم من صغر حجم الدماغ الذي يبلغ ٢٪ من وزن الإنسان، فإنه يستهلك ٢٥٪ من طاقة الجسم الكلية!!

لذلك ضع في بالك بأن ما تأكله سيحدد مدى نشاطك الذهني، وقوة ذاكرتك، ونوع طاقاتك الإبداعية والعاطفية، وأن نقص أحد العناصر الغذائية سبب لا يستهان به في الإصابة باضطرابات الذاكرة، وقلة النشاط العقلي، وتدني مستوى الاستيعاب، والشلل الرعاشي، والسكتات الدماغية.

### ما العناصر التي ترفع من طاقة المخ والقدرات العقلية في غذائك؟

**الفيتامينات:** توصل فريق أبحاث في جامعة نيو مكسيكو بعد عمل اختبارات التفكير Thinking tests_ على مجموعة من الأشخاص إلى اقتران ارتفاع مستويات الفيتامينات في الدم بنتائج أفضل بالاختبارات الذهنية.

وقد تناولت البحوث التي تتعلق بالفيتامينات التي تؤثر في تنشيط القدرات الذهنية مجموعة كبيرة من الفيتامينات على رأسها:

**الثيامين:** ويسمى «فيتامين الأعصاب»، حيث إن له قدرة على التحكم في المزاج، ونقصه يؤدي إلى الإجهاد والإرهاق والانطواء، أما لدى الأطفال فقد أدى إعطاؤهم جرعات من الثيامين إلى اطراد سرعة ردة الفعل، والذكاء، وحدة الإبصار، والذاكرة. ويوجد في: الحبوب الكاملة، والفستق، والنخالة، وحبوب الخميرة.

**النياسين:** وهو فيتامين الذاكرة، إذ يساعد

على تنشيط أداء كل من الذاكرة قريبة الأجل، وبعيدة الأجل والذاكرة الحسية، وكذلك يحسّن تدفق الدم إلى المخ، وينشّط إنتاج الطاقة في الخلية. وكذلك وجد رابط بين النياسين ومرض الفصام، حيث يؤدي تعاطيه إلى تقليل أعراض المرض ويوجد في كل من: الحبوب، واللحوم، والتونة، والفواكه المجففة، ومشتقات الحليب.

**فيتامين ب١٢** cobalamin: يؤثر نقص هذا الفيتامين في المخ والجهاز العصبي، ويؤدي إلى الإصابة بما يسمى بـ«الشيخوخة الكاذبة»، ويساعد تعاطيه على تثبيط الهوموستايين، والوقاية من الاضطرابات العصبية. ويوجد في: اللحوم، والأجبان، وثمار البحر، والبيض، والبطاطا، والسبانخ، والهليون، والقمح.

**فيتامين ب ٦:** يساعد على تحسين أداء الذاكرة، وله دورة في تثبيط الهموستايين، وأيضًا الأحماض الأمينية، كذلك له ارتباط بمستوى السيروتونين بالمخ، ويوجد في: الكبد، ورشيم القمح، والموز، والأرز، والقرنيات: كالفول، والعدس، والحمص، والخضار، والحبوب.

**الريبوفلافين ب٢:** يؤمن انتقال الفسفور إلى الخلايا العصبية اللازم لبنائها، ويؤدي نقصه إلى الإصابة بضعف الذاكرة، ويوجد في: خميرة البيرة، والأسماك، والخضار الخضراء، والفواكه، ورشيم القمح.

**فيتامين هـ** : يحمي هذا الفيتامين المضاد للتأكسد، دهن الأغشية الخلوية في الجسم، خصوصًا غشاء خلايا المخ الذهنية، وكذلك يسبب تعاطيه اتساع الأوعية الدموية ووصول الأكسجين إلى المخ، ويقلل من فرص الإصابة بمرض الزهايمر، ويوجد في: الأفوكاتو، والملفوف، والذرة، والكبد، واللوز، والبندق، والبيض، والبندورة، ورشيم الحبوب.

**فيتامين ج:** وهو مضاد للتأكسد ومهم في تنشيط الأداء الذهني، ويحافظ على المخاخ المسنة، كما أنه مضاد للسكتات الدماغية، وينظم تدفق الدم في الأوعية الدموية.

*** المعادن:**

**الحديد:** يحتاج المخ إلى كريات الدم الحمراء للعمل، والتي بدورها تتركب من الحديد، لذلك فالحديد يحسّن وصول الأكسجين إلى المخ.

**الزنك:** يرتبط بالسموم، ويخلص المخ منها، وقد أثبتت الأبحاث ارتباط الزنك والحديد بضعف الذاكرة والاستيعاب الفكري، ويوجد في: المحار، والأسماك، والحبوب الكاملة والخضار.

**السيلينيوم:** يحتاج إليه المخ لتنشيط النواقل العصبية، كالسيروتونين والدوبامين والأدرينالين، ويحتاجه مضاد التأكسد الجلوتاثيون، ويوجد في: الحبوب، والثوم، واللحم، والتونة، والأسماك عمومًا.

ومن المعادن كذلك المغنيسيوم والمنجنيز والنحاس، وتجدر الإشارة إلى أن حاجة الجسم إلى هذه المعادن قليلة جدًا يستطيع تأمينها من خلال وجبة متنوعة.

*** السكريات:**

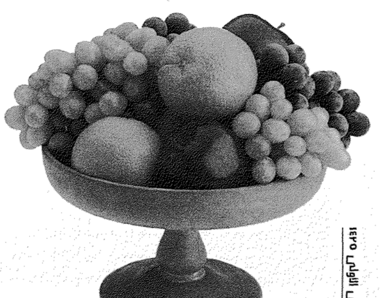
تحتاج الخلايا العصبية إلى مستوى معين من سكر الدم «الجلوكوز» ليس شديد الارتفاع أو الانخفاض كي يستطيع تأدية الوظائف على أكمل وجه.

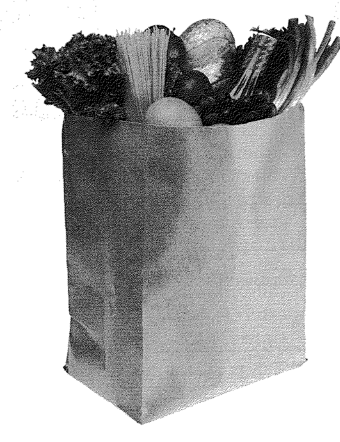
فحين تقوم بجهد ذهني يستهلك المخ سكر الدم، لإنتاج الطاقة اللازمة، ومن ثم يحتاج إلى تعويض الاستهلاك المستمر للجلوكوز والاحتفاظ باستمرارية النشاط الذهني، والقدرات العقلية على أكمل وجه.كذلك ينشط السكر الناقل العصبي«الإستيل كولين».

ويفضل استهلاك السكريات بطيئة الهضم، وذات معامل تسكر منخفض يؤدي إلى زيادة مستوى الكوليسترول النافع HDL ، ويزيد من استجابة الجسم للإنسولين، حيث إنها ترفع من مستويات سكر الدم تدريجيًا مثل: الفاكهة، والخضراوات، والبقول، وعسل النحل.

*** الأحماض الدهنية:**

مثل ما هناك دهون ضارة بالجسم، وتكون هي





السبب الخفي خلف العديد من الأمراض التي تصيب الجسم، فإن هناك دهونًا ضرورية لا غنى عنها للجسم (للمخ خصوصًا)، تساعد على تحديد نوع النواقل العصبية، ونشاط الهرمونات والجينات التي تختص بالحالة الشعورية لنا.

أما أنواع هذه الدهون الداعمة لعمل المخ فهي:

* دهون أوميجا - ٣، وتوجد في الأطعمة البحرية.

* دهون أوميجا - ٦، وأيضًا توجد في الأسماك وزيت السمك.

* حمض اللينولينيك ويوجد في المكسرات، والأوراق الخضراء، وزيت بذرة الكتان.

* دهون أحادية التشبع مثل زيت الزيتون،وتحتوي على مضادات للتأكسد، ولا تسبب أضرارًا على الأوعية الدموية.

أما ما يجب الابتعاد عنه من الدهون فهي الدهون الحيوانية المشبعة، والتي توجد في اللحوم، والألبان، والزبدة. وكذلك الزيوت المهدرجة مثل: السمن النباتي، والمايونيز.

*** قليل من الكافيين، كثير من النشاط:**

إذا كنت ممن ليس لديهم حساسية ضد الكافيين، فإن فنجانًا من الشاي والقهوة يعزز أداء المخ الذهني وينشط الذاكرة، حيث يعمل الكافيين على تثبيط داء الناقل العصبي «الأدينوزين» Adenosine المتخصص في حث المخ على السكون، وقلة النشاط الذهني، وأيضًا بدعم إفراز الأدرينالين. وأكثر ما يوجد الكافيين في القهوة ثم الشاي.

ويجب التنبيه هنا إلى أن الإكثار من تعاطي المصادر التي تحوي الكافيين قد يؤدي إلى نتائج عكسية، ولن يزيد من كفاءة عمل المخ إطلاقًا، لذا يجب الابتعاد عن مصادره الضارة مثل الكولا بأنواعها.

*** نبتة الحياة «الجنكة»:**

تساعد نبتة الجنكة على دعم الدورة الدموية والأكسجين داخل الشعيرات الدمويةفي المخ، وهي من أهم منشطات المخ وتعزيز الذاكرة، وكذلك للجنكة قدرة على تقليص الإصابة بمرض الزهايمر، وتقليل الإصابة بأعراض الشيخوخة، وهي آمنة وليس لها مضاعفات تذكر.

**نصائح غذائية لقدرات عقلية أكثر كفاءة:**

* ابدأ يومك بوجبة فطور تحتوي على قطعة خبز، ولبن، وحبوب، حيث تعمل كضابط للمزاج وداعمة لعمليات العقل الذهنية، وخصوصًا للأطفال.

* تناول لحوم الأسماك والدواجن دون جلد، واللحوم الحمراء الخالية من الدهون وبمقدار ضئيل.

* قلل من السكريات والصوديوم في طعامك.

* ابتعد عن الأطعمة المعالجة.

* تناول البقوليات والمكسرات.

* عليك بالفاكهة والخضراوات، وإن كنت من المقلين بها فيجب أن تأخذ المكملات الغذائية الجاهزة من الفيتامينات والمعادن.

* تؤثر السمنة، وخصوصًا الكرش بالنسبة للرجال في الذكاء، حيث تعيق السمنة من انتقال الدم إلى الدماغ بحرية.

* ممارسة أنشطة ذهنية وعقلية يساعد على ارتفاع معدل الذكاء، حيث وجد ارتباط كبير بين مستوى التعليم وانخفاض معدلات حدوث اضطرابات الذاكرة.

* الابتعاد عن التدخين، حيث يساعد على زيادة فرص اضطرابات الذاكرة.

* تساعد التمارين في الهواء الطلق على زيادة وصول الدم إلى المخ لتنتج مادة الإندورفين التي تعطي الشعور بالثقة والراحة والتفاؤل.

* الرضاعة الطبيعية تزيد من معدل ذكاء الطفل بنسبة كبيرة ■

# قل «لا» لملفات التجسس

# Ad-Aware

**النسخة :** ٥,٠٠

**الحجم :** ١,٥ ميغا تقريبًا

**موقع التحميل :** www.lavasoftusa.com

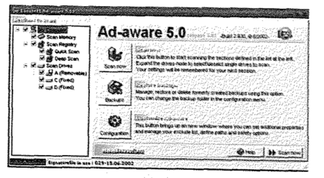
**متوافق مع :** Windows 98/98SE/ME/NT4, Windows 2000 + Windows XP

منى الخضيري - الرياض

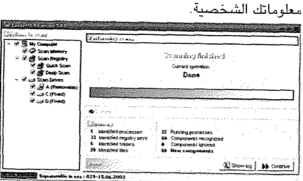
برنامج رائع يقوم بتنظيف جميع ما يلتصق بجهازك من ملفات التجسس خلال زيارتك لأحد المواقع التي تقوم بجمع معلومات عن زوارها، أو حتى التي تأتي مع البرامج التي تقوم بتركيبها على جهازك. وكلها تقوم أحيانًا بفتح ثغرات تسهل عملية الاختراق أو التجسس؛ ولأننا كلنا بالطبع لا نريد هذا الأمر أن يحدث، نقوم بفحص الجهاز دوريًا للبحث عن هذه الملفات وحذفها بأمان. أيضًا يقوم البرنامج بعمل نسخة احتياطية لسجلات النظام في حال حدوث خطأ في النظام.

بعد تحميل البرنامج من الموقع وتثبيته على النظام وتشغيله ستظهر لنا نافذة البرنامج، نقوم بتحديد المواقع التي نريد فحصها وطريقتها، إما عميقًا أو سريعًا للبحث عن ملفات التجسس.

الأفضل أن نقوم بتحديدها جميعها، وذلك عن طريق وضع إشارة على My Computer، ثم ننقر على زر الفحص Scan now.

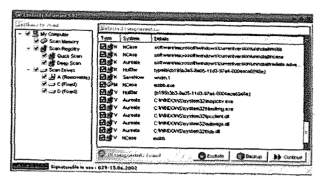



عند الانتهاء من عملية المسح ستظهر لنا قائمة تحتوي على الملفات وسجلات النظام التي تحتوي على ملفات تجسس تقوم بسرقة معلوماتك الشخصية.




قم باختيار الملفات التي تريد حذفها، أو قم باختيارها كلها، واستثناء الملفات التي لا تريد حذفها لحاجة بعض البرامج إليها وانقر على زر Exclude كي يتم استثناء هذه الملفات في عمليات البحث القادمة ولا يتم حذفها.

وبزر Backup تقوم بعمل نسخ احتياطي لاستعادته في أي وقت لاحق عن طريق الزر نفسه في الصفحة الرئيسة.



الآن نقوم بالنقر على زر continue، عندها ستظهر رسالة تأكيد الحذف، قم بالموافقة عليها وسيقوم البرنامج بحذف هذه الملفات.

من خلال الصفحة الرئيسة نجد الخيار الثالث وهو Customize Ad-aware، وهو لتعديل بعض خصائص البرنامج كاللغة وعمل البرنامج في بداية تشغيل ويندوز. ■

# أسرار لوحة المفاتيح

هناك اختصارات مفيدة للوحة المفاتيح تستطيع استخدامها عوضًا عن استخدام الطرق التقليدية لتنفيذ أوامر عديدة خلال عملك على الحاسب، احتفظ فقط بهذه الأوامر فقد تحتاج إليها لو تعطلت فأرتك مثلاً:

* Ctrl+Enter لكتابة www وcom سريعًا لأي موقع تريد زيارته، اكتب اسم الموقع فقط.
* F2 عندما تحدد ملفًا وتريد تغيير اسمه سريعًا.
* F3 للبحث عن أي ملف.
* F4 لإظهار عناوين الإنترنت السابقة في المتصفح أو للانتقال السريع في أي مجلد في الجهاز.
* F5 لتحديث الصفحة.
* Ctrl+A يعمل على تحديد النص والصور بالكامل.
* Ctrl+C يعمل على نسخ النص أو الصورة المحددة.
* Ctrl+V للصق ما تم نسخه.
* Ctrl+X للصق ما تم تحديده.
* Ctrl+Z للتراجع عن أي أمر سابق.
* Ctrl+P أمر طباعة.
* Ctrl+O أمر فتح ملف أو صفحة إنترنت.
* Ctrl+B لتنسيق الخط في الوورد للعريض ولتنظيم المفضلة في المتصفح.
* Ctrl+D لفتح نافذة تنسيق الخط في الوورد ولحفظ صفحة الإنترنت في المفضلة.
* Ctrl+F للبحث السريع عن أي كلمة.
* Ctrl+S لحفظ أي ملف.
* Clt+F4 يقوم بإقفال جميع النوافذ المفتوحة.
* Alt+Esc للتنقل السريع بين النوافذ المفتوحة.
* Alt+Tab لاختيار صفحة معينة بين النوافذ العديدة المفتوحة.
* Delete+shift للحذف النهائي لأي ملف فلا تحفظ في سلة المحذوفات.
* Alt+shift اليسار يقوم بتحويل اللغة من عربي إلى إنجليزي.
* Alt+shift اليمين يقوم بتحويل اللغة من إنجليزي إلى عربي.

# أفكار وحيل

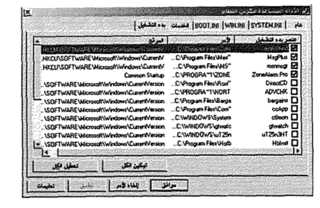
للتخفيف من الضغط على الرام في جهازك الشخصي، ولتسريع خطواته، ليس عليك سوى اتباع هذه الطريقة الآمنة لإلغاء البرامج التي تعمل في بداية تشغيل الجهاز والتي تحد من سرعة الجهاز.

**لمستخدمي نظام XP**

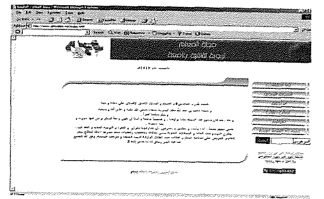
اذهب إلى ابدأ - تعليمات ودعم - استخدام الأدوات لعرض معلومات الكمبيوتر وتشخيص المشكلات، عندها قم باختيار الأداة المساعدة لتكوين النظام، ومن الجهة المقابلة قم باختيار فتح الأداة المساعدة لتكوين النظام، ستظهر رسالة اختر منها بدء التشغيل، عندها قم بإزالة العلامات من على البرامج التي لا تريد لها أن تعمل في بداية تشغيل الويندوز. وتذكر أن إزالتها لا يعني حذفها وعدم عملها مرة أخرى بل تعطيلها من العمل في بداية تشغيل الويندوز. ولإزالتها دفعة واحدة نختار تعطيل الكل، أو نحدد بأنفسنا البرامج، وننصح بترك برامج الحماية تعمل في بداية التشغيل. بعدها سيقوم بطلب إعادة تشغيل الجهاز لتصبح الإعدادات نافذة، عند إعادة التشغيل ستظهر رسالة تفيد بأنك تستخدم أداة المساعدة لتكوين النظام قم بالموافقة وطلب عدم عرض الرسالة مرة أخرى.

**لمستخدمي ويندوز ٩٨ وme**

ابدأ - البرامج - البرامج الملحقة - أدوات النظام - معلومات النظام، عندها ستظهر نافذة نختار منها أدوات، ثم الأداة المساعدة لتكوين النظام ونكمل بالخطوات السابقة نفسها بإزالة البرامج غير المرغوب فيها.



# مواقع مميزة



### مجلة المعلم

www.Almualem.net

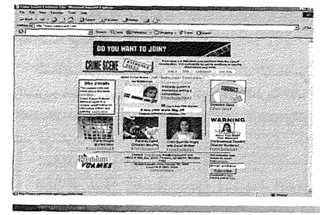
موقع يهتم بشؤون المعلم، يحتوي على مقالات عدة حول التعليم والتربية، أيضًا يوجد قسم خاص للدردشة الحية ومنتديات للحوار ■



### الخلاصة

www.alkhulasah.com

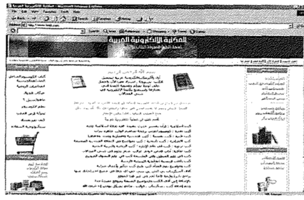
موقع جميل يوفر خلاصات أشهر الكتب العربية والعالمية للأشخاص المنشغلين كثيرًا ■




### موقع الجريمة

www.crimescene.com

فكرة هذا الموقع متميزة، حيث إنه يضع كل فترة قصة حادثة معينة يقوم الزوار بتحليلها والمشاركة في اكتشاف الجاني فيها ■




### المكتبة الإلكترونية المجانية

www.fiseb.com

موقع عربي يحتوي على عدة كتب في عدة مجالات خاصة منها: الحاسب ،والدين، والعلم والاقتصاد. يمكن تحميلها على الجهاز وقراءتها ■

## تربية الطفل في عالم متوتر

# لا تتحمس أن يكون «خارقاً» اجتهد أن يكون «سعيداً»

**عنوان الكتاب** :تربية طفل هادئ في عالم مضطرب
**المؤلف** : ديفيد ريان ماركس
**الناشر** : مكتبة جرير. الرياض




من عناصر تميز هذا الكتاب عن قائمة الكتب المشابهة له عرضًا ومحتوى استخدام المؤلف في ثنايا أجزائه الثلاثة للدليل العلمي من نتائج الأبحاث والملاحظات المستقاة من الممارسة الطبية، وسرده بعض القصص الواقعية التي واجهته، أو واجهت من عرفهم، أو قرأ أو سمع عنهم من الآباء والمعلمين. هذه المزاوجة خرجت بالكتاب من التنظير العلمي إلى متعة تنأى بصفحاته عن الرتابة، وقدمته كوصفة متعددة الفوائد (طبية ونفسية واجتماعية). ولعل مرد ذلك إلى تعدد مجالات واهتمامات المؤلف، فهو طبيب باطني درس الإدارة العامة، وامتهن الصحافة!!

اختار المؤلف حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م كحقيقة كارثية اخترقت الجدران التي أقامها أولياء الأمور (خصوصًا في أمريكا) حول أطفالهم بغرض التدليل على حقيقة الضغوط التي يتعرض لها الصغار، وتأكيد أن هذا الحدث خلف وراءه ضحايا آخرين زحف إليهم الشعور بعدم الأمن والخطر فجاءت استجابتهم الفطرية البديهية منطقية نتيجة لإحساسهم بما يعاني البالغون حولهم قلقًا واضطرابًا. ويصف المؤلف تعاطي الأطفال مع مثل هذه الأحداث في كونهم يختلفون عن البالغين بحاجتهم إلى مزيد من الوقت كي يعبروا جراءها عما بداخلهم. ويمثل هذا التعبير جزءًا من العملية الترويحية التي تلي الحادث المؤلم. ولن يستطيع الآباء - مهما حاولوا - من منع اكتشاف أطفالهم لما يجري حولهم. لذا فالحل يكمن في التمهيد الجيد لإخبارهم بهذه الحقائق، وبوجودها في المحيط بشرط أن يكون الأطفال على درجة كافية من النضج للاستيعاب. وفي حال ظهور بعض مظاهر القلق فإنها تعالج ببعض الخطوات

كالالتزام بالروتين والتبرعات لأسر الضحايا، وإيجاد الوسائل التي تشعر الأطفال بمدى حب الآباء لهم.

ينتقل المؤلف من هذا المدخل ليصف الضغط الواقع على الأطفال (بصيغته الأمريكية) بشكل أوسع، مبينًا أن المشكلات التي تواجه أطفال اليوم قد تخطت خطورتها الأخطار التي واجهها (المؤلف) وجيله. فبالإضافة إلى المشكلات التقليدية مثل: الهرمونات، ومشكلات البلوغ والأسرة، فإن هناك مشكلات حالية أشد خطورة مثل الإيدز والمخدرات والعنف.

ويحمّل المؤلف الأغاني، والموسيقا، والخمور، وإعلانات السجائر، وأغلفة المجلات، وأدوات تجميل الفتيات الصغيرات، وخطوط الموضة مسؤولية تحطيم براءة الأطفال، ودفعهم بشتى الطرق تجاه النمو بصورة أسرع من الوضع الطبيعي. ومن جهة أخرى فإن حس الإعلام الضخم يقدم صورًا مثالية للراشدين تحث الأطفال بأن يصبحوا أكبر سنًا وأكثر نحافة وشهرة وإغراء، وهذا النوع من الثقافة (السائدة) يولد لدى الأطفال الرغبة في السعي وراء المستحيل!!

**العالم الداخلي**

تحت هذا العنوان يستهل المؤلف الجزء الثاني من الكتاب، مشيرًا بأصبع الاتهام إلى الأسرة بأنها أهم مصدر للضغوط على الأطفال بما تتبناه من تعريفات ومفاهيم لمعنى النجاح ألغت الخط الفاصل بين الطفولة والنضج، حيث انحصرت أهداف الحياة لديها في الثروة والنفوذ والشهرة وشغل الوظائف المرموقة. وربما لا تكون هذه الأهداف هي الأكثر أهمية أصلاً، إلا أن كثيرًا من الناس قد دفنوا الأهداف الحقيقية مثل السعادة والثقة بالنفس والصحة العاطفية تحت وطأة الأنشطة لإنتاج أطفال خارقين!! ويعزو المؤلف هذا التوجه لدى الآباء إلى رغبتهم في تحقيق غايات مترسبة منذ طفولتهم، أو إلى تطلعات مغروسة فيهم، ما يجعل من الأبناء نماذج مصغرة لهم.

وغالبًا ما يظهر على الأطفال علامات معينة في حالة شعورهم بالإحباط، أو حينما يتعرضون لخطر الإجهاد الشديد. بعض هذه الإشارات يراه المؤلف واضحًا، ولا سيما مع براعة الأطفال في إظهارها، والتي تقل عنها قدرة الآباء على ملاحظتها، في تجاهلها أو في إيجاد تفسيرات منطقية لها. ومن الطرق التي يقرها المؤلف لاكتشاف مؤشرات الضغوط: الحوار، والملاحظة، والتفسير، والتفاوض. ويؤكد الخبراء في هذا الصدد أن الفئة العمرية غالبًا ما تكون هي المحكّم الأول لمثل هذه المؤشرات.

ولأن تكديس جداول الأطفال قد يكون خطرًا على نموهم الطبيعي فإن المؤلف ينادي بضرورة إطلاق الأطفال للعب واستكشاف العالم المحيط بهم، لما للعب من دعم لقدراتهم على الإبداع والتواصل وحل المشكلات. فهناك العديد من الأطفال المثقلين بالأنشطة التعليمية يعانون «قلة الحيلة المكتسبة» ولا يمكن إخراجهم إلا بعد التفلت من دوامة الحياة السريعة.

ويعد التشجيع من الممارسات الثقافية الشائعة التي يقوم الآباء بها لإخراج أفضل ما لدى أطفالهم، لكن بعض الآباء لا يفرق بين تشجيع الأبناء الهادئ، ودفعهم إلى هاوية الآمال المستحيلة!! ويرتبط بهذا المعنى (التشجيع) بث روح منافسة الأقران، وإلحاق الأبناء في المدارس مبكرًا لضمان استمرارية نجاحهم. الأمر الذي يدل على خلل في فهم العملية التعليمية فهي ليست سباقًا تبدأ من نقطة انطلاق محدودة وتنتهي عند خط نهاية. فالأطفال سيصلون إلى غاياتهم عاجلاً أو آجلاً، حيث إن قدراتهم تنمو وتتطور بسرعات مختلفة. وعلى هذا يجب تأكيد ضرورة أن تتلاءم مهام الطفل مع مرحلته العمرية، حتى لا يتحول التعليم إلى مصدر للقلق والإزعاج.

إن أقصى ما يمكن للآباء أن يفعلوه خلال سنوات الحضانة هو أن يكتشفوا إمكانات أطفالهم الفعلية ليتمكنوا من إمدادهم بتحديات مناسبة، وأن يغرسوا فيهم حب التعلم خلال سنوات دراستهم. فالآباء حين يقرؤون الكتب والصحف ويتابعون الأخبار، ويناقشون الموضوعات والأحداث الجارية، فإنهم بذلك يظهرون لأبنائهم اهتمامهم بمعرفة ما يجري من حولهم، وينبه الكاتب إلى عدد من لوازم العملية التعليمية التي تثقل كاهل الأطفال كالواجبات المدرسية فيرى ضرورة أن تكون الواجبات المدرسية في حدود المنطق. ومما

يثبته الواقع الملاحظ أن مستوى الأطفال لم يتحسن على الرغم من أدائهم لكمية هائلة منها!! والمنح الدراسية التي تزيد من قوة الضغط على الأطفال، وبالمقابل فإن الاستمتاع بممارسة الرياضة يمكن أن يعلم الأطفال دروسًا مهمة ومفيدة عن المنافسة والفوز والخسارة.

**تهيئة جو من الاستقرار في عالم غير مستقر**

من الممكن أن يكون التوتر مدمرًا لنا ولأطفالنا، ولكننا في الوقت نفسه لا نرغب في الحياة دون التعرض له، فقليل منه ضروري، ومطلوب، لأن الحياة دون القليل من التوتر ستبعث على الملل والرتابة والسطحية. وسنفتقر إلى التغيير والإثارة ومتعة مواجهة التحديات.

ومن الحقائق الشائعة والمعروفة أن الآباء لا يستطيعون أن يحولوا دون تعرض أطفالهم لمواقف عصبية طوال حياتهم، لكنهم - من وجهة نظر المؤلف - يستطيعون تعليمهم كيف يتعاملون مع هذه المواقف ويقهرونها قبل أن تهزمهم وتؤدي بهم إلى الانهيار. إن «المناعة النفسية»




تعني أن نعلم الأطفال كيف يتعاملون بإيجابية مع المشكلات الصغيرة والكثيرة التي يواجهونها يوميًا حتى تصبح لديهم قدرة نفسية أكبر على التعامل مع عوامل الضغط الكبيرة بعد ذلك.

ويقدم المؤلف ست تقنيات يمكن للآباء استخدامها للسيطرة على التوتر وهي:

* ترك الأطفال يعبرون عن أنفسهم والبحث عن المدلولات الحقيقية لكلماتهم ورسوماتهم مع إشراكهم فعليًا في التجارب الخاصة.

* قيام الأطفال بأداء التمارين الرياضية (الآيروبيك)، والتي يمكن أن تتحقق في ممارسة بعض الألعاب كالتسلق وركوب الدراجة والتدحرج. ومن فوائد التمارين أنها تجعل الأعصاب تطلق مادة تسمى (أندروفين) في الجسم يعزى إليها تسكين الألم ورفع المعنويات، وتقليل معدل هرمونات الضغط والكورتيزول في مجرى الدم.

* التنفس بطريقة صحيحة، فقد أثبتت البحوث الطبية أن التنفس العميق يساعد على تخفيف بعض أعراض التوتر، وقد استخدم الصينيون طريقة التنفس العميق منذ قرون لتعزيز الصحة البدنية والذهنية.

* التخيل العلاجي، والذي يستثمر خصوبة الخيال لدى الأطفال للسيطرة على التوتر والوصول إلى الاسترخاء.

* التأمل بهدف تبديد طاقة الضغط الذهنية والجسدية الهدامة والتي تتراكم داخل أجسام الأطفال.

* التغذية الاسترجاعية الحيوية وهي تقنية السيطرة على العمليات الجسدية عن طريق معرفة رد الفعل. فبمجرد أن ينقضي أثر الاستجابات الجسدية (الأتوماتيكية) تساعدنا هذه التقنية على السيطرة عليها، بحيث تصبح استجابات إيجابية وذات فائدة للجسم.

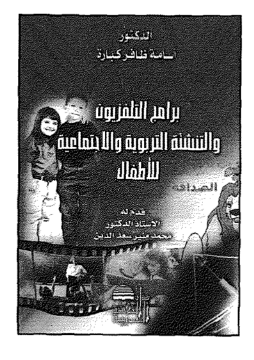
ويضيف المؤلف إلى ما سبق نصائح يمكن الاستفادة منها لرفع التوتر والضغوط على الأطفال كترتيب الأولويات والحصول على القدر الكافي من الغذاء والنوم وغيرها.

وينبه في خاتمة كتابه إلى أن الأمور الصغيرة كتعبيرات الوجه والإشارات والعبارات تعد رسائل تظهر مضامينها على أحاسيس الأطفال، وربما تبقى معهم طوال حياتهم!!

**الكتاب :** برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال .

**المؤلف :** أسامة ظافر كبارة .

**الناشر :** دار النهضة العربية ، بيروت .




يمثل هذا الكتاب بأبوابه الأربعة وصفحاته التي ناهزت الأربع مئة صفحة ومراجعه المتنوعة، مبحثًا شموليًا في نقطة التقاء جمعت التربية والإعلام: التربية في مرحلة الطفولة وأطوار وطبيعة نموها، والإعلام في تقنية التلفزيون وأدواره الحيوية. ويمكن اعتبار البابين الأول والثاني من الكتاب وما تضمناه من مفاهيم حول العوامل المساهمة في تنشئة الفرد وأنساق القيم الاجتماعية وتصنيفاتها التربوية والشرعية والمعاصرة - مدخلاً واسعًا للباب الثالث الذي أجمل المؤلف فيه تاريخ نشأة التلفزيون وخصائصه أداة ووسيلة، وواقع إنتاج البرامج العالمية والعربية الموجهة للأطفال.

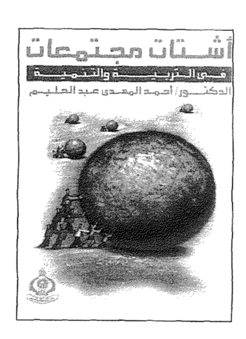
أما أبحاث تأثير التلفزيون وسيكولوجية الأطفال في التعامل مع هذا التأثير، فقد خصص المؤلف لأبرز نتائجها الباب الرابع ملحقًا به ملخصين لدراستين عن أنماط المشاهدة للأطفال في مدينة طرابلس (١٩٩٤م)، وموقف الأهل من تأثير التلفزيون ودوره في سلوك الأطفال (١٩٩٦م).

---

**الكتاب :** أشتات مجتمعات في التربية والتنمية

**اسم المؤلف :** أحمد المهدي عبدالحليم

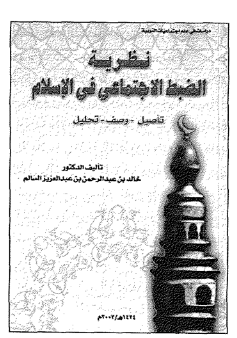
**دار النشر :** دار الفكر العربي . ٢٠٠٣م




يضم الكتاب مجموعة من الدراسات والبحوث تتآلف كلها في كيان واحد ألا وهو خطاب في التربية والتنمية. ويمثل كل فصل من فصول الكتاب معالجة مستقلة لموضوعه، ويمكن للقارئ أن يختار الفصل وثيق الصلة باهتماماته دون ترتيب تعاقبي في قراءة الفصول التي تناولت العناوين الثلاثة عشر التالية: انعكاسات وحدة الوجود في الفكر التربوي، الخلل العام في التربية والثقافة والإعلام، السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي، منهجية التعامل مع الفكر التربوي العربي، الجامعة مؤسسة للتغيير في عصر المعلوماتية، نحو مناهج لنماء العقل، تعليم القيم في نظم التعليم العربية، كيف نربي الطفل من أجل الإصلاح الحضاري، تعليم العربية في التعليم قبل الجامعي، اللغة العربية في الجامعات، البحث التربوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، تعليم الكبار، مصطلحات تربوية.

الكتاب : نظرية الضبط الاجتماعي في الإسلام

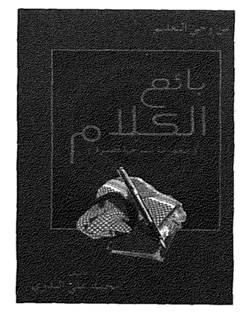
المؤلف : خالد عبدالرحمن السالم




كان الحافز لهذا المبحث - حسبما ذكر المؤلف في مقدمته - هو الحاجة إلى تأصيل إسلامي لموضوع (نظرية) الضبط الاجتماعي. بنى المؤلف الكتاب على خمسة فصول، اختص الفصل الأول منها بآراء العلماء (الغربيين خاصة) المفسرة للضبط الاجتماعي وبأبعاده وعلاقته بالتربية والانحراف، وبأهم الركائز الأساسية له في الإسلام. لينتقل منه (في بقية الفصول) إلى بيان المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية والمصادر الشرعية والبشرية المعتمدة للضبط الاجتماعي في الإسلام، ثم إلى إيضاح العوامل الأربعة المؤثرة فيه (الضرورات الخمس، العبادات، المعاملات، الأخلاق)، والمعايير التي يضعها الشارع لتحقيق الضبط الاجتماعي والتي تتدرج ما بين ملزمة ومفضلة ومثالية. ويختم المؤلف كتابه بوصف لخطوط العلاقات التي للفرد ومحيطه مثل: الوالدين، الأرحام، الجيران، المحتاجين...، وبنماذج من القيم المرغوبة والمذمومة.

الكتاب : بائع الكلام

المؤلف : محمد علي البدوي




في تسع مسرحيات قصيرة جدًا يحاول المؤلف، من خلالها معالجة عدد من القضايا التربوية في أسلوب سهل التناول، مستمدًا شخوصها من واقع المحيط الاجتماعي للطالب، ومركزًا فيها على استخدام الأساليب الفنية للمسرحية، كالمفاجأة وحوار الشخصيات المتباينة، والمواقف المتأزمة.
ويؤكد المؤلف في مقدمة مجموعته المسرحية أنه لايرمي إلى تصحيح الأخطاء المشاهدة، ولا إلى اقتراح الحلول لها، إنما هو يصور الواقع من وجهة فنية خالصة.

## معدل تراكمي للمرحلة الثانوية

## دعوة إلى التعاقل

## كعكة التقنية



# شيمة العطاء

إبراهيم مضواح الألمعي . رجال ألمع

المرحلة التاريخية التي نعيشها وتعيشها بلادنا تقتضي منا العمل بكل الجهد لتنشئة الشباب نشأة صحيحة، ليكونوا شبابًا يبنون ولا يهدمون، ويتدينون ولا يتطرفون، تدينًا يجمع ولا يفرق، ويؤلف ولا يشتت، ويحبب ولا يبغض، تدينًا يزين الحياة، ويتجمل بالفضائل.

شبابًا يعلمون ثم يعملون، ويعلون ولا يغلون، ويبدعون ولا يبتدعون، سيوفًا في أيدي قادتهم، لا حرابًا في خاصرة وطنهم.

شبابًا يعرفون حقوق الله فيؤدونها، ويعرفون حقوق وطنهم وولاة أمرهم فيحفظونها.

شبابًا يفون للثدي الذي أرضعهم سائغ اللبن، والنخلة التي أطعمتهم أطيب الثمر، والشجرة التي منحتهم وارف الظل، فلا يبقرون ثديًا أرضعهم، ولا يرجمون نخلة أطعمتهم، ولا يحرقون شجرة أظلتهم، ولا يكونون تجاه وطنهم كالذين:

تفيؤوا ظله في القيظ وانصرفوا

وقد بكى في الأيادي منهم الحجُر

شبابًا يعشقون الحياة، ويعملون على تطويرها وازدهارها، ولا يجتوونها، وينزوون عن مواجهة متاعبها.

شبابًا يتقنون ثقافة الحياة، لا ثقافة الموت، ويتقنون مع طبيعة الأخذ شيمة العطاء.

إن صبغ أبنائنا وشبابنا بهذه الصبغة هي مسؤولية عظيمة، ولا نشك في أن أكبر قدر منها يقع على عواتقنا نحن التربويين، وليس هذا ممكنًا ولا متأتيًا إلا عندما نكون نحن مصبوغين بهذه الصبغة، مؤمنين بها راضين، فهل نحن كذلك؟!

## أساليب التقويم الحالية لا تفي بالغرض

# الطالب البطل تحول إلى عاطل

ناصر محمد العمري . المخواة

في إحدى السنوات وفي مسابقة مركزية لألعاب القوى، شارك أحد الطلاب في المسابقة، ونال المركز الأول محققًا رقمًا قياسيًا يقل عن الرقم المسجل باسم بطل المملكة والخليج بثانيتين فقط، عدنا نحمله على الأعناق وصفقنا له طويلاً وما فتئنا نشيد به ونكرمه في كل مناسبة ومحفل. وفي نهاية العام وبعد ظهور النتائج كنا أول من توارى عنه لسبب يعلمه جميع العاملين معي في حقل التربية والتعليم وهو أن هذا الطالب مكمل في أكثر من مادتين، أظنها أربعًا، تم التجاوز عنه في اثنتين (الحسنة الوحيدة للنظام الحالي، إضافة إلى نظام التقويم المستمر)، فيما لم نستطع تقديم أي مساعدة له في المادتين الباقيتين!! وبعدئذ انقطع عن الدراسة وانضم إلى مجموعة من العاطلين وساءت حالته،وشانت سلوكياته، حتى إنه الآن أحد الشباب الذي يخشى على البقية من صحبته، مع العلم أنه كان من الطلاب الذين لم يسجل ضده ملاحظات سلوكية من فئة (الوزن الثقيل) وللأسف أننا رمينا به إلى المجهول، وحرمنا الوطن من مشروع بطل قومي . هذه هي مدارسنا مع الأسف الشديد بسبب الأنظمة والقوانين الصارمة التي لا تعير الفروقات بين الناس اهتمامًا ولا تقيم لها وزنًا - من غير المنطق ولا المعقول أن يكون الإنسان وعاء ومرجعية لجميع من حوله (عدم إلمام ومعرفة أحد اللاعبين المرموقين حاليًا بحل مسألة رياضية أو كيميائية لا يعني أنه فاشل) قد يقول قائل عن هذا الطالب المثال لماذا لم ينضم إلى ناد يتبنى موهبته؟، وأنا أقول لماذا لم تقم المدرسة بواجبها تجاهه بتبني موهبته قبل النادي؟ وأين دور المدرسة التي يفترض بها أن تعد الإنسان للحياة وفق ميوله وقدراته؟ وليس وفق أنظمة وقوانين قاصرة عن استيعاب موهبته وقدراته؟ وعلى هذا الأساس يفترض أن تقبل المدرسة

فئة معينة من الطلاب يملكون قدرات معينة تنطبق عليهم أساليب القياس والتقويم الحالية وليس جميع الطلاب، كما هو الحال الآن، ومع ذلك وبرغم عدم قدرتها على إصدار حكم واقعي ومنطقي ودقيق على هذا الطالب، محاطة بقدسية عجيبة. فمن يقترب من الدرجات التي حصل عليها الطالب في تلك الورقة يتهم بالتزوير ويحاكم بالفصل والتشريد، مع أن هذا الطالب لو أخضع لاختبار آخر ووسيلة تقويم أخرى أكثر مصداقية وثباتًا وموضوعية لربما حقق النجاح بتفوق، ولربما كان متميزًا وحصل على أضعاف مضاعفة لتلك الدرجة المعطاة له بناء على الاختبار التحصيلي!!

ولا أعتقد أن أحدًا سيظهر علينا حتى من الإخوة المسؤولين في الوزارة معترضًا، ومؤكدًا أن الوسائل المتبعة حاليًا قادرة على إصدار حكم واقعي علمي على جميع الفئات من الطلاب بمختلف قدراتهم ومواهبهم.

فالأساليب المتبعة حاليًا القائمة على الاختبارات التحصيلية تعنى كثيرًا بقياس المعارف ذات المستوى المهاري البسيط وتهمل ما عداها وتهتم بالشكل أي الدرجة وتغفل المضمون وهو الأداء، كما أنها تقارن أداء الطالب بطالب آخر اجتاز الاختبار نفسه قبل عدة سنوات، ولا تعطي الآخرين تصورًا واضحًا عن هذا الطالب!! فولي الأمر يهمه الدرجات، والجامعات يهمها معرفة الكم المعرفي، بينما صاحب المنشأة أو العمل يهمه معرفة المهارة. والاختبارات التقليدية لا تقدم لجميع المعنيين تصورًا واضحًا ودقيقًا عن هذا الطالب وعن قدراته وما يملكه من مواهب وإبداعات ومهارات، ولا نعلم متى يتغير الحال، وإلى متى ونحن نقوّم هؤلاء الناشئة بهذا الأسلوب الذي لا يفي بالغرض (من وجهة نظري). لعل طرح الحلول أكثر جدوى من تحديد المشكلة. والحل الذي تحت يدي الآن هو ما ذكره الدكتور (عبدالعزيز الحر) في كتابه «مدرسة المستقبل» الذي يقول فيه: إن استخدام ملف الإنجاز أو ما يسمى «ملف التقويم» قد يكون أفضل البدائل المتاحة الآن، وهو عبارة عن ملف يسجل فيه نمو الطالب وتطوره خلال فترة زمنية معينة، ويحتوي على شواهد لهذا التطور والنمو ويأخذ أشكالاً عدة، منها الأنشطة ونماذج من أعمال الطالب والأنشطة التطوعية خارج المدرسة والتقارير (الصحية والسلوكية) والهوايات والمهارات وشهادات الشكر والتقدير وتوصيات إدارة المدرسة والمعلمين، وتقويم ذاتي للمتعلم، بالإضافة إلى الاختبارات التحصيلية، ويكون محكومًا بإطار عام، تخيلوا معي فوائد هذا الأسلوب.

أعتقد أن من الواجب علينا أن نفكر في أساليب التقويم المتبعة حاليًا، ومدى جدواها وفعاليتها ودقتها وتأثيرها غير المباشر على ما ندعو إليه من قيم ومبادئ ومثل وما نتبناه من مناشط وفعاليات على مستوى المجتمع المحيط والمدرسة، وكذلك تأثيرها القوي على أساليب التدريس (القائمة حالياً على أسلوب المحاضرات والإلقاء). فلو كان هناك وسائل تقويم حتى لو كانت مركزية تعنى بقياس الجانب المهاري والأداء والمنجزات الشخصية للطالب سيضطر المعلم إلى تغيير أساليب تدريسه للطلاب، لأنهم سيقوّمون على أساس إتقان المهارات المتعددة والمواهب المتنوعة والإنجازات الشخصية للطالب، وليس على مدى حفظهم للمقرر عن ظهر قلب، ثم تقيؤ ما تم حفظه على ورقة الإجابة لينال النجاح والتفوق، برغم أن كثيرًا مما حفظه لا يدرك معناه ولا يستطيع تفسيره !



سبورة

# وريث الأنبياء*

شعر: عبدالواحد الزهراني - مكة المكرمة

قـد أورق الغـصن الرطيب وأزهرا ... والجـو بالعـبق الكريم تعطرا
وأتى الشـموخ يجـرّ ثوبًا سابغاً ... فـبدا به مـتواضعًا مـتكبرا!
والطائر الميـمون رفّ جناحُـه ... فـاحتل ركنًا في الفضاء وعسكرا
ومضى سناكم - يا رشيد - يُحيل ما ... في القـبة الزرقاء ليلاً مـقمرا
أهلاً وحـيّـهلا به وبصحبه ... بل ألفُ ألفُ تحـيـةٍ بل أكـثرا
فـي أرض أمّ الأرض بـل أمّ الدنا ... في قـبلة الإسلام في أم القرى
من هـهنا حـمل الأمين رسالة ... أنهى بها كسرى وأسقط قيصرا
وأنار للبـشـرية الدرب الذي ... لولا شـعاعُ محـمدٍ ما أنورا
إذ جـاء والكون الفسيح بأسرهِ ... جـعلتـه نار الجـهل قـفرًا مـقفرا
وسـقتـه كفُّ مـحمد حتى ارتوى ... وكسـتـه ثوبًا سندسيًا أخـضرا
سطعت رسالتـه فـأضحى نورها ... فـوق السطور وفي الصدور مسطّرا
فـبـهـا ملكنا الكون من أطرافه ... وعلى مـعارجـها تسنمنا الذّرى

* * *

يا أيهـا الجـمع الكريم أتيـتكم ... مـثل المسافر مستـشيرًا حائرا
أنا - أيهـا الجـمع - المعلم، إنني ... جـاهدت في الله الجهـاد الأكـبرا
جـاهدت نفـسي ثم جـاهدت الهوى ... في أنفس الأجيـال حتى تكبرا
وأنا وريث الأنبيـاء لأنني ... حُـمّلتُ بعـدهمُ الرسـالة للورى
وتعلّم المأمـون سـرَّ الملك من ... قـدمي وعلمـه أخـاه الأصـغرا
قـد يصنعـون وزير كل وزارة ... لكنهم لا يصنعـون مـفكرا
يمّـمت للتـأريخ أطرق بابه ... فـوصلت قـبل الناس جئت مبكرا
ومُنعت لكن ما رجـعت وبينما ... احـتـدم الجدال وما جرى مني جرى
فـإذا أمـامي كل من علّمـتـهم ... مـتـقـابلين على الأرائك سمّرا
أنا جـئت قـبل الناس! أطرقَ برهة: ... فـعـلاً ولكن لم تزل مـتـأخـرا
وقـرأت منه عـبارةً مـضمونها ... قـد جئتَ مـختارًا فـغادر مجبرا
هل كـان تكريمي مـجرد صدفةٍ ... ولمرة في العـمر لن تتكررا؟!
أم أنني اليـوم اقـترفت جـريمةً ... وجناية لا يرتجي أن تُغـفـرا؟!
وأنا كـذلك إذ بصـوت هـاتفٍ ... كـالكهـرباء سرى بجسمي إذ سرى
العلم - يا أسـتاذ - ليس بضاعـةً ... كـبضائع الدنيا تباع وتشترى
مـا اخـتـارك الرحمن صاحب مهنة ... ليـراك إلا صـابرًا أو شـاكـرا
أولادنا أكـبادنا تمشي على الد... نيا فـهل يرضيك أن تتـفطرا؟!
أولادنا غـدنا المؤمل كـيف تر... ضى - يا رعـاك الله - ألا يسـفـرا؟!
أولادنا وضـعـوا لديك أمـانةً ... إن كنت صـاحب ذمـة لن تخـفـرا
إن لم تُـحـمّل أنت مـسؤوليـة ... فـإذًا من المسـؤول عنهم يا ترى؟!

---

* القيت في اللقاء الثاني عشر لقادة العمل التربوي الذي عقد بمكة المكرمة في الفترة ٢٤- ٢٦ من المحرم ١٤٢٥هـ.

# معدل تراكمي للمرحلة الثانوية

عبدالله عواد الحربي - حفر الباطن

هناك اجتماع يقره الجميع أن دراسة الجامعة تبدأ منذ أول وهلة ومنذ أول مادة يدرسها الطالب، لأن معدل كل مادة له أهميته، فتجد الطالب الجامعي يحسب لكل مادة ألف حساب، والغياب بالنسبة له مشكلة، فيخاف أن يندرج اسمه مع قائمة المحرومين بسبب تكرار الغياب. وإذا ما قارنّا ذلك بدراسة طلابنا في المرحلة الثانوية بداية من الأول الثانوي وحتى الثالث الثانوي فسنلاحظ أن الاجتهاد والمثابرة وحسن الانضباط



والهدوء والسكينة عند طلاب الثالث الثانوي بقسميه، وأننا لنتساءل لماذا؟

نجد الإجابة الحقيقية في درجات المواظبة والسلوك، وهي درجات تؤثر في نسبة الطالب، بالإضافة إلى نسب المواد الأخرى فيظهر لنا من السلوكيات المرغوبة عند طلاب الثالث الثانوي أكثر مما يظهر عند بقية المراحل الثانوية!! ولا نعمم بهذه القاعدة كل طلابنا، فمنهم - ولله الحمد - من هو حسن السيرة والسلوك، والدرجة بالنسبة لهم تحصيل حاصل.

أقترح أن تكون نسبة الطالب مستمرة مع بداية دخوله الأول الثانوي وحتى ينتهي من الصف الثالث الثانوي، عن طريق معدل فصلي يحصل عليه الطالب، ويحسب له معدل تراكمي في نهاية كل سنة دراسية. أي ستة فصول دراسية، لكل فصل دراسي معدل فصلي؛ ولكل سنة معدل تراكمي.

وعند تطبيقنا هذه الفكرة - بإذن الله - سنلاحظ:

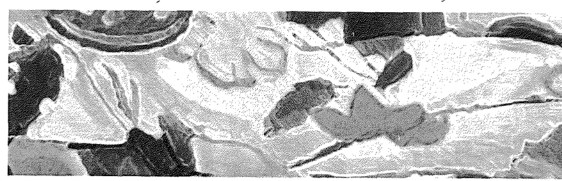
- الانضباط والهدوء في مدارسنا الثانوية.
- عدم الغياب.
- معالجة عدم الاهتمام واللامبالاة عند طلاب المرحلة الثانوية.
- اتجاه ورغبة المعلمين في تدريس المرحلة الثانوية (حيث إن سلوك الطلاب في الصفين الأول والثاني الثانوي يعتبر عائقًا عند بعض المدرسين).
- عدم عزوف مديري المدارس عن إدارة المدارس الثانوية.

سبورة

# جدول الإبداع

شعر: سالم رزيق عوض. جدة

أبها، وتنبعثُ الدراري ... وتنفست شمسُ النهارِ
وتراقصت قبل المنى ... في صدر ربّات الخِمارِ
تغفو على بُسط الرُبا ... تصحو على دنيا المدار!!
تهفو على دنيا الهوى ... كالطير يَختصر البراري
وتكاد من طُهر بها ... تضع السعادة في الغُبار
وتكاد لولا خوفُها ... تَمشي مهتَّكة الإزار!!
ريانةُ الخدين وَلهى ... كالشَّهيّ من الثمار
قمريةُ الترنيم حَيرى ... كالغناء على السَّواري
وكأنها أنشودةُ الدنيا ... تَردّدُ في القِفار
أنغامُها أمُّ الغِنَاءِ ... وصوتها أمُّ الهَزار
حسنٌ على حسنِ الطبيعة* ... كالجَّمالِ بلا إطار!
تتحدث الأنفاسُ عنها ... تُرسل الطرفَ المداري
وتغوصُ في أفكارها الظمأى ... تفتّش عن محار
تتساءل الأنسامُ عنها ... عن شُذيات العَرار
عن جذوة الإشراق في ... السّودة وفي «قَرعا» الوقار
عن سرّ أسرار الطبيعة ... في سفوحٍ من نُضارِ!!
وتخالُها والشعرُ توأمُها ... الملقّعُ بالدّثار
عينين يبعثها الجمالُ ... عليهما لُسنٌ وقاري!!
مأوى المودةِ والمحبةِ ... والتآلفِ والقَرار
مغنى البلابلِ والحمائمِ ... والزرازر والكناري
أبها وأبها في الجمال ... تسنّمت أغلى شعار!
شمسٌ على شمسِ الطبيعة ... جدولُ الإبداعِ جار



# دعوة إلى التعاقل

عزت حلمي - الشارقة

ماذا يحدث إذا كانت مدارسنا ومعاهدنا وبيوتنا في مستوى التنشئة الأولى أهملت جميعها ممارسة التعاقل أسلوبًا للحوار، ولغة للحياة؟ يحدث أن عقلنا وهو في طفولته وصباه، يستكين للراحة والتشرنق، مدركًا في وعيه الباطن مدلولات الممنوعات، وقوائم الحلال والحرام!!

وإذا ما شب ونضج الطالب وهو غير مهيأ للكيفية التي يدرك ويستوعب ويعقل فيها ما حوله في عالم فسيح يعيش فيه، وقد قربت وسائل مواصلاته واتصالاته وإعلامه من بلدانه، حتى صار قرية مدركة مرئية مسموعة - عندها تقع الصدمة الأولى. وسيبدو شاب اليوم وكأنه قد حصن، ضد الكوليرا والحصبة، وشلل الأطفال، لكنه لم يتحصن ضد شلل العقل!!

والنتيجة خلخلة في القيم والموروثات، واهتزاز وتناقض فيما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون!!

كثيرون انتبهوا، وكتبوا كاشفين عن الهوة ما بين الواقع والموروث، ما بين التعاقل بلغة العصر والمستقبل، والإسراف في إشعال الوجدان. فالشاب حين لا يجد إجابة علمية، على كل ما يعرض على عقله من تساؤلات، خصوصًا ما يرتبط بالعقيدة، والمذهب، والدين، والفكر، والسلوك، والأخلاق - تذهب نفسه شتاتًا بين القلق والاضطراب والتعقد، واختيار الفوضوية والسلبية، والانحراف.

إنّ المعرفة تزودنا بمشكلات، واكتشاف المشكلات في حد ذاته يشكل تقدمًا ذهنيًا. والمطلوب أن نعي أهمية التفكير والملاحظة والتعاقل مع المشكلات الخاصة والعامة، وألا نخاف من طرح أجيالنا للمشكلات الفكرية لأن هذا الطرح سوف يصل بنا إلى اكتشاف حلول أو نتائج قد تكون سببًا في التقدم الإبداعي.

# مؤشرات

حسين عارف الرمحي - الجوف

بالرغم من السلبيات في عملية التربية سابقًا من خشونة وقسوة في الأساليب في بعض الأحيان فإنها أنتجت جيلاً قاد البلاد، وتميز بمحاسبة النفس ويقظة الضمير.

وفي هذا الجيل (نتاج التربية الحديثة) نجد كثيرًا من علامات الاستفهام والمؤشرات غير المطمئنة نتيجة الحرية المطلقة التي أعطيت للطفل في المنزل والمؤسسات التربوية!!

نشاهد عدم انضباطية في السلوك التعليمي والسلوك الشخصي، وقلة الدافعية الذاتية للتعلم، والتوجه الانتقائي للطالب في مراحل مبكرة، وشعوره بالنضج، وأنه لا يعيش طفولته. هذه الظواهر التي أصبحت تطفو نتيجة تغير بعض المفاهيم في هذا العصر، وعدم مواكبة المناهج لمعظم نواحي التغيّر - أحدثت لدى الطالب بعض الفتور والنفور مما يقدم له، ويتساءل المربي ماذا نفعل مع هذه الحرية التي أعطيت لطفل اليوم؟

ليس عيبًا أن نقف لمراجعة ما توصلنا إليه مع أبنائنا، ونستعين بمن له خبرة سابقة، ونمزج ذلك بنظريات التربية الحديثة لنجد الحلول المناسبة كي نعدل من هذه الظواهر، ونأخذ بأيدي أبنائنا إلى بر الأمان.

# إزعاج السلطات!

قصة قصيرة : مصطفى نصر - الإسكندرية

تجمع الناس أمام دكان البقال في شارع «ابن الخطاب» بالإسكندرية: رجل مسن كان يسير تحت الرصيف فوقع فجأة. لم تصدمه سيارة ولا احتك به أحد إنما وقع من نفسه!!

خرج البقال من دكانه مسرعًا ومعه رجاله، وجدوا الرجل لايتكلم، حملوه بمساعدة بعض المارة، وضعوه قريبًا من الدكان، قال أحد الرجال:

- اتصلوا بالإسعاف.

تكرر ذلك القول كثيرًا. الرجل المسن ما زال في وضعه لا يتحرك. اقتربت امرأة من الحشد وسألت: هل مات؟

نظروا إليها دون قول، فهم لايعلمون إن كان مات أم لا.

- اتصلوا بالإسعاف.

قال أحد مساعدي البقال: أتصل بالإسعاف يا معلم؟

تردد قليلاً ثم قال: اتصل.

قال مار كافح طويلاً حتى وصل إلى مرأى الرجل المسن: إنه في حاجة إلى تنفس صناعي.

قال آخر: بل هو مريض بالصرع، والتنفس الصناعي لن يجدي معه.

قالت امرأة من مكانها: يا ابني الناس تعاني «الأنيميا»، تقع دون أن يلمسها أحد.

أدار مساعد البقال قرص التليفون: آلو...

اقترب المار من جسد الرجل، تحسس جبهته وصدره. ثم أمسك يده وقال: ما زال حيًا.

قال البقال: دعوه في حاله، الإسعاف ستأتي بعد قليل.

كان مساعده ما زال يملي العنوان: نعم، شارع ابن الخطاب.

وضع سماعة التليفون وخرج إلى الشارع.

فتاة شابة انحنت فوق جسد الرجل المسن. أراد البقال أن يصرخ فيها، لكنه اكتفى بزفرة حارة: «كل من هب ودب يفحص جسد الرجل، كلهم تحولوا إلى أطباء وحكماء!!».

فتحت حقيبة يدها، أخرجت زجاجة عطرها، بللت منديلها ومسحت وجه الرجل، فاحت رائحة العطر، فأخذ الرجل يتحرك، صاح أحد الرجال: تحرك الرجل تحرك.

البقال أسرع إليه ،فحصه معها، ردد في أذنه بصوت عال: الله أكبر الله أكبر.

قالت الفتاة للناس: أرجوكم افسحوا قليلاً. ابتعدوا حتى يجد الهواء ليتنفس.

ابتعد بعضهم، وزاحم بعضهم أكثر ليروه وهو يتحرك.

حرك الرجل ساقيه، ثم شدهما لجسده في عصبية، وفتح عينيه نظر حوله في دهشة.

ابتسم البقال، ساعد بعضهم الرجل ليقف. أخرج مساعد البقال مقعدًا من الدكان، أجلسوه فوقه.

ردد الرجل في ضعف: الحمد الله، الحمد لله.

أخرج المساعد دورق مياه، صب له كوبًا، رشفه الرجل في أناة، ابتعد بعضهم، الفتاة صافحته وسارت سعيدة؛ فقد أنقذته، قام الرجل فجأة قائلاً: أشكركم.

صاح البقال فيه: إلى أين؟!

- سأذهب إلى عملي. لقد تأخرت كثيرًا.

- تذهب الآن، والإسعاف؟

قال أحد الرجال في دهشة: لقد أفاق، فماذا تريد منه؟!

- إذا جاءت الإسعاف ولم تجده، سأدفع غرامة إزعاج السلطات.

- قل لهم: «إنه أفاق وذهب إلى عمله».

- لن يصدقوني.

صاح الرجل: لكني في عجلة.

كان البقال بدينًا قصيرًا، يتحرك قليلاً، ولايخرج من

بيته إلا في الصباح عندما يذهب إلى الدكان. في حاله، لا يتدخل في شؤون أحد؛ ولايحب أن يتدخل أحد في شؤونه. ردد البقال في أسى: ذنبي أنني أردت إنقاذ حياتك؟! ثم نظر إلى مساعده غاضبًا: أنت السبب، أنت الذي اتصلت بالإسعاف، وأعطيتهم عنوان الدكان. نظر مساعده إليه في أسى، ودخل الدكان حزينًا.

يحاول الرجل المسن أن يسرع، فهو يعمل باليومية؛ وإذا تأخر اليوم؛ لن يجد من يعطيه أجرته. قال شاب صغير يرتدي ملابس التمرينات الرياضية: سأنام بدلاً منه إلى أن تأتي الإسعاف.

اقترب الناس، تجمعوا حوله ثانية. قال أحد الرجال: يمكنك أن تتظاهر بالإغماء إلى أن تأتي الإسعاف.

- نعم. لكي أحل المشكلة.

قالت امرأة: افرشوا له بجوار الدكان.

أخرج مساعد البقال غطاء من الدكان وفرشه. نام الشاب، أغمض عينيه. لاحظ الناس أن منظره لا يوحي بالإغماء، بل هو لا يستطيع أن يتظاهر بالنوم فعيناه تتحركان. قال أحد الرجال:

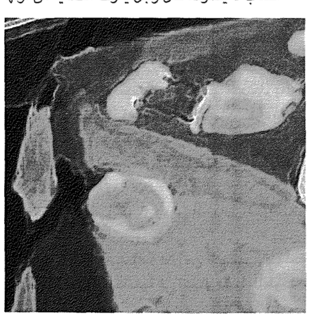
- غطوه حتى لا يراه أحد.

- أخرج مساعد البقال غطاء أخر وغطاه به.

يتجمع الناس متسائلين، ويجيبهم الآخرون: شاب أغمي عليه وهو سائر وينتظر الإسعاف!!

والبقال يتمتم ما الذي جعله يستجيب لرأي مساعده ويطلب الإسعاف. كان في دكانه. ماله هو وكل هذا الذي يحدث. ألم يجد ذلك المسن سوى هذا المكان ليقع فيه؟!

الشاب لا يتحرك. قال رجل يعرف الحكاية من أولها



لزميله: لقد نعس الشاب من طول نومته.

كانت الحكاية مسلية لبعض الواقفين، خصوصًا مساعد البقال الذي ترك عمله وأخذ ينظر إلى الشاب النائم في فضول شديد.

وجاء صوت الإسعاف من بعيد. زفر البقال: «لقد جاءت أخيرًا وسيرتاح من كل هذا العذاب».

أفسحوا الطريق لدخول رجال الإسعاف. دخل رجلان، رفعوا الغطاء عن الشاب، كانت العينان مغمضتين، والجسد مشدودًا. ابتسم البقال وقال لنفسه: الولد «سابك» الدور تمامًا؛ كأنه في حالة إغماء حقيقية.

انحنى أحد رجلي الإسعاف؛ داعب وجه الشاب، ثم نظر إلى زميله وقد مط شفتيه. تجمع الناس من جديد. يعرف البقال أن كل هذا سينفض بعد دقائق معدودة، سيهزون الشاب هزات قليلة، سيفيق بعدها ويذهب إلى حال سبيله ويعود البقال - هو الآخر - إلى عمله الذي تعطل؛ وبعد ذلك لن يطلب من تليفونه أي جهة رسمية مهما حدث أمامه..

رجل الإسعاف الآخر انحنى؛ لامست ركبتاه الأرض جسّ وجه الشاب وصدره. وزميله أحنى رأسه آسفًا. وقفا. قال أحدهما: لا نستطيع حمله، لقد مات.

صاح البقال: لم يمت، لم يمت، افحصاه جيدًا!!

قال رجل الإسعاف: إنه عملنا ونعرفه جيدًا.

- لم يمت، لقد كان يتظاهر بالإغماء.

نظر البقال إلى مساعده صائحًا: احك لهم يا ولد عما حدث.

لكن مساعده كان يبكي تأثرًا. نظر البقال إلى الناس الموجودين قبل نوم الشاب: قولوا لهما إنه فعل هذا من أجلي.

الرجال دهشوا، قال أحدهم لرجلي الإسعاف: لا شك أنكما أخطأتما الفحص.

دفع أحدهما الرجل في ضيق: سنرسل له سيارة الموتى. وشقت الإسعاف طريقها وسط جمهرة الناس ودهشتهم!!

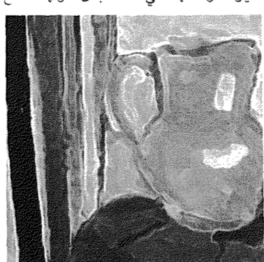
# كعكة التقنية

علي بدر امبي - السنغال

تتأكد يوميًا في العصر الحديث أهمية وضرورة التربية بوصفها أساسًا للتنمية، كما تتأكد ضرورة دمج مواد تقنية المعلومات والاتصالات في المنهج الدراسي لإفادة مخرجات التعليم من الاقتصاد الإلكتروني والتجارة الإلكترونية، وتضييق الهوة الرقمية بين العالم المتقدم ودول العالم الثالث.

لذا يأتي تقرير التجارة الإلكترونية والتنمية لعام ٢٠٠٣م الذي أصدره الأونكتاد (مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية) ليسلط الضوء على الفرص التي تتيحها التربية إذا قرنت بتقنية المعلومات، ومن هذه الفرص ما يسمى في عالم الأعمال بـ«التعاقد الخارجي».

بدأت عمليات التعاقد الخارجي في التسعينيات عندما اكتشفت كبرى الشركات الأمريكية أن بإمكانها التعاقد مع مؤسسات متوسطة وصغيرة في العالم الثالث، لتصدير بعض الأعمال غير الأساسية في العملية الإنتاجية إليها مثل: إدخال البيانات، وخدمات المحاسبة وغيرها بكلفة أقل وأداء جيد. وقد تميزت دولة الهند في هذا المجال، كونها تتمتع



بنسبة عالية من مخرجات التعليم التي تواكبت مع متطلبات سوق تقنية الاتصالات والمعلومات.

ويحسن هنا إيراد تجربة امرأة إفريقية وهي «مورغوري موغو» من دولة كينيا، أنجزت شركتها الخاصة التي أسستها في عام ١٩٩٨م لخدمات التعاقد الخارجي كثيرًا من مهام الشركات في الغرب (الولايات المتحدة وبريطانيا). كما نجحت في الآونة الأخيرة في فتح مكتب لشركتها في الولايات المتحدة لتسهل عمليات التعاقد والدفع لزبائنها، حيث بدأت ترد إلى مكتبها في كينيا عقود من كندا وأستراليا والاتحاد الأوروبي!

تؤدي خدمات التعاقد الخارجي دورًا كبيرًا في إيجاد وظائف لمخرجات التعليم تناسب النساء، حيث يمكنهن (إذا اكتسبن التربية الملائمة) العمل من البيت، وإنجاز عقود مع شركات في الغرب عبر جهاز كمبيوتر موصول بالإنترنت فقط.

ويوصي تقرير الأونكتاد الحكومات بإعطاء الأولوية للتربية والتربية الإلكترونية في سياساتها التنموية، وبضرورة تطوير مناهجها في المدارس والجامعات لتشمل مواد تؤهل مخرجاتها للدخول في قطاع خدمات هذا النوع من التصدير الذي يعتمد أساسًا على تقنية المعلومات والاتصالات.

ويشير التقرير إلى أن الدول التي استفادت من هذا المجال هي التي سبقت مثيلاتها في الاهتمام بعلوم الكمبيوتر كالهند، كما يمتدح الإصلاحات التربوية في دول رومانيا، حيث أعطى الجهاز التربوي الأولوية لمواد الرياضيات والهندسة وخدمات تقنية المعلومات والاتصالات.

ولا يفوتني أن أذكر أن بعض المصادر تقدر حجم كعكة التعاقد الخارجي بحوالي ٣٠٠ إلى ٥٨٥ بليون دولار، وهي كعكة مشاعة لكل من اكتسب التربية الملائمة والمعرفة الأساسية في مجال تقنية المعلومات والاتصالات.



خالد المعينا :

لا أحب مفردات الهروب



يوميات معلم

. .وكظمت بركان الغضب




ثرثرة

«بداخل كل ولد
توجد بنت»!!

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيزالأستاذ: خالد المعينا/ رئيس تحرير صحيفة عرب نيوز.
يقدم لنا شيئًا من وجهات نظره فيما يلي:

## خالد المعينا :

# أعجبني مصطلح «الديموخرافية»

*** كنا بحاجة ملحة إلى صحافتنا «الإنجليزية» أمام الماكينة الإعلامية الغربية القانفة بشرورها لكنها لم تكن بحاجة ملحة إلينا.**

أصبح من المسلمات الآن الاهتمام بالآخر ونقل فكرنا إليه وتوصيل رسالتنا.. وهذا يقتضي من دون شك وسائل عدة، بينها الصحافة الإنجليزية.

*** ما يحدث من ضجة ورصاص وجلبة إنما هو تعبير اجتماعي للقوة الطاردة للجلد القديم.**

أعتقد أن ما يحدث في كثير من بقاع العالم من ضجة ورصاص وجلبة هو تعبير اجتماعي ـ لكنه في كثير من الحالات غير منطقي وغير أخلاقي، والأفضل الرجوع إلى الدين والعقل والمنطق.

*** «الديموخرافية» العربية لعبة سياسية سهلة جدًا جدًا، تتلخص في أن تجمع «خرافًا» على شكل دائرة يتوسطها «مخرف» ليتحدث لهم عن أمنية «خرافية» حتى يناموا مرة ثانية.**



- الانفتاح الفردي قبل الانفتاح المجتمعي .
- طالت أم قصرت ؛ النصر للإسلام .
- لا أحب مفردات الهروب .

## عيون العالم العربي للخلف وليس للأمام.

## من المسلّمات الآن اهتمامنا بالآخر.

## «التهجين» أصبح سمة هذا العصر!

خالد المعينا

أعجبني مصطلح الديموخرافية، لكن هذا لا ينطبق على الأمور السياسية في عالمنا العربي فقط، بل في عديد من المجالات.

*** التاريخ كائن حي يتنفس ويتغذى ويسعل ويمشي معنا في الشوارع المرئية وغير المرئية، إلا انه كلما كبر تساقطت من جسده الخلايا الميتة والأجزاء المعفنة التي لا تستطيع اللحاق به.**

نعم التاريخ لم يكن جامدًا في حال من الأحوال، وإذا جمد بعض الوقت فإنه سرعان ما تبعث فيه الروح.

*** البغل هو أسوأ خطأ علمي بعد القنبلة الذرية.. إنه تهجين بين حمار وحصان، المرحلة الثقافية «البغلية» أسوأ خطأ ثقافي أيضًا.**

التهجين أصبح يا سيدي سمة هذا العصر، وخلط الأوراق في كثير من الأحيان أصبح سيد الموقف.

*** الانفتاح الفردي يسبق الانفتاح المجتمعي إنه يفتت سُلّط المجتمع التي تتخذ التحديث «علكًا» باردًا لتزجية الوقت.**

أنا مع الانفتاح الفردي قبل الانفتاح المجتمعي، وهذا هو المنطق الأفضل للوصول إلى أفضل النتائج.

*** مرصودة صغيرة: ارتبطت المكتبة في شوارعنا العامة بتقديم خدمة «نسخ» المفاتيح إنها لا تصنعها.. إنها لا تصنعها.. هل تتوقع أن الرقابة تعلم شيئًا عن ذلك؟**

النسخ والنقل والاقتباس وغيرها كثير من الألفاظ والمعاني تكون مفيدة لو وجدت الذاتية بها.

*** نحن لسنا بحاجة إلى الأحياء السكنية، نحن بحاجة كبيرة إلى «الأحياء» السكانية.**

الأحياء.. أهم من الأموات!

*** مشكلتنا اننا نتوهم أن لنا حق الاختيار وليس للآخر هذا الحق.**

النظر إلى الذات ضرورة لنا إذا أردنا أن نجاري التطورات ونبلغ العلا.

*** «عندما قلت له اجلس معي، قال: الا يحق لي أن أمَلّ منك بعد ٥١ سنة، إنك بالوجه نفسه والإيحاء والنكهة منذ أول مرة، الغريب في الأمر، تناقضه، لقد ذهب إلى عمله في الجريدة» زوجة صحفي سعودي.**

عاشروهن بمعروف.

*** «الخصوصية وهم واهن لا تليق بالعولمة» قالها صحفي، لجريدته طبعة داخلية وطبعة خارجية.. هل لديك نكتة أخرى؟**

النكتة أننا قوم نتكلم أكثر مما نعمل!

*** المسافة بين النظري والواقعي طويلة جدًا لا تستطيع لياقتي النفسية والاجتماعية، كفرد، أن تقطعها.. أنا بحاجة إلى مؤسسة.**

الفرد والمؤسسة جنبًا إلى جنب لصنع مجتمع أفضل.

*** اللسان إما أن يتكلم وإما أن يأكل.. اجعلوا الخبز رخيصًا.**

أن تلوك الألسنة الآخرين شيء بغيض، فعلينا أن ننشغل بأنفسنا، وهذا مفتاح الدخول لعالم أسمى.

*** نحن أغنياء جدًا فلن يفلسنا الفساد المالي، إنه دلالة «النعمة».**

الفساد المالي، والفساد الأخلاقي، والفساد الاجتماعي، والقائمة تتضخم يومًا بعد يوم في ظل البعد عن ثوابت الدين والخلق السليم.

*** ابق هنا... سأذهب إلى المؤتمر وأتحدث عنك بما أشاء.**

لسبب بسيط، ما أسهل الكلام.

*** الطبخ في «البيت» أكثر صحية ووثوقية من الطلب «الخارجي».**

ومن قال غير ذلك.

*** في «العصر» الأمريكي ليس ظل كل شيء مثله.**

يا سيدي.. سبحان مغير الأحوال.

*** الوطنية الحقة هي أن تحضر مباراة لكرة القدم بين النمسا وأيرلندا مثلاً، تقام على أرضك. لتشجع تنظيم بلدك للمباراة.**

نحن بحاجة إلى فهم وطنيتنا، وليس التشدق الأجوف بها، فهي معنى لا يقبل المزايدة.

*** ناموا... سنهزم اليهود يومًا ما.**

طالت أم قصرت فالنصر للإسلام.

*** لا عليك... الحداثة مثلها مثل أي امرأة حسناء ستكبر ثم تشيخ.**

أنا مع التطوير فهو سنة الله في خلقه، وليس مع القولبة فهي جمود وتجميد.

*** سأساعدك... دعني أفكر عنك وأنت اهتم بلقمة عيشك.**

لا ينبغي أن يكون هناك تفكير بالوكالة، فلكل إنسان عقل يجب ألا يجمده.

*** الكاتب الحقيقي هو «أكبر» أناني في هذه الدنيا ينال الشهرة والنجومية وأسرته تتضور جوعًا.**

في حالات كثيرة لهذا السؤال معك حق.. وتكون الأسرة ضحية بدرجة ما.

*** من قال إن عيوننا في الأمام، إنها في الخلف.. والدليل أننا لا نرى المشكلة حتى «تتعدانا».**

للأسف في عالمنا العربي، عيوننا في الخلف وليست في الأمام.

*** «الأهلية» في المدارس والصحة وغيرها ستجعل المال يسلب الإنسان «الأهلية».**

المال مفسدة يا سيدي، إذا اقتصر على المكسب وأبعدت عنه الإنسانية.

*** تفسير الأحلام وانتشار الشعوذة ورواج المنشطات الجنسية كلها ارتبطت تاريخيًا «بهزيمة» ما.**

مفردات الهروب، أنا لا أحبذها، والأفضل مواجهة النفس والحقيقة والتعامل معها، وليس الهروب منها. ■

# ..وكظمت بركان الغضب

مصطفى ياسين . الأردن

**عندما** سلمته خطابي، أشار بيده، فجلست، انتظرت حتى أتم عمله الصباحي، وعيناي تتعلقان به، وتتابعانه، مدة الانتظار!

رحب بي، وأخبرني بالعمل الذي أسندته المدرسة إليّ، فلقد مضى أسبوع على اختياري، حتى أنهيت عملي في المدرسة التي نقلت منها.

في أثناء حديثه، نبهني، عدة مرات، على أن أمسك لساني عن التلاميذ، فالمعلمون تشيع على ألسنتهم كثير من الألفاظ!!

خرجت من عنده، وقد وصلتني الرسالة، وعزمت أمري على أن أمسك لساني.

عليّ ألا أستخدم العصا، ولا التوبيخ... وإنما الحيلة، والصبر والمداراة، والتحفيز الإيجابي، واستنهاض الهمم، والأخذ على أيدي المشاغبين.

لا شك أنها معادلة صعبة، قد لا تحضر عناصرها كلها مجتمعة في موقف واحد (أحيانًا)!!

رحت أفتش فيما قرأته وطالعته، لأعزز هذا المفهوم ليصير لي قناعة والتزام أصيل، رويدًا رويدًا.

إذا جاء الحلم إلى خاطري، ارتسم الأحنف بن قيس في ذهني. إنه سيد بني تميم وقائدهم، ورأس حربهم، وأمر سلامهم، ومثال الحلم، وأنموذج من قدر على كظم غيظه، وعفا عن الناس! كانوا يمتحنون صبره وحلمه، بما لا تطيق النفس البشرية، امتحانًا عسيرًا، لا ينجح فيه إلا هو!!

جعلوا لأحدهم جعلاً، على أن يمشي خلف الأحنف، يسبه ويشتمه شتمًا مقذعًا، ليروا بماذا يرد الأحنف، أما الرجل الشاتم، فقد سئم الشتم، ولم يستطع أن يستخرج من الأحنف كلمة غضب، أو يخرجه من جبلته، وطبعه، وحلمه، الذي عرف به.

عندما اقتربا من الحي، استدار الأحنف، وقال: يا هذا، أتمم ما أنت فيه، ولا تدخل الحي حتى لا يصيبك من سفهاء بني تميم ما تكره.. ورجع خائبًا، ليخسر الرهان!

قيل للأحنف، ممن تعلمت الحلم؟

قال: من قيس بن عاصم.

وكيف كان ذلك؟

قال: كنا جلوسًا، وكان قيس محتبيًا (يمسك رجليه بيديه)، فجيء بابن أخيه مكتوفًا، وقالوا له: هذا قتل ابنك! فوالله ما فك حبوته، ونظر إلى ابن أخيه، وقال: لقد أنقصت عددك، وشمت عدوك، فكوا وثاقه، وأعطوا أمه مئة من الإبل، دية ابنها فهي ليست من قومنا!!

لهذا كان الحلم سيد الأخلاق، وجوهر العقل، وجماع العظمة في النفس، لا يصل إليها إلا الصفوة، والأفذاذ من بني البشر!



كم من دماء حقنت..

ونيران أطفئت..

ومـآس حـجـبت ببـرد الحلم.. وسـلام الصبر!!

هذا الإعجاب بالأحنف، كان بردًا وسلامًا على سَورة الغضب التي اجتاحت كياني، كالإعصار في موقف لن أنساه.

أخذت وجهي إلى السبورة أكتب متلفظًا، وإذا صوت خفيف هامس مسموع ينفجر بلفظ سيئ مشين!!

التفت، مندهشًا، فإذا الوجوم يعتري وجوه التـلامـيـذ، وهم ينظرون إلى الطالب (...)، وكأنهم يستنكرون قوله، ويشيرون إليه بالإدانة، ويغروني به.

وفي لمح البصر، اتخذت قرارًا بتجاهل ما حدث تمامًا، وكأني لم أسمع هذا اللفظ القبيح.

وتابعت شرح الدرس، وأتممت عملي وخرجت، وأنا أكظم في صدري بركانًا من الغضب لذلك السلوك.

كان ذلك التلميذ منقولاً من مدرسة أخرى، وكان عمره يزيد على أعمار التلاميذ في صفه، ولم يكن من المجيدين، فكأنه نشاز بين زملائه!!

بعد كوب من الشاي، عاد إليّ روعي، وطمأنينتي.

وبعد أسبوع من ذلك، جرب الطالب «حظه» مع معلم آخر، فانهال عليه ضربًا وركلاً، وسط ابتهاج الطلاب وصياحهم وشماتتهم، وعندما استشعر الطالب عدم قدرته على الاحتمال خـرج هاربًا من الصف، صـارخًا متـألمًا ومتوجعًا، بصوت ملأ أرجاء المدرسة!!

لم يعد بعدها إلى المدرسة، ونقله والده إلى مدرسة أخرى، في مدينة أخرى لعله يستقيم!

**أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.**
**هذه هي لغة السر في سر اللغة!**
**«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.**
**هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.**



# «بداخل كل ولد توجد بنت»!!

عبدالغني رجب ـ القاهرة

**الآكلون نيامًا**

من الأمراض النفسية المعروفة «السير في أثناء النوم»، لكن من الأمراض النادرة «الأكل في أثناء النوم»، فيقوم الرجل وهو نائم فيلتهم الدجاج والبط والإوز ثم يعود نائمًا إلى سريره وبراءة الأطفال في عينيه المغمضة وكأن شيئًا لم يكن!! وعندما تكتشف الزوجة في الصباح اختفاء الغذاء الدسم تتهم الزوج الذي يقسم لها بأنه لم يذق منه شيئًا، بل إنه يندهش من هذه التهمة الحمقاء!! فتتأكد الزوجة من وجود الأشباح والعفاريت في المنزل، ويزداد وزن الزوج زيادة كبيرة لا تتناسب مع كمية الطعام القليلة جدًا التي تقدمها له زوجته، ويزداد هدوء أعصابه، فلم يعد يؤثر فيه شجار الزوجة وسبابها له، فقد انتقم عقله الباطن شر انتقام من الزوجة المشغولة بإخراج العفاريت!!

**وحدة الصف**

كانت المدرسة الأولية التي التحقت بها تشمل أبناء الفقراء الذين يتناولون وجبة إفطار من الفول المدمس، وهو أرخص وجبة في ذلك الوقت، وعندما كنا نقف في طابور الصباح كانت المعلمة تطلب من كل تلميذ أن يمسك بيد التلميذ الذي يقف بجواره في أثناء سير الطابور حفاظًا على وحدة الصف، وما إن نصل إلى الفصل حتى تتفرق الأكف، فأتشمم كفي واجدًا بها رائحة الفول المدمس الذي أفطر به زميلي ولم يغسل يديه بعده!!. وفي يوم من الأيام حضرت متأخرًا، ووقفت في آخر الطابور ولم يقف معي أي زميل، وعندما وصلت إلى الفصل شممت كفي بحركة لا إرادية كما أفعل كل يوم، ولدهشتي شممت رائحة الفول المدمس الذي لم أذقه قط!! وعرفت أنني لن أخرج أبدًا عن وحدة الصف.

**مرقة أذن**

أعتقد أن أذن «فان جوخ» أشهر من فان جوخ نفسه!! وأن شهرة فان جوخ قائمة في الحقيقة على أذنه وليست على لوحاته القبيحة التي تباع بالملايين. لماذا قطع فان جوخ أذنه؟ سؤال قديم ما زال يتردد، فالجميع يعلمون أن فان جوخ قطع أذنه وأهداها إلى فتاة أبدت إعجابها بها، ولكن هل هذا هو السبب الحقيقي؟ البعض يقولون: إن فان جوخ كان يعاني شظف العيش ولا يجد ما يقتات به، فقطع أذنه في نوبة من نوبات الجوع الشديد لكي يعمل بها المرق ويفت فيها الخبز ويأكلها هنيئًا مريئًا بعد أن يضع عليها توابل الشرق وبهاره،




وعندما شرع في طهيها أرسل إليه صديقه الرسام «جوجان» وجبة غذاء شهية فأهدى أذنه إلى تلك الفتاة المعجبة!!

**إذا عُرف السبب**

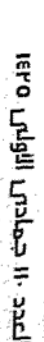
لا أؤمن بالسببية - المباشرة على الأقل - فلا أؤمن مثلاً بأن الجراثيم هي التي تسبب الأمراض مباشرة، بل يؤيدني العلم التجريبي إلى حد كبير، بأن اختراق الجرثومة للجهاز المناعي للإنسان يحتاج إلى عشرات الأسباب الأخرى التي تتكاتف بعضها مع بعض، ندري نحن عن بعضها ويغيب عنا أكثرها!! إن ربط سبب مباشر بنتيجة يعد تسطيحًا للظواهر يرفضه العقل، تماماً مثلما قال لي صديقي الطبيب بعد أن عاد من العمل في دولة عربية كان يعمل بها بعائد مجز يعادل مئة ضعف ما يقبضه من راتب في مصر، إنه ضحى بهذا الراتب المجزي في سبيل تربية ابنته الصغيرة لأنه اكتشف أنها لا تعرف حتى الآن الأطعمة الشعبية المصرية مثل المش والفول المدمس والطعمية، وهو ما يجعلها منفصلة عن تراث بلدها، وهذا ما يأباه كرجل وطني شريف!!

**قرينتي**

كانت أختي التي تكبرني بثلاث سنوات وتدرس معي في المرحلة الابتدائية تقرأ كثيرًا وتلخص ما تقرأه وتفهمني إياه، فقد كنت لا أستطيع القراءة وحدي، وقد أخبرتني أن هناك نظرية جديدة لعالم نفسي يسمى «يونج» تقول: «إن بداخل كل ولد توجد بنت، وبداخل كل بنت يوجد ولد» ولهذا السبب تطلق جارتنا «أم حنفي» على ابنها اسم «عزيزة»، وهذا دليل على صحة النظرية. عندما أعطتني أمي نصيبي من الحلوى قطعة واحدة طلبت منها قطعة أخرى للبنت الموجودة بداخلي. اعتقدت أمي أني أطلب قطعة حلوى للقرين الأنثى وخوفًا منها، حيث إنها من الجن ومن الممكن أن تؤذي الأسرة، لذا أعطتني قطعة حلوى كبيرة أكلتها بشهية عظيمة. استهوتني اللعبة وظللت أمارسها مدة طويلة حتى زاد وزني وقل وزن القرينة وماتت!!

**من الطارق؟!**

كثير من العجائز تضيع ذاكرتهم الحديثة مع تقدم السن، فيفطر العجوز وينسى أنواع الطعام التي تكون منها إفطاره وينسى أنه أفطر!! وأحيانًا يجد العجوز نفسه فجأة على السلم فلا يدري إن كان صاعدًا أم هابطًا!! عندما سألت سيدة عجوزة عن تذكرها للأشياء أجابتني بأنها ذات ذاكرة حديدية رائعة فهي لا تنسى شيئًا مطلقًا، ثم نقرت الخشب بيدها خوفًا من الحسد، وقالت: من الذي يطرق الباب؟!





زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

# «لا» «نعم» بعد اليوم!

**لماذا** تتكون «لا» من حرفين، بينما تتكون «نعم» من ثلاثة أحرف؟!

ليس هذا في اللغة العربية فقط، بل حتى في الإنجليزية، وربما في لغات أخرى غيرهما.

ربما لأن قول «لا» يتطلب منك خطوتين: التفكير ثم الرفض.

أما قول «نعم» فيتطلب ثلاث خطوات: التفكير ثم الموافقة ثم التنفيذ.

لكن هل كل «نعم» تلزمك بالعمل عليها، وكل «لا» تعفيك من أي متطلبات أخرى؟

أحيانًا - وربما أحيانًا كثيرة - من الأسهل أن تقول للموقف: نعم، حتى تصبح كالقطيع الذي يعمل لا شيء! أما إن قلت «لا» فهذه تتطلب منك أن تعمل شيئًا كي «لا» تصبح من الذين «لا» يعملون شيئًا!

لكن السؤال الأهم لكل إنسان:

أيهما ينبغي أن يكون أكثر لدى الإنسان، رصيده من «لا» أم رصيده من «نعم»؟

إن كانت حياتك مليئة باللاءات فأنت إنسان مكفهر.. متشائم.. عنيد!

وإن كانت حياتك خالية تمامًا من اللاءات فأنت إنسان سبهلل.. رخوي.. مائع!!

في الأدبيات الشرعية تكرس مفهوم: الأصل في الشيء الإباحة. وهو يعني بصيغة أخرى أن: الأصل في الشيء «نعم».

هذا في الأدبيات، لكن في الممارسات التضييقية فإن السادة الذين يحملون معهم «مفتاح» الباب الشهير: «باب سد الذرائع»، يقلبون المفهوم الشرعي ليجعلوه: الأصل في الشيء «لا»! ليجعلوا حياة الناس مليئة باللاءات.. حتى إذا جاءه الموت قال: نعم. وليس له خيار أمام ملك الموت سوى أن يقول نعم. ولو كان لديه خيار لقال للموت: لا، لكي لا يسقط من يده مفتاح باب سد الذرائع!

نكرر دومًا أن الإسلام دين السماحة، لكننا ننسى أن «نعم» هي رمز السماحة والبذل والعطاء.

«نعم».. تعني الموافقة والإيجابية.

لا.. تعني الرفض والسلبية.

نعم.. تعني المنح.

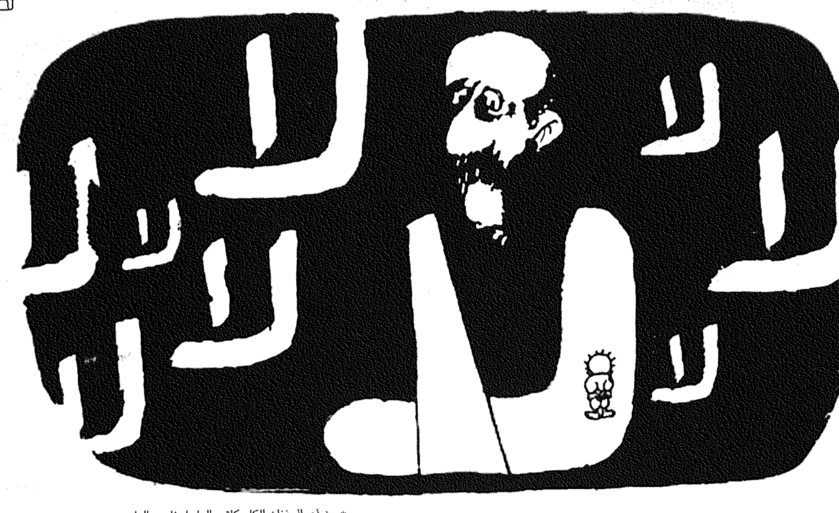
لا.. تعني المنع.

نعم.. تُقال بعضلات وجه منبسطة (ابتسامة).

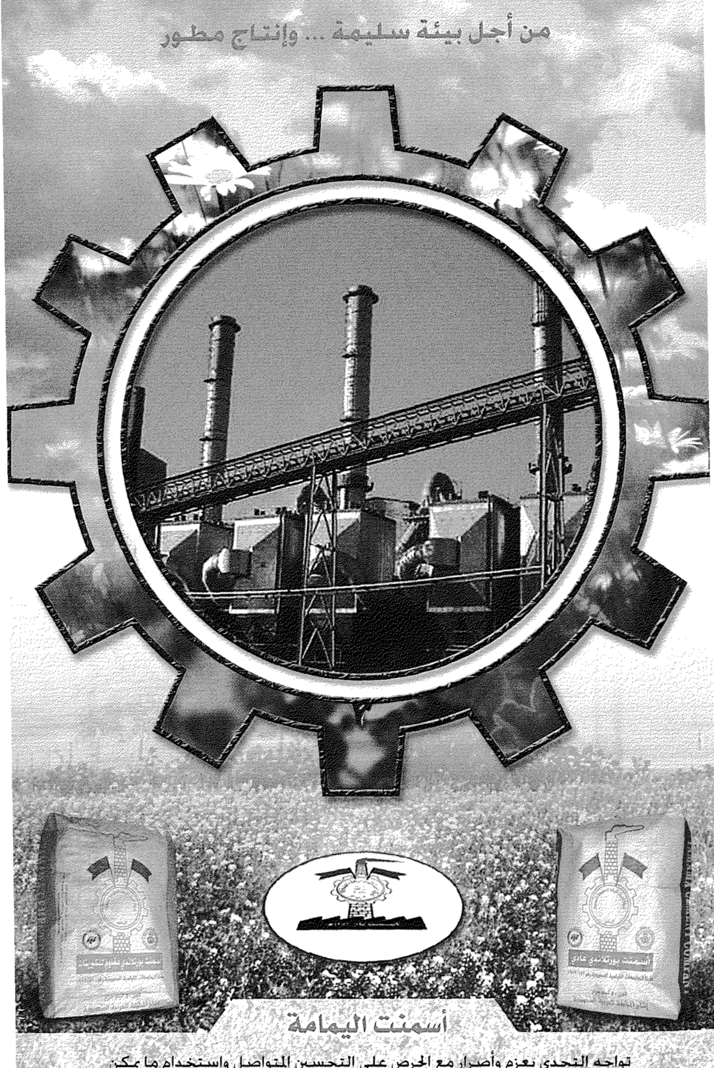
لا.. تقال بعضلات وجه منقبضة (عبوس).

إذا أردت أن تعرف هل أنت إنسان سمح، فانظر أيهما أسهل نطقًا على لسانك، وأيهما أوفر رصيدًا في قاموسك: نعم أم لا؟!

## تكوين



* من أعمال فنان الكاريكاتير الراحل ناجي العلي
عن موقع www.najialai.net


من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن
الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة.